دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية

شعر ودراسة



ملحقة به قصيدتا « الطلاسم » و « الاسطورة الازلية »

١٩٥٤

زهير ميرزا

سلسلة عيون الشعر العربي

١

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية



زهير ميرزا
ليسانسيه في الآداب من الجامعة السورية

لم يكن إيليا أبو ماضي إلا شاعر جيل من الناس ، عاش في فترة محدودة من حياة الكون ليصور آلام كل فترة ، وآمال كل إنسان !

... كان مثالاً صادقاً لـ « الشاعر » ، هذا المخلوق الذي نسيت الآلهة أن تخصص له مكاناً على الأرض فمنحته أرجاء السماء ، فعاش : « قدماه مشدودتان الى الأرض ، وفكره في أجواز الفضاء » !

فالى كل فكر ، نرفع هذه الدراسة ونقدم هذا الشعر !

الجناح الثقافي

بدار اليقظة العربية


إيليا أبو ماضي
شاعر المهجر الأكبر

هجرة

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي المنصرم أحداثاً في الحياة الاجتماعية والسياسية كان لها الأثر القوي في جعل هذه الفترة نقطة الانطلاق نحو عصر النهضة الذي نعيشه الآن .

وما من ريب في أن العصر المظلم(١) الذي جثم فيه الحكم التركي على صدر البلاد العربية طوال أربعة قرون كان له أبعد الأثر في قتل كلّ موهبة أدبية وقتل كلّ فكرة علمية ، حتى عادت الأمة العربية وهي صفر اليدين من كل أدب وعلم ، لولا هذه البارقات التي كانت تلوح بين حين وحين مشيرةً الى امتداد عصر الانحطاط الى تلك الفترة ؛ حتى إذا أطلّ خديوي مصر « محمد علي » ومدّ يده الى الأمير بشير الشهابي(٢) متلاقيين في تحالف واتفاق ، وجد السوري واللبناني من ذلك نافذةً يحاول أن يُطلّ منها على عالمٍ غير عالمه السابح في دياجير الظلم والظلمة ، ظاناً أن في انطلاقه عن بلده انطلاقاً من سجنه الرهيب وانفلاتاً من يومه البغيض الكئيب ؛ ومن هنا كان الانطلاق الأول من سورية ولبنان الى مصر ، وكانت الهجرة الأولى .

ويرى المؤرخون المتتبعون أن أسباب الهجرة اللبنانية الى أمريكا أكثر من أن يُحصيها عد ، وهم مع هذا يشيرون الى أهم تلك الاسباب فيرون أن وجود الارساليات التبشيرية الامريكية من أقوى تلك الاسباب ؛ ويرى

---

١ - عام ١٥٢٦ م الى عام ١٩١٨ م ... فانظر !

٢ - من عام « ١٨٣١ - ١٨٤٠ » وهي الفترة التي حكمت فيها مصر سورية على يد ابراهيم باشا .

مؤلفو كتاب « الوجيز في الادب العربي(١) أن الغرب قد (.. « استند في القرون الوسطى الى الفكرة الصليبية لاستعمار الشرق ،لكن الاسلام كان يرده ، وبعد فتح امريكا تحولت أساليب الاستعمار من وسائله العسكرية الى أساليب دعاية ودس على الحكام المشارقة ، مسلمين وغير مسلمين ، ومنحت كبريات الدول الاوربية في الشرق المدارس والمستشفيات وبثت الجمعيات ، حتى غدا لكل مذهب دولة .

ولقد كان نصيب لبنان من هذه البعثات كبيراً(٢) اذ تعهد لويس الرابع عشر بتعليم أولاد « الموارنة » في المدرسة اليسوعية بباريس مجاناً ، وأسس البابا غريغوريوس الثالث مدرسة خاصة بالموارنة في روما أخرجت كثيراً من الكهنة والقسيسين ، بعضهم عاد الى بلاده ينشر علوم الغرب ويبث محبته في النفوس ، وبعضهم الآخر بقي في اوروبا .. »)

ومن أهم تلك الارساليات الجامعة الامريكية في بيروت(٣) ، إذ أسستها إرسالية « بروتستانتية » عام ١٨٦٦ م ؛ ثم تبعتها جامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت أيضاً عام ١٨٧٤ م .

---

١ - هم الدكتور جبل سلطان والدكتور ابراهيم الكيلاني والاستاذ حنا نمر والاستاذ ممدوح حقي ؛ وقد خرج الكتاب في طبعتين ، كانت الثانية على يد دار اليقظة العربية أواخر سنة ١٩٤٦ م .

٢ - راجع مقالة الاستاذ أحمد سراج الدين « الحركة التربوية » - مجلة الأبحاث اللبنانية - عدد ايلول ١٩٥١ ص / ٣٢٦ .

٣ - يحسن الرجوع في هذا الموضوع الى البحث القيم الذي وضعه الاستاذ محمد يوسف نجم ونشره في كتابه « القصة في الادب العربي الحديث » طبعة القاهرة ١٩٥٢ ص ١٦ - ٢٠ .

ولا علينا إذا أشرنا الى أن أول مطبعة تأسست في لبنان إنما كانت مطبعة الجـــامعة الامريكية(١) ، لأن في ذلك دلالة على الرسالة التي كان على تلك الارساليات أن تؤديها .

ويضيف الاستاذ أنيس نصر(٢) الى أسباب هجرة اللبنـانيين الى امريكا زيارة امبراطور البرازيل « الدون بدور الثاني » لفلسطين ولبنـــان عامي ١٨٧٧ و ١٨٨٧ م ، إذ يعتبرها فاتحة اتصالٍ بين لبنان وبين امريكا ؛ وكذلك الثورة العرابية التي سببت هرب أكثر اللبنانيين من مصر(٣) الى ما وراء البحار ؛ ويأتي السبب الأخير وهو فقر لبنان ، فيقول(٤) « زد على ذلك أن كل تحويلٍ مالي يرسله أحـــد المهاجرين الى ذويه ، أو كل قصرٍ يشيده على سفوح لبنان مهاجر عائـد اليه ، كان يدفـع بعشرات الشبان الى النزوح عن لبنان(٥) » .

ولا يفوتنا أن نشير الى كلمة أوغست أديب باشا في موضوع أسبـاب

---

١ - راجع المصدر السابق ص ٨٠ ، إذ يرى أن أول مطبعة انما هي مطبعة الشوير « ١٤٨٠ م » والثانية في دير القديس جاورجيوس بيروت ١٧٦٠ م / ص ٨٠ وما بعدها .

٢ - في كتابه – النبوغ اللبناني – صدر في حلب – سورية – عام ٩٣٨ م .

٣ - بعد ان نزحوا اليها أيام الاتفاق بين الخديوي محمد علي والامير بشير الشهابي .

٤ - ص ١٨ من كتاب « النبوغ اللبناني » . ويذكر في الحاشية أن عدد المهاجرين في الولايات المتحدة بلغ ١٢٠ الفاً .

٥ - المرجـــع السابق ، وكذلك راجع كتـــاب « المهاجرة اللبنانية » ص ١٠ لميشال شبلي .

الهجرة إذ نراه يقول : (١) « السبب الاول في مهاجرة الالوف من اللبنانيين الذين في عنفوان العمر كل عام ، تلك المهاجرة التي خفضت عدد سكان لبنان الى ثلاثة أخماس ما كان يجب أن يكون في أحوال عادية ، هو القانون الاساسي الذي وضع سنة ١٨٦٢ و سنة ١٨٦٤ ، فان أشد ضرر جلبه على لبنان ، الذي إنما وضع لأجل نفعه ، هو حصره ذلك الجبل في حدوده الحالية ؛ لأنه لو كان وضع هذا التحديد على قاعدة الحق والعدل والسياسة البصيرة ، فضمت الى لبنان الاراضي والثغور البحرية التي هي ملكه من أوجه كثيرة ، لكان القسم الاكبر من تيار هذه المهاجرة قد تحول الى أراضي خصبة ، هي الآن مهملة ، والى مدن عامرة في وسع اللبنانيين أن يطلقوا العنان لنشاطهم فيها ؛ بل ما كنا رأينا ذلك المشهد المؤلم ، مشهد أناس في ضنك شديد من العيش ، يرمون من أعالي صخورهم نظرات اليأس الى من عند سفح جبلهم من السهول الواسعة الخصبة ، التي يقصيهم عنها اختلال الأمن واستبداد الحكام العثمانيين ومرض الارتشاء (الرشوة) المنتشر فيها .

وسبب اقتصادي آخر لهذه الهجرة ، هو امتلاك أصحاب الاقطاعات الاراضي الزراعية في الجبل ، فقد كان الفلاح اللبناني أحياناً ، خصوصاً في القرن الماضي وفي مستهل هذا القرن ، عرضة لظلم صاحب الأرض من أصحاب الاقطاعات ، يستبيح هذا أتعابه ، ويصده عن التقدم في المجتمع ،

---

١ - أوغست أديب باشا في كتابه « لبنان بعد الحرب » ، نقله الى العربية الشيخ فؤاد حبيش ص ١٠٤ واقتبسه الاستاذ محمد نجم في كتابه « القصة في الادب العربي الحديث » ص ٨٤ - ٨٥ .

فكان هنالك التفاوت من الوجهة الاقتصادية وعـــدم المساواة من الوجهة الاجتماعية . »

ويذكر الاستاذ محمد يوسف نجم(١) دافعاً آخر للهجرة هو الدافع السياسي « وهو ضغط حكومة الآستانة على رعاياها ولا سيما غير المسلمين منهم(٢) والسبب في ذلك أنها بضعفها وتهالكها آونة ذاك كانت تخشى كل حركة تحريرية تبدر بوادرها بين الشعب وتحاول خنقها في المهد ؛ لذلك كانت تأخذ بالشبهة وتجرم البريء لأضعف الشكوك ، مما جعلهم يحاولون زحزحة عبء هـذا الضغط عن كواهلهم بالمهاجرة إما الى مصر ، حيث مجـال العمل أوسع واكثر إظهاراً للكفاءات ، وحيث يتمتع الناس بحرية اكثر ؛ أو الى اوروبا أو أمريكا حيث يتنشقون عبير الحرية المنعش » .

هذا بعض رأي الذين يُعنون بشؤون التاريـــخ في أسباب الهجرة . ولعله من الواجب أن نسأل الشاعر عن أسباب هجرته ، لأنه واحد من هذه الآلاف التي نزحت عن ديارها لتستقر في أرض الثراء الموعود ؛ وإنا لنجد الجواب عند الشاعر الكبير ، إذ نراه يتحدث عن وطنه — لبنان — في قصيدة مطولة فينعي عليه أنه رازح تحت أعباء الاستكانة الى الشقاء وعـــدم التطلع الى العلاء ، وأنه كالعبد الذي ألف العبودية والذُل فما هو بتاركها

---

١ ـ أوغست أديب باشا في كتابه [لبنان بعد الحرب] ، نقله الى العربية الشيخ فؤاد حبيش ص ١٠٤ واقتبسه الاستاذ محمد نجم في كتابه القصة في الادب العربي ص ٨٤ — ٨٥ .

٢ ـ سنجد أثر هذا الضغط في شعر الشاعر ، وسنجده يحمل حملات منكرة ، شديدة ، عنيفة ، على الاتراك ويصفهم بأشنـــع ما يمكن أن يوصف به قوم وتتهم بـــه أمة منحطة .

ابدا ، وانه يئد المصلحين ويكتم أنفاس الاحرار ، ويخنق صوت الاديب ويُعلي شأن الجاهل ؛ وأدهى الدواهي بالنسبة للشاعر هذه الطائفية البغيضة التي فرقت الأمة ومزقتها شر ممزق ...

استمع اليه وهو يبين لنا ما كان عليه وطنه أيام نزح عنه(١) . .

وطن أردناه على حب العلى ... فأبى سوى أن يستكين الى الشقا
كالعبد يخشى ، بعدما أفنى الصبى ... يلهو بـه ساداتـه ، أن يعتقا
أو كلما جاء الزمان بمصلح ... في أهله ، قالوا : طغى وتزندقا ؟
فكأنما لم يكفه ما قـد جنوا ... وكأنما لم يكفهم أن أخفقـا
هـذا جزاء ذوي النهى في أمة ... أخذ الجمود على بنيهـا موثقـا
وطن يضيق الحر ذرعـاً عنده ... وتراه بالاحرار ذرعـاً أضيقـا
ما إن رأيت بـه أديبـاً موسراً ... فيما رأيت ، ولا جهولاً مملقـا
مشت الجهالة فيه تسحب ذيلها ... تيهاً ، وراح العلم يمشي مطرقا
أمسى وأمسى أهـله في حالة ... لو أنهـا تعرو الجمـاد لأشفقا
شعب كما شاء التخاذل والهوى ... متفرق ويكاد أن يتمزقا
لا يرتضي دين الآله موفقـاً ... بـين القلوب ويرتضيه مفرقا
كلف بأصحاب التعبد والتقى ... والشرّ مـا بين التعبـد والتقى

ونراه في قصيدة أخرى يشير الي هـذه « البأساء » التي عليها وطنه ؛ فيقول : (٢)

أرض آبائنـا ، عليك سـلام ... وسقى الله أنفس الآبـاء

---

١ ـ ص ٤٣ من هذا الكتاب .

٢ ـ ص ١٢٢ من هذا الكتاب .

ماهجرناك ، إذ هجرناك ، طوعاً   لاتظني العقوق في الأبنـاء
يُسأم الخلد والحياة نعيم   أفنرضى الخلود في البأساء ؟

ويلح على موضوع « البأساء » التي كانت سبب الهجرة فيقول(١) :

شردت أهلك النوائب في الأر   ض وكانوا كأنجم الجوزاء
وإذا المرء ضاق بالعيش ذرعاً   ركب الموت في سبيل البقاء

الشاعر

هبط الشاعر مصر وله من العمر أحد عشر عاماً أو تزيد قليلاً (٢) وتعاورت عليه حاجات الحياة اليومية من طعام وشراب ، وحاجات الحياة العقلية من علم ودرس إذا به ينصرف لهما معاً فيعمل ويدرس ، ويستغرق ذلك منه قرابة ثماني سنوات كان يقرض خلالها بعض الشعر ، جمعه في شبه ديوان أسماه « تذكار الماضي » و طبعه في الاسكندرية ؛ وإن آسف أشد الأسف لأنني لم أستطع الحصول عليه وبالتالي لم أطلع عليه لأتتبع الشاعر منذ نشأته الشعرية الاولى الى الآن ؛ وكيفما دار الامر — كما يقول الأستاذ الجاحظ — فاننا نجد الشاعر وقد أنفق من عمره تسعة عشر عاماً

---

١ ـ ص ١٢٢ من هذا الكتاب .

٢ ـ يمكن لنا أن نقدر أنه ولد في لبنان حوالي ١٨٩١ م في قرية « المحيدثة » ورحل الى مصر عام ١٩٠٢ ومنها الى امريكا عام ١٩١١ م . ارجع الى « بين شاعرين مجددين لعبد المجيد عابدين – مصر ١٩٥٢ ؛ وكذلك الى « حديث الاربعاء لطه حسين ج/٣/ص ١٩٣ . وكذلك الى كتاب « ايليا أبو ماضي والحركة الادبية في المهجر » لنجدة فتحي صفوة – بغداد ٩٤٥ .

قبل أن يشد رحاله إلى امريكا : ويبدو أنه لقي بعض التعب أيام اقامته في مصر ، بل بعض الضيم الذي كاد أن يلامسه ، وفي ذلك يقول (١) .

نأى عن أرض مصر حذار ضيم   ففر من العذاب الى العذاب . .

على أنه عندما يذكر مصر إنما يذكر فيها صحباً طيباً وفياً محضه الود خالصاً .

ويذكر الأستاذ نجدة صفوة أن إيليا أبا ماضي رحل إلى مصر « ليتعاطى التجارة ، وقد اتخذ لنفسه محلاً يبيع فيه السجائر والدخان وأخذ يستغل أوقات فراغه في المطالعة والدراسة ونظم الشعر الذي أظهر فيه منذ صغره قابلية تنبىء بمستقبله . ووقع عليه الاستاذ أنطون الجميل فرآه يكتب شعراً في الدكان ، فقرأه وأعجب به ونشره في مجلة « الزهور » التي كان يصدرها .. » (٢)

ويذكر لنا الشاعر بإسهاب ، في قصيدته « الميمية » شيئاً هاماً عن إقامته في مصر ، فيتوضح لنا منها ذاك الحنين الصامت لأيام جميلة قضاها هناك ، ويتوضح الى جانب ذلك ذاك اليأس من الناس ، مما يدلنا على حالة التناقض التي كان عليها إبان إقامته في مصر ؛ فلنستمع اليه متحدثاً عن ذكرياته في مصر وعن أخلاق الناس في مصر أيضاً ...

يقول (٣)

ليس الوقوف على الأطلال من خلقي   ولا البكاء على مافات من شيمي

---

١ - ص ١٧٥ من هذا الكتاب .

٢ - ص ٥٦ من كتابه

٣ - ص ١٦٧ من هذا الكتاب

لكن (مصراً) وما نفسي بناسية   مليكة الشرق ، ذات النيل والهرم

صرفت شطر الصبا فيها فما خشيت   نفسي العثار ، ولا نفسي من الوصم

في فتيةٍ كالنجوم الزهر أوجههم   مافيهم غير مطبوعٍ على الكرم

لا يقبضون مع اللأواء أيديهم   وقلما جاد ذو وفرٍ مع الأزم

فمن هنا يتبين لنا بعض حال الشاعر أيام إقامته في مصر ، فهو إذ يذكرها يجدها « مليكة الشرق » : ، وهو بالتالي قضى فيها شطر الصبا ، وكان مستريحاً الى الفترة الثانية التي قضاها هناك ، فهو يقول « ماخشيت نفسي العثار » ، حتى إذا ذكر صحبه وأخدانه لم فيها المديح ، « فما فيهم غير مطبوع على الكرم » . .

ولعل هذه القصيدة خير « وثيقة » عن حياة الشاعر في مصر ، لأنه لا يكتفي بهذا الذي قاله ، وإنما يستمر في مدح مصر طوال خمسة عشر بيتاً يصور مصر خلالها بأنها درة تاج الشرق ، وحاملة علم الشرق ، أما أهلوها (١) :

هيهات تطرف فيها عين زائرها   بغير ذي أدب أو غير ذي شمم

وهم الى جانب أدبهم وشممهم : (٢)

أحنى على الحر من أم على ولد   فالحر في مصر كالورقاء في الحرم

على أنه رغم هذا الذي لقيه في مصر فقد نزح عنها الى امريكا ، ولم يعرف ما كان عليه من نعيم مقيم حتى وصل مهجره ، وهناك أدرك الخطيئة التي ارتكبها بالرحيل عن مصر ، ويصف هذه الخطيئة بأنها « ضلة » فيقول (٢)

---

١ - ص ١٦٨ من هذا الكتاب .

٢ - ص ١٦٩ من هذا الكتاب .

ما زلت والدهر تنبو عن يدي يده حتى نبت ضلة عن أرضها قدمي !!

مما يدلنا من أنه كان « مرتاحا » خلال اقامته في مصر ، ويؤكد ذلك ما أوردناه من احتفاء الاستاذ أنطون الجميل به واهتمامه بشعره ونشره قصيدة له في مجلة « الزهور » .

وفجأة وعلى غير انتظار نجده وقد أخذ سمته شطر « امريكا » ، ولعلها كانت مطمح أنظاره يوم اتجه من لبنان ، واذا أحببنا أن نتقصى سبب هجرته الى مصر ومنها الى امريكا أمكننا أن نجد سببين ، فأما الأول فهو أن الهجرة من لبنان الى مصر كانت سهلة ميسورة ، في حين أن المهاجرة عن لبنان الى امريكا لم تكن ميسورة ، ويرى الأستاذ فيليب حتي في كتابه « السوريون في الولايات المتحدة » أن الحكومة العثمانية آنذاك منعت الهجرة الى امريكا ورفضت إعطاء جوازات السفر للمهاجرين السوريين اليها ، فكان لا بد لهم من الحصول على الجوازات للمرور بها الى مصر ، ومصر هي التي كانت مركز انطلاق المهاجرين الى امريكية (١) إذن يمكن ان نرد سبب هجرته الى امريكا الى أنها هي التي كانت هدفه وسلك اليها سبيل مصر كمرحلة أولى ، وأما السبب الثاني ، فهو ما ورد في قصيدته الآنفة الذكر من يأس من خلق الناس ، فلعله كان يقصد مصر ،فلما توهم أنها ضاقت بهوضاق بها ، وفشلت تجارته وجد أن الرحيل أولى به ، فاتجه الى الولايات المتحدة الامريكية ليستقر في مدينة « سنسناتي » بضعة أعوام ، عمل فيها بالتجارة ، حتى اذا أطلت سنة ١٩١٦ انتقل الى « نيويورك » حيث اجتمع الى جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه

---

١ - ص ٣ من كتابه المذكور .

ونسيب عريضة ورشيد أيوب ووليم كاتسفليس وعبد المسيح حداد وندره حداد وأضرابهم ليؤلفوا جميعاً فيما بعد هذه الرابطة التي أطلقوا عليها اسم « الرابطة القلمية » والتى كان لها فضل نشر مذهب المهاجرين في الادب والاعلام عن مدرسة أدبية لها خطرها والتي يقول فيها الدكتور محمد حسين هيكل : « يجب أن يتعاون المجدد والمقلد منا ، وإلا بقي الفوز في جانب السوريين المتأمركين وامحت الثقافة الاسلامية» (١)

١ - السياسة الاسبوعية ، العدد ٤٠٢ الصادر عام ١٩٣٠ في القاهرة باشراف الدكتور هيكل .

مصادر ثقافة الشاعر

إذا أحببنا أن نعلم شيئاً عن ثقافة الشاعر لم نجد من المصادر بين يدينا إلا شعره ، فهو وحده الذي يدلنا على منابع ثقافته ، ولا بد لنا بالتالي أن نستقرئ شعره من جانبين ، جانب المعنى ، وجانب المبنى . فمن معانيه نتلمس ثقافته الفكرية ، ومن مبانيه نتلمس ثقافته اللغوية .

ومما لا ريب فيه أن ثقافة الشاعر تختلف من سن الى سن ، فكلما ضرب بسهم في العمر وممارسة النظم والتمرس بالحياة وجدنا ألواناً من الثقافة تتباين بتباين سني النظم ، فإذا حاولنا أن ننظر في دواوين شعره على اعتبار أنها المراحل التي تنبئ عن تطور ثقافته لزمنا أن نكون على علم بما أسماه ديوانه الأول « تذكار الماضي » ، الذي نشره في الاسكندرية أيام إقامته في مصر — ، فإذا جزنا هذه المرحله ووقفنا على ديوانه الثاني المسمى « ديوان ايليا أبي ماضي — الجزء الثاني — » (١) حق لنا أن نطيل الوقوف وأن نقدم أكثر قصائد هذا الديوان كنماذج لما نذهب اليه في هذه الدراسة ، ثم نطل على المجموعة الشعرية الثالثة للشاعر وهي « الجداول » (٢) فنقبس منها قصيدتها الكبرى « الطلاسم » ونستقرئها ثقافة الشاعر ونثبتها كنموذج في هذه الدراسة ، ثم نعوج على المجموعة

---

١ - طبع هذا الديوان في نيويورك في حدود سنة ١٩١٨ م تقريبا .

٢ - صدر في نيويورك أيضاً في حدود عام ١٩٢٧ م ، ثم طبع عدة طبعات في الشرق .

الرابعة وهي « الخمائل »(١) فنقتطف منها القصيدة الام وهي « الحكاية الأزلية » ، ثم نفتش عما تبعثر من شعر الشاعر في المجلات السائرة ، وخاصة « العصبة » فننقل عنها بعض شعر الشاعر الأخير ، فاذا اكتمل ذلك بين يدينا — وقد اكتمل — حق لنا أن ندرس ثقافة الشاعر في جميع مراحل حياته المتمثلة في هذه المجموعات الأربع .

ملامح

اقرأ معي قول الشاعر :

أنا ماوقفتُ لكي أشبب بالطلا ... مالي وللتشبيب بالصهباءِ
لاتسألوني المدح أو وصف الدمى ... إني نبذت سفاسف الشعراء
باعوا لأجل المالِ ماءَ حيائهم ... مدحاً وبت أصون ماءَ حيائي
لم يفهموا بالشعر إلاّ أنه ... قد بات واسطةً الى الاثراءِ
فلذاك مالاقيت غير مشبب ... بالغانيات، وطالب لعطاءِ
ضاقت به الدنيا الرحيبة فانثنى ... بالشعر يستجدي بني حواء
شقي القريض بهم وما سعدوا به ... لولاهمُ أضحى من السعداء

تجد أن الشاعر قد نبذ من أغراض شعره « المديح » و « وصف الدمى »

---

١ - صدر في نيويورك في حدود عام ١٩٤٠ ، ثم طبع عدة طبعات في الشرق أشهرها طبعة بيروت ١٩٤٩ م . ويقول الاستاذ الناعوري في كتابه « ايليا أبو ماضي » ص ١٢ (.. ولا غرابة في أن يتردد اسم صاحب الجداول في الوطن والمهجر بملء الاعجاب ، وفي أن يتبارى الناشرون في طبع ديوانه وتوزيعه مرات بغير استئذان المؤلف — وهو مالانعرف وقوعه بهذا الشكل عند العرب قبل ديوان الجداول ، — فتنفد جميع نسخه حال ظهورها في الاسواق ». اهـ.

و « التشبيب بالغانيات » ، أو هكذا يوضح جملة رأيه فيما يريد أن يأخذ به نفسه في منظومه ، فهو بهذا قد وضع الاطار العام لشعره على وجه التقريب .

ونحن إذا حاولنا أن ننظر في شعره لنرى « المدرسة » التي تخرج منها نجد الشاعر وقد عاش في اطار من الشعر القديم ، والجو القديم ، والطابع القديم(١) ، لايكاد يخرج منه ، أو لايكاد يقوى على الخروج منه . وآية ذلك هذا الشعر الذي بين أيدينا .

وإذا أحببنا أن نخرج مع الشاعر من لبنان ونعيش معه حياته الأولى في مصر ، توضح لنا — من الذين قُدر لهم(٢) أن يطلعوا على مجهوده الأول المسمى « تذكار الماضي » ، تلك المجموعة ، التي كانت باكورة انتاجه — أن الشاعر كان ضعيف الثقافة ، ضعيف التحصيل ، ضعيف الاطلاع على مفردات اللغة ، ضعيف الالمام بقواعدها وأدواتها أيضاً .

ومن هنا يبدو لنا أن الشاعر نزح عن لبنان وهو على شيء من العلم بالقراءة والكتابة ، ثم أخذ يطالع لنفسه مطالعات خاصة يلصها من بعض فراغ يومه كونت عنده لوناً من ألوان الثقافة التي تتيح له أن يكتب بلغة سليمة بعض الشيء (٣)

---

١ - « ذلك أن أبا ماضي كان في نشأته مولعاً بنظم الشعر على النهج القديم وله ديوان قديم تأثر فيه بأبي العلاء وغيره . ثم انصرف الى الطريقة الجديدة في نظم الشعر ولكنه لم يستطع أن يتخلص من آثار الماضي فعلقت بذهنه أفكار وعبارات من أساتذته القدماء ومن بينهم أبو العلاء » . بين شاعرين مجددين لعبد المجيد عابدين . ص ١٤٨ .

٢ - نحتفظ باسمائهم بناء على طلبهم ، وسنذيعها عندما يسمح أصحابها بذلك .

٣ - وهذا لايعيب الشاعر في مثل هذا العصر الذي درج فيه ، وفي غير ذاك العصر ، لاننا نعلم — فيما نعلم — أن الكاتب القدير عباس محمود العقاد قد تثقف أول نشأته مثل هذه الثقافة الطائرة يلتقطها مما يقع تحت يديه من كتب .

حتى إذا كان ارتحاله عن مصر إلى امريكا وجدناه وقد أخذ نفسه بشيء قليل من القسوة ، وبشيء كثير من المرانة حتى استقامت له أداة الكتابة . فلما أخرج ديوانه الثاني — الذي اقتبسنا أكثره في هذه الدراسة — وجدنا لديه من آثار ثقافته اللغوية والنحوية ماهو جدير بالتدوين .

*

ليس من اليسير البحث في الشعراء الذين طالع أبو ماضي شعرهم وأغرم به واستقى منه نفسه الشعري أيام نشأته الأولى ، وإن كنا لانعدم وجهاً من وجوه الرأي نشير فيه إلى أنه تتوضح لنا خلل شعره نفحتان دخيلتان ، كما تتوضح نفحة ثالثة أصيلة ، فاذا كنا نرى نفحة نواسية (١) في بعض شعره ، حاول فيها أن يتتلمذ على يدى أبي نواس من حيث طابعه الشعري ومن حيث صوره و « تلويناته » ، فاننا نرى له أيضاً انصرافاً إلى أبي العلاء ، يريد أن يجعل من شعره النموذج الذي يحتذيه (٢)

فاستمع اليه في قصيدة « ياصاح » تجد أبا نواس يطل عليك من « بعض » أبياتها .

ياصاح كم تفاحة غضة ... يحملها في الروض غصن رطيب

... .

وربّ صفراء كلون الضحى ... ينفي بها أهل الكروب الكروب

دارت على الشرب بها غادة . ... كأنها ظبي الكناس الربيب

١ ـ كما في قصيدته ياصاح ص ٨٦ من هذا الكتاب .

٢ ـ تجد ذلك في اكثر شعر التشاؤم المقتبسة منه نماذج لهذه الدراسة . أنظر مثلا قصيدته « ١٩١٣ » ص ٩٩ . وارجع الى كتاب بين شاعرين مجددين لعبد المجيد عابدين ص ١٤٨ .

في طرفـك الساجي هيـام بهـا وبين أحشائـك شوق مـذيب ..

على أنّ هذا لا يُخرجها من شعر الشاعر ومن غريزته ، مثلهـا كمثل جميع القصائد ، فهي وإن كانت من « عمل » الشاعر نفسه إلاّ أن لها أصولاً يمكن أن تردّ اليها ، وكلُ شاعرٍ في نشأته الشعريةَ الأولى يحاول أن يجد له أستاذاً يتتلمذ عليه ويأخذ عن فمه ألف باء الأدب والبيان .(١)

وإنك لواجدٌ إلى جانب هاتين النفحتين نفحات متفرقة لأعلام الشعر العربي في مختلف عصوره ، فأبو ماضي لم يبتدع أول الأمر مدرسة من مدارس الشعر ، ولم ينسج على منوال متفرّد ، وإنما جرى في حلبة المقلدين وجاراهم في تقليدهم فكان منه ذاك الشاعر الناشىء الذى أخرج للناس ماأسماه « تذكار الماضي » ثم تدرّج في التقدم حتى أخرج للناس ديوانه الثاني ، ويمكن لنا بكلمة واحدة أن نقول : لقد كان أبو ماضي يعيش بجسمه في القرن العشرين بينما يعيش بعقله وفكره في العصور العباسية السحيقة .

ومظاهر التقليد هي « مصادر ثقافته » في مستهل حياته الأدبية من حيث المبنى ، لذا فاننا نجد عنده مثلاً أمثال هذه المطالع :

قال في سقوط « أرضروم »(٢)

أعد حديثك عندي أيها الرجل وقل كما قالت الأنبـاء والرسل

---

١ ـ ولا يخفى أن معظم شعراء النهضة في مصر أيام نزح اليها الشاعر ايليا ابو ماضي كانوا يدينون لمدرسة التقليد ، ويحاولون جاهدين أن يجدوا لهم أساتـذة من الادب العربي القديم ، ولست تجد شاعراً واحداً استقل برأيه وشعره في مطلع النهضة ، كانما التقليد امتحان للشخصية الادبية ، وتمهيد لتكوينها . يصدق هذا على اسماعيل صبري والبارودي وشوقي وحافظ .

٢ ـ صفحة ٢٢٤ من هذا الكتاب

وقال في قصيدة « ١٩١٦ »

كم قبل هذا الجيل ولى جيل هيهات ليس إلى البقـــاء سبيل

وقال في « مالكواكب »(١)

شوقٌ يروح مع الزمان ويغتدي والشوق إن جددتـه يتجدّد

وقال في « لمن الديار »(٢)

لمن الديار تنوح فيهـــا الشمائل ماتت أهلوهـا ولم يـترحلوا

وقال في : « دموع وتنهدات »(٣)

ألا ليت قلباً بـــين جنبيَّ داميا أصاب سلوّاً أو أصاب الأمانيـا

وقال في « العيون السود »(٤)

ليت الذي خلق العيون السودا خلق القلوب الخافقات حديـدا

وقال في « الى صديق »(٥)

ماعزَّ من لم يصحب الحـــذما فاحطم دواتك واكسر القلما

فانت في مثل هـذه الامثلة التي قدمتها لاتجد كبير عنـاء في ردّ الأبيات الى قصائد معروفة في الأدب العربي القديم ، مما يبيّن لنا أن ثقافـة الرجل من حيث شعرُه كانت تعتمـد التقليد أول الأمر ، وكأنه أخذ بـه نفسه ليسلس له القياد وتنقاد له الألفاظ والتركيبـات التي تناسب الشعر ، فاذا فرغ من هـذه المرحلة وجدت له مطالع على غاية من الجمال والابداع الشخصي .

ولم يقف تقليده عند هذاالذي ذهبنا اليه وإنمااتجه الىتقليد الموشحالأندلسي بمختلف أشكاله وألوانه، وتجده يعالج في الموشح موضوعاً من الموضوعاتالوطنية الكبيرة ، فاستمع اليه في موشح « أمة تفنى وأنتم تلعبون »(٦)

---

١ - ص ٢٤٢ ٢ - ص ٢٦١ ٣ - ص ١٩٥ ٤ - ص ٣٠٥

٥ - ص ٣١١ ٦ - ص ٢١٠

أعـــلى عيني من الدمـــع غشاء
أم على الشمس حجابٌ من غمام
غاض نور الطرف أم غارت ذكاء
لست أدري غـير أني في ظـــلام

* * *

مالنفسي لاتبـــالي الطربا   أين ذاك الزهو أين الـكلفُ
عجباً ماذا دهاهـــا عجبـا   فهي لاتشكو ولا تستعطفُ
ليتهـــا ماعرفت ذاك النبـا   فالسعيد العيش من لايعرف

لا ابتسام الغيـد، لارقص الطـلاء
يتصباهـــا ولا شـــدو الحمـام
بالكرى عني وبي عنـــه جفاء
أنا وحدي أم كذا كل الأنـام

* * *

وكذلك موشحه « مصرع القمر »(١) ومطلعه :

لوعـــةٌ في الضلوع مثل جهنم   تركت هـــذه الضلوع رمادا

وموشحه «١٩١٤»(٢) ومطلعه:

طوي العـــام كما يطوى الرقيم   وهوى في لجة الماضي البعيـد

وموشحه « البلبل السجين »(٣) ومطلعه :

ياربَّ ليـــلٍ بـلا سناء   كانما بـدره يتـيم

وموشحه « الخلود » ومطلعه :

غلط القائـل إنا خالدون   كلنا بعـد الردى هيٌّ بن بي

---

١ - ص ٣١٩   ٢ - ص ١٥٣   ٣ - ص ١١٤   ٤ - ص ٩٣

فالشاعر في جميع هذه المراحل يحاول جاهداً أن يتلمس طريقه ؛ فقد حاول أن يأخذ بأسباب القصيدة القديمة من حيث فخامة ألفاظها وضخامة مطالعها ، ثم عمد الى الموشح فعالجه بشيء من القدرة والتمكن ومارس فيه الموضوعات التي لم يخصص لها الموشح ، ومع ذلك فقد أخضع الموشح لهذا اللون من ألوان التعبير عن مثل هذه الافكار . فثقافة الشاعر في مرحلة نشوئه إنما كانت ثقافة تتكىء على التقليد لتتحسس طريقها الى أسلوبها المتميز الذي سيعرف لها فيما بعد .

وكما أن دواوين الشعراء القدامى كانت بين يدي أبي ماضي وتحت بصره يلقف منها مايلقف ويترك منها مايترك دون أن يحاكيها محاكاة تذهب شخصيته الأدبية — مع عدم تبلورها آنذاك — فقد كان يمارس أساليب القرن الرابع الهجري وعصر الدول المتتابعة من حيث الصياغة ، فتراه يحاول جاهداً أن يلبس شعره ثوب الصنعة البديعية التي تميزت بها هذه العصور بعد أن ضحلت الافكار فيما بعد وعاد الانتاج الأدبي كله من باب الاجترار .

فأنت تجد لأبي ماضي مثل هذه الأبيات في قصيدته « عصر الرشيد » (١)

أيام تحسدها (العواصم) مثلما حسد (العواطل) أختهن (الحالية)

فهو قصد الى هذا الجناس غير التام (العواصم) و (العواطل) ، كما قصد الى هذا الطباق الايجابي (العواطل) و (الحالية) ، ثم يقول :

ملك أدال من «الجهالة» « علمه » وأذلّ صارمه الملوك العاتيه
ومشت تطوّف في البلاد هباته تغشى «حواضرها» وتغشى «البادية»
ملأ البلاد «عوارفاً» و «معارفاً» والأرض عدلاً والنفوس رفاهيه
فتحضر البادون في أيامه واستأنست حتى الوحوش الضاريه

---

١ - ص ٤٧ من هذا الكتاب

اعطاهم صرف « الزمان » « زمامه »　　أمنوا وما أمن الزمان دواهيه

فأنت تلمس أنه قصد هذا اللون من ألوان البديع ، وعمد اليه وأراده ، كأنما أراد أن يقتفي آثار من عنوا بهذه الصنعة

ويقول في موطن آخر : (١)

أمسى سواء « ليله » و « صباحه »　　شتان بين « الصبح « والامساء »

ويقول : (٢)

بنت كرم لم يهم فيها سوى　　كل صب هام فيه الكرمُ

ويقول : (٣)

فما « يلمُّ » بمن صافاهم « ألمٌ »　　ولا « يدوم » لمن عاداهم « أمل »

في جفنه أرقٌ ، في نفسه فرقٌ　　في جسمه سقم ، في عقله دخل (٤)

ويقول من باب المجاز اللغوي (٥)

حمل الشمس الينا قمر　　في سماء نحن فيها أنجمُ

وإلى جانب عنايته بالصنعة البديعية من حيث هذا الطباق وذاك الجناس ، ثم عنايته بالمجاز وما اتصل به ، نجده كان يعتمد « التضمين » ، فيضمن بعض شعره آيات من القرآن الكريم أو تعبيرات مشتقات منه ، على طريقة ، عصر « ابن العميد » أو عصر « الدول المتتابعة » إن لم نردّ هذا العصر إلى عصر بني بويه في أعمق جذوره .

وإذا كان هذا « التضمين » يدلنا على شيء فانما يدلنا على تلوُّن ثقافة الشاعر بلون يحاول فيه استعارة أسلوب القرآن الكريم ؛ وسنفتقد هذا اللون الجميل من شعره فيما بعد عندما تتبلور شخصيته ويعيش في أفق « الرابطة القلمية » التى كانت تعنى بكل شيء إلا بالصنعة والأسلوب الكتابي .

---

١ — ص ٧٩　　٢ — ص ٨٣　　٣ — ص ٢٢٥　　٤ — ص ٢٢٩

أما « تضمينا ته » فقد قال : في حديثه عن حكومة لبنان (١)

راحت تناصبنا العداء كأنما « جئنا فرياً » أو « أتينا موبقا »

ويقول في مصير بغداد (٢) :

واجتاح مجتاح العروش ملوكها « فكأنهم أعجاز نخل خاوية »

أين القصور الشاهقات وأهلها باد الجميع « فما لهم من باقيه »

ثم يتحدث عن الناس في العراق الآن بعد هرون الرشيد فيقول(٣) :

مستسلمون إلى القضاء كأنما أخذوا ولما يؤخذوا بالغاشيه

ثم يقول في موطن آخر(٤) :

مابال قومي كلما استصرختهم « وضعوا أصابعهم على الآذان »

والأمثلة على ذلك متوفرة لمن يريد أن يستقصيها في شعر الشاعر أيام نشأته الأولى . وإذا تقدمت بك المطلعة الى الجداول والخمائل فانك لن تجد هذا اللون واضحاً لأن الشاعر استطاع الانفلات من القيود التي رسف في أغلالها ردحاً طويلاً من الزمن استغرق فترة نشوئه وتكونه بتمامها وكمالها ؛ حتى إذا وصل الى أمريكا وانصرف قليلاً قليلاً عن الشرق وأجوائه ألفى نفسه في جو جديد كل الجدة ، ووجد حوله زمرة من الذين يمارسون الكتابة والنظم ، ولم يجد في منثورهم ومنظومهم ماوجده في منثوره ومنظومه ، فحاول شيئاً فشيئاً التخلص من التقليد ، ومن هنا يتلامح لك بعض الشعر الرائع الممتاز حتى في ديوانه الثاني الذي نحن بسببه؛ وأشهر ذلك هذه القصيدة الرائمة « لم أجد أحدا » و « فلسفة الحياة » و « ابنة الفجر » وأشباهها .

---

١ – ص ٤٥ من هذا الكتاب ٢ – ص ٤٩

٣ – ص ٥٣ من هذا الكتاب ٤ – ص ١٣٥

ومن جملة ماتقدم نستدل على أن مصادر ثقافته من حيث الطريقة كانت تمتّ بأوشج الأواصر إلى مدرسة « الصنعة » في مستهل نشأته الأدبية ، ثم نجد هذه الصنعة وقد ضاعت في زحمة الصور التي أخذ يزخر بها شعر الشاعر عندما انتقل من فترة المرانة والتقليد الى مرحلة الابداع والتبلر عندما انتسب لمدرسة « الرابطة القلمية » وكان علماً من أعلامها .

أما ثقافته اللغوية والنحوية في هـــذه الفترة ، التي كان يخضع فيها لمراحل التكوّن ،فلم تكن لترضي أصحاب اللغة أوترضي أصحاب النحو (١) ؛ وكلّ من التمس العيوب وجدها . على أنّ في بعض ماأحصيناه على الشاعر بعض الدلالة على ثقافته اللغوية والنحوية .

ولا علينا أن نشير إلى مذهبه في اللغةونظرته اليها من خلال شعره ؛ فاقرأ معي قوله في مطلع ديوانه الجداول (وهو محصّلة شعره ورأيه نظراً لتأخر صدوره عن الجزء الثاني)

لست مني إن حسبـ ـتَ الشعر ألفاظاً ووزنا

فالشاعر بهذا يدلل على عدم عنايته باللفظ ــ ناهيك عن الوزن ــ ، فهو بالتالي مهمل للفظ لايحفل له ولا يوليه شيئاً من عنايته ، مما جعل الدكتور طه حسين يعقب على ذلك تعقيباً قاسياً فيقول : « . . . فأما إذا قصدنا إلى نقدهذا الديوان ــ يقصد الجداول ــ من جهة ألفاظه وأوزانه ،فنحن بعيدون كل البعد عن مثل هذا الرضى ، ونحن مضطرون إلى كثير من التحفظ ، وإلى كثير من السخط ، والى

١ ـ نجده في اكثر الأحيان يميل الى الأخذ بالقياس حتى على الشاذ الضعيف ، فهو من هذا الجانب ينتسب لمدرسة الكوفة في النحو .

كثير من الضحك أحياناً . . . . » ويقول بعد(١) في حديثه عن قصيدة « الاشباح الثلاثة » من ديوان الجداول : « . . . وستلاحظ في الوقت نفسه شيئاً من فساد النحو عند الشاعر يغنينا عن أن نضرب لك الأمثال مما في الديوان من خطأ لا يُحتمل من شاعر مجيد . . . . » ثم يتابع قوله في شيء من التعميم : « ومصدر هذا كله أن الشاعر لا يُحسن علم الألفاظ والاوزان ، وهو يريد مع هذا أن يقول الشعر . . . »(٢)

ولست أجد مبرراً لهذا التعميم الذي أصدره الدكتور طه حسين في الحكم على ألفاظ الشاعر ومدى إحاطته بعلم النحو : أإذا ندّت عن الكاتب أو الشاعر خطيئة أو خطيئات في اللغة والنحو حق لنا أن نطلق القول على هـــذه الشاكلة فنتهم الرجل في لغته وفي نحوه وفي أوزانه فنقول : « ... الشاعر لا يُحسن علم الألفاظ والأوزان »(٣) .

على أن مما لا شبهة فيه أن لغة الشاعر لم تكن سليمة كل السلامة أول نشأته الأدبية وحتى بعد أن أصدر ديوانه الثاني ، ولم تكن بالتالي فاسدة كل الفساد ،

---

١ — ص ١٩٨ من الجزء الثالث من كتابه « حديث الاربعاء » ، وقد رد على الدكتور حسين الاستاذ عبد المجيد عابدين في كتابه « بين شاعرين مجددين » — طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ — الصفحة ١٢٩ وما بعدها

٢ — ص ٢٠٠ — ج — ٣ — حديث الاربعاء .

٣ — ويرى الدكتور طه حسين في كتابه المذكور أن هذا الضعف في لغة المهجر خاصة أصيلة من خصائصه فيقول : « ولكني حائر حقاً في أمر هذا النحو من الشعر وهذا الفريق من الشعراء . قوم منحوا طبيعة خصبة ، وملكات قوية ، وخيالاً بعيد الآماد ، وهم مهيؤون ليكونوا شعراء مجودين ، ولكنهم لم يستكملوا أدوات الشعر ، فجهلوا اللغة أو تجاهلوها ثم اتخذوا هـــذا الجهل مذهباً . » ص ٢٠١ — ج — ٣ .

وإنما كانت سليمة لاتخلو من خطيئات تدلّ على عدم تمكن الشاعر من لغته ؛ فنجد عنده مثل هذه الهفوات النحوية واللغوية :

الطود يقرأ في السماء الصافيه سفراً جميل شكله والحاشية

فرفع جميل وحقها النصب على أنها صفة لسفر .

ثم :

ليطرب من شاء أن يطربا فلست بمستمطرٍ خلبا

فحق « يطارب » أن تجزم بلام الأمر ؛ ولكنك إن جزمتها بالسكون أفسدت البيت وزناً ، وإن حركتها أفسدتَ البيت نحواً ، لأنه لامجال للتحريك ولا داعي له ، فالتمسنا له عذراً بأن حركناها بالفتح على الاتباع ، إلحاقاً بحركة الميم في « من » التي تلتها ...

وتجد أيضاً :

الحشد ملء الدار لكن لم يرِ أحداً سواها(۱)

فحق فعل « يرى » أن يجزم بـ « لم » وتحذف بالتالي ياؤه ؛ ولكنك إن فعلتَ ذلك — كما فعله الشاعر — وقعتَ في إفساد لوزن البيت إلا إذا أشبعت فتحة الراء ؛ وأنت إذا أشبعتَ فتحة الراء ليستقيم لك وزن البيت تظاهر للسامع أنك مخطيء نحواً لأنك لم تجزم بلم ، ولم تحذف حرف العلّة . وتتكرر مثل هذه الحالة مرات ومرات في ثني الديوان ؛ وقد تجدها في مثل قوله :

تركت النجم مثلك مستهاما فان تسه سها أو نمت ناما

۱ — مثل هذا الاشباع يجيزه الكوفيون الذين يتوسعون في القياس على الشاذ النادر

كما تجد في الجداول

وحطمت أقداحي ولمّا أرتوي   وعففت عن زادي ولمّا أشبع

وتجد ضرورة الاشباع في مثل قوله :

إن تر زهرةَ وردٍ   فوقها للطلِّ قطره(١)

وقوله :

أيا زهرة الوادي الكئيبة إنني   حزين لما صرت إليه كئيب (٢)

وقوله :

فتمسين ، للأقذار فيك ملاعب   وفي صفحتيك للنعال ضروب(٣)

وتجد إلى جانب ذلك هذا اللون من الحذف الذي لايجيزه الا الكوفيون على ضعف :

ما على من لايطيق يرى   أن في الأرض السهى عشبا(٤)

فهو يريد أن يقول : من لايطيق أن يري ، فحذف « أن » في غير موطن حذفها وتجد هذا في قوله :

فاعمل لاسعاد السوى وهنائهم   إن شئت تسعدَ في الحياة وتنعما(٥)

فهو هنا قد وقع في أمرين ، أولها أنه عامل «سوى» معاملة الاسم فأدخل عليها الألف واللام ، مما لانعرفه ؛ والثاني أنه نصب « تسعد » بـ « أن » أضمرها ، ليستقيم له نصب القافية معطوفة على « تنعما » .

١ ـ الجداول ص ٣٦ طبعة مطبعة الزهراء في النجف الاشرف « دون تاريخ »
٢ ـ « ص ٨٢   ٣ ـ الجداول ص ٨٤
٤ ـ « ص ٩٤   ٥ ـ « ص ٥٠

ثم كان لا بد لهذا الشاعر الناشيء بعد أن وصل أمريكا وعاش هناك ، يمارس حياة جديدة بالنسبة اليه ويمارس أفكاراً جديدة وأساليب جديدة أيضاً ، من أن يهتم بلغته كما قلنا ويُعنى بها بعض العناية ؛ لذا نجده في الفتره الثانية من حياته في أمريكا قد تغير أسلوبه ، إذ أضاف الى مصادر ثقافته ثقافة مدرسة « الرابطة القلمية » ، إذا صحّ أنه تأثر بها ليخرج من الأُطر التي كان يعيش فيها .

ولا بد لنا بالتالي أن نقف وقفة قصيرة عند هذه المدرسة المهجرية الكبيرة التي لمع اسمها كمدرسة أدبية لها خطرها في الادب الحديث .

الرابطة القلمية

مازال المهاجرون العرب الذين استوطنوا أمريكا في غمرة هـــذه الهجرة الكبيرة في مطلع القرن العشرين يشعرون بأنهم عرب رغم « تأمركهم » ، ولقد شعروا بالتالي أن عروبتهم مهددة بالانهيار والضياع في تيار الحياة الامريكية الجديدة التي أخذوا أنفسهم بها ، لذا فقد سارع فريق منهم الى إنشاء المجلات الادبية والصحف اليومية لتكون صوتهم والدليل فيما بينهم .

ويقول الاستاذ أنيس نصر(١) « وصل المهاجرون اللبنانيون الأولون الى أمريكا منذ قرن كامل تقريباً لا يحملون مالاً ولا يفهمون لغة البلاد التي نزلوا فيها ولا يعرفون شيئاً عن أحوالها وعادات سكانها ، فاعتمدوا على ذكائهم ونشاطهم وإقدامهم وقبضوا ، بعد مرور سنوات قليلة العدد ، على ناصية التجارة ... » الى أن يقول « ... ولكنهم ذللوا كل صعب وتعلموا لغة البلاد التي يعملون فيها وأنشأوا

١ - النبوغ اللبناني - ص ١٩ و ص ٢٥ نقلاً عن خطبة لشكري الخوري ، منشيء جريدة « أبو الهول » في مهرجان يوبيل جريدته الفضي في سانباولو - البرازيل « ١٥ آب ١٩٣٥ م »

الصحف اليومية الكبري في مختلف لغات العالم وأسسوا الصحافة العربية في بلادهم وفي مهاجرهم ومازالوا حتى اليوم أمراءها المجلين ... »

« وقد ظهرت الصحف العربية جنباً الى جنب مع ظهور أول جالية سورية استقرت في شارع واشنطن » « وصدرت أول صحيفة عربيّة في الولايات المتحدة عام ١٨٨٨ م باسم « كوكب أمريكا » وكان يملكها اثنان من أولاد يوسف عربيلي ، وأول من حررها هو نجيب دياب الذي أسس فيما بعد « مرآة الغرب » (١)

وقد بلغت الجرائد في الولايات المتحدة تسعاً وسبعين جريدة ومجلة(٢) .

ومن هنا يتبيَّن لنا أن الحركة الأدبية في المهجر هي صنيع العقد الثامن من القرن المنصرم ، ولكنها كانت حركة محدودة لم نحسّ لها ركزاً ولم ينتقل صداها من المحيط الذي كانت فيه ، ذلك أنها إنما أنشئت للجاليات العربية الموجودة هناك ، ولم تكن تتسم بأي ميسم مميز بل كانت غايتها اخبارية بالدرجة الأولى ونشر بعض ما يعتلج في النفوس من مألوف الشعر والنثر في الحنين والشكوى وما اتصل بها من أغراض محدودة ...

على أنّ هذا الأطار الضيق الذي كانت تتنفس فيه اتخذ شكلاً آخر عندما وجد بين المهاجرين أمثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه وايليا أبي ماضي .

---

١ ـ كتاب الناطقون بالضاد في أمريكا ص / ٤٠ واقتبسه الاستاذ نجم في كتابه « القصة » ص / ٨٦

٢ ـ من احصاء فيليب طرازي في تاريخ الصحافة ج / ١ و ج / ٢

على أن من الانصاف لتأريخ الحركة الأدبية في المهجر أن نشير الى أن الذي بعثها وأحياها ونقلها من جوها المحدود الى الجو العربي في مشارق الأرض ومغاربها إنما كان أديب المهجر الأكبر جبران خليل جبران ؛ يدعم ذلك ماروواه الاستاذ ميخائيل نعيمه في ثني كتابه النفيس « جبران خليل جبران »(١) .

على أن الذي يعنينا من هذا المبحث إنما هو تأريخ « الرابطة القلمية » التي تحدث عنها الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمة فأفاض في الحديث (٢) .

وفي ثبت أعضاء الرابطة القلمية نجد هؤلاء : « ندرة حداد ، إيليا أبو ماضي ، وديع باحوط ، رشيد أيوب الياس ، عطا الله ، عبدالمسيح حداد ، نسيب عريضة »

ونجد في مكان العمادة « جبران خليل جبران » ، و « ميخائيل نعمية » مستشار ، و « وليم كاتسفليس » — خازن — (٣)

أما نشأتها فانه « ... في خلال ليلة أحياها صاحب « السائح »(٤) واخوانه في بيتهم ، في العشرين من نيسان سنة ١٩٢٠ م ، ودعوا اليها رهطاً من الادباء والاصحاب ، دار الحديث عن الادب وعما يمكن الادباء السوريين في المهجر

---

١ ـ ظهرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب القيم في بيروت سنة ١٩٣٤ وطبع في مطبعة « لسان الحال » ، ثم تكررت طبعاته على يدي « مكتبة صادر » .

٢ ـ تجد تفصيلاً للبحث أيضاً في كتاب « الناطقون بالضاد في امريكا » ليعقوب العويدات البدوي الملثم وقد ترجه عن نشرة بالانكليزية لمعهد الشؤون العربية الامريكية — نيويورك سنة ١٩٤٦ م وطبع بالمطبعة التجارية — بالقدس .

٣ ـ المبحث مستقى من كتاب « جبران خليل جبران » للاستاذ ميخائيل نعيمة ص / ١٦٩ وما بعدها — طبعة بيروت ١٩٣٤ م .

٤ ـ السائح — جريدة نصف أسبوعية لصاحبها ومؤسسها عبد المسيح حداد . وكان مضى على تأسيسها ست سنوات قبل قيام الرابطة القلمية لتكون لهم بوقاً فيا بعد .

القيام به لبث روح جديدة نشيطة في جسم الادب العربي وانتشاله من وهدة الخمول والتقليد الى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الامة ؛ ورأى أحدهم أن تكون لأدباء المهجر رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم في سبيل اللغة العربية وآدابها . فقابلت الفكرة استحسان كل الادباء الحاضرين(١) ... وأقروا باجماع الاصوات مباشرة السعي لتحقيق هذه الفكرة ... »

ونجد في سجل الجلسة الثانية أن الحاضرين(١) قد أقروا الامور التالية :

١ً . ــ أن تدعى الجمعية « الرابطة القلمية » .

٢ً . ــ أن يكون لها ثلاثة موظفين وهم : الرئيس ويدعى العميد ، فكاتم السرّ ويدعى المستشار ، فأمين الصندوق ويدعى الخازن .

٣ً . ــ أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات : عاملين ويدعون عمالاً ، فمناصرين ويدعون أنصاراً فمراسلين .

٤ً . ــ أن تهتم الرابطه بنشر مؤلفات عمالها ومؤلفات سواهم من كتّاب العربية المستحقين ، وبترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الاجنبية .

٥ً . ــ أن تعطي الرابطة جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعاً للأدباء .

ووكل الحضور أمر تنظيم القانون الى العامل ميخائيل نعيمة . ثم تمّ انتخاب جبران للعمادة ونعيمة للمستشارية ووليم كاتسفليس للخزن .

وبعد أن تم وضع هذه النواة للرابطة ضمن هذه الحدود التي هي بمثابة ملامح لبرنامج الرابطة وأهدافها كان عليهم أن يضعوا قانوناً .

وإني لأعجب لرابطة قلمية ، فكرية ، يكون لها « قانون » وقد كان حرياً

---

١ – نلاحظ عدم وجود اسم ايليا أبي ماضي بين الحاضرين في الجلستين .

أن تكتفي بذاك البرنامج لشموله وكفايته في مثل المجـــال الذي كانت عليه أهداف الرابطة .

ولم يذكر لنا الاستاذ نعيمة ـ المستشار ـ شيئاً عن هذا « القانون » وإنمـا أورد لنا قسماً من مقدمته ، ليبين لنا روح الرابطة ومراميها ...

وجاء في تعريف الأدب : « ليس كل ماسطر بمداد على قرطاس أدباً ، ولا كل من حرّر مقالاً أو نظم قصيدة موزونة بالأديب . فالادب الذي نعتبره هو الادب الذي يستمدّ غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها .... والاديب الذي نكرمه هو الاديب الذي خصّ برقة الحسّ ، ودقة الفكر ، وبُعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها وبمقدرة البيان عما تحدثه الحيـــاة في نفسه من التأثير ..... »

فها هنا تعريف الأديب ، يُطل علينا من خلال وجهة نظر مستشار الرابطة القلمية ؛ وواضح أن شاعرنا الكبير أبا ماضي كان يصدر عن هذا التعريف عندما قدم ديوانه « الجداول » بهذه التقدمة :

لست مني إن حسبْــتَ الشعر ألفاظاً ووزنا
خالفت دربك دربي وانقضى ما كان منـــا
فانطلقْ عني لئـــلا تقتني همـّاً وحزنا
واتخذ غيري رفيقـــاً وسوى دنيـــاي مغنى(١)

---

١ - وقد علق الدكتور طه حسين على هذه الأبيات في مقال له (ج/ ٣ حديث الاربعاء ص/ ١٩٦) قال : فمن الحق أن الشاعر لايقول شيئاً في هذا الكلام لأن الشعر لايستقيم ولا يوجد ولا يمكن تصوره بغير الألفاظ والوزن . وآية ذلك أن الشاعر نفسة قدملنا فيديوانه هذا ألفاظاً موزونة . ولم يقدم لنا كلاماً منثوراً في غير وزن ولم يقدم لنا معاني في غير ألفاظ ... اذاً فاللفظ ليس من الضعة وضآلة الشأن بحيث يريد الشاعر أن يقول في هـــذه الابيات التي رويناها لك ... وعلىهذا النحو نخالف الشاعرفياذهباليه منازدراء اللفظوالوزن ... » ا.هـ .

ثم يتحدث الاستاذ نعيمه في مقدمة « قانون » الرابطـة القلمية عن « الأدب » الذي يريده ...

« ... إن هذه الروح الجديدة التي ترمي الى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار في جميـل الأساليب والمعاني لحريـّة* في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة فهي أمل اليوم وركن الغد . كما أن الروح التي تحـاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء في المعنى والمبنى هي في عرفنا سوس ينخر جسم آدابنا ولغتنا ، وإن لم تقاوم ستؤدي بهـا الى حيث لانهوض ولا تجدد

« بيد أننا إذا ماعملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة ، لانقصـد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين . فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر إلهام للكثيرين غداً وبعد غد الا أننا لسنا نرى في تقليدهم سوى موت لآدابنا ؛ لذلك فالمحافظة على كياننا الأدبي تضطرنا للانصراف عنهم إلى حاجات يومنا ومطاليب غدنا ؛ وحاجات يومنا ليست كحاجات أمسنا ... »(١)

ولسنا ندري في واقع الأمر ما الذي يعنيه الاستاذ ميخائيل نعيمه من قوله في تعريف الادب « ... ان هذه الروح الجديدة التي ترمي الى الخروج بآدابنـا من دور الجمود والتقليد الى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعـاني لـ ... فهي أمل اليوم وركن الغد » ؛ فان في هذا الكلام كثيراً من الغموض والابهام ؛ فهـل المقصود من قوله « دور الجمود والتقليد » التقليد والجمود في المبنى أم في المعنى ؟ فان كان المقصود هو الجمود والتقليد في حدود المعنى فانّ المعاني — كما يقول أبو هلال العسكري — مطروحة في الطريق ... ولم يقف أمر التقليـد في

---

(١) ص ١٧١ وما بعدها .

يوم من الأيام على المعاني ، ولم يدَّع أحدٌ أن الجمود قد نال المعاني ، حتى أصبح بحاجة للتحرر من مثل هذا الجمود ... وإن كان المقصود هو الجمود والتقليد في حدود المبنى فلسنا على وضوح في هذا الذي ذهب اليه الأستاذ ، إلاّ إذا كان يريد الخروج والتحرر من « الأسلوب » الذي كان رائنا على عصر القرن الرابع ثم عصر الدول المتابعة أو عصور الانحطاط من حيث اهتمامه بالسجع والطباق والجناس وهذه المحسنات البديعية التي أصبحت غاية في ذاتها طوال ذاك العصر .

وفي هذه الحالة لانجد مايبرر مثل هذه الدعوة للتحرر من الجمود والتقليد والدعوة الى الابتكار والتجديد ؛ لأنه ليس هناك جمود في المعاني ولا في المباني وإنما هناك على وجه التحديد أدباء مجترون ، يرددون ماسبق أن تظاهر من منثور عصر الانحطاط ومنظومه ، ومن هنا نرى أن مدرسة « الرابطة القلمية » انما هدفت الى الانفلات من « أساليب » عصور الانحطاط التقليدية التي لم تعد صالحة للتعبير عن حاجات الحياة اليومية في الاجتماع والأدب ، ولم تنفلت من قيود اللغة العربية ولا من معانيها وإن كانت أضافت الى كتاباتها هذه الأفكار الجديدة التي تلقتها من بيئتها الجديدة في المهجر .

على أنه من مقتضيات البحث أن نشير الى كلمة الدكتور طه حسين في مجال التعليق على كتابات المهجريين « ... ولكنني حائر حقاً في أمر هذا النحو من الشعر وهذا الفريق من الشعراء . قوم منحوا طبيعة خصبة وملكات قوية ، وخيالاً بعيد الآماد ، وهم مهيئون ليكونوا شعراء مجوّدين ، ولكنهم لم يستكملوا أدوات الشعر ، فجهلوا اللغة أو تجاهلوها ، ثم اتخذوا هذا الجهل مذهباً ، فأصبحنا من أمرهم في شك مريب ، لانستبيح لأنفسنا أن نغري الناس بقراءتهم لأنا إن فعلنا أغريناهم بالخطأ ، ورغبناهم فيه ودفعناهم الى ماهم مدفوعون اليه

بطبعهم من الكسل والقصور والتقصير . على أن هذا النحو من الضعف لم يكن شائعاً مألوفاً في مصر بل لم يكن شائعاً مألوفاً في بلاد الشرق العربي ، ولكنه أقبل عليها من مهاجر السوريين في أمريكا ، فتأثر به الشباب بعض الشيء .... وما الذي يمنعهم أن يتأثروا به وهو مريح لايكلف تعباً ولا عناء ، وهو في الوقت نفسه يخيل الى الشبان أنهم يقلدون الشعراء الغربيين ويجددون في الأوزان والقوافي ويخرجون على التقاليد فيعنون بالمعاني دون الألفاظ ؟...»(١)

وكأنني بالاستاذ ميخائيل نعيمه يرد على الدكتور حسين عندما قال«... ونقم أنصار التقليد والجمود على الرابطة ، فما كانت نقمتهم إلا لتزيدها قوةً وحماسةً واندفاعاً ولتنمي عدد أنصارها ومريديها ومقلديها والمعجبين بها في كل قطر عربي ، حتى حار في أمرها أصحابها وأعداؤها على السواء ؛ فما عادوا يعرفون الى ماذا يعزون سرّ قوتها وبُعد تأثيرها . فمن قائل إن السر في الأدب الامريكي الذي تأثر به عمال الرابطة ، وهو قول فارغ ، ومن قائل : إنه في جو الحرية الامريكية ؛ وهو قول أفرغ ، ومن قائل إنه في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة العربية وأصولها ، وهو قول أفرغ وأعقم من القوالين الأولين . أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الذي جمع عمال الرابطة القلمية في فسحة محدودة من ديار غربتهم ولمحة معلومة من زمان هجرتهم ووضع في صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارةً وبهاءً لكنها من موقد واحد » (٢)

وكأننا نجد الأستاذ نجم يدلي بدلوه في الموضوع ويبدي رأيه في أدب المهجر فيقول : « ... والذي يهمنا من هذه الحركة هو وجهها الأدبي ، وهو

---

(١) حـ/٣/ حديث الاربعاء / ص ٢٠٠ وما بعدها

(٢) جبران خليل جبران للنعيمه ص ١٧٤

وجه مشرق ناصع . فقد كتب للكثيرين من هؤلاء المهاجرين أن يبرزوا في عالم الأدب والفكر كما برزوا في نواحي الحياة العملية . ومن منا ينكر المساهمة القيمة التي شارك بها المهجريون في نهضتنا الادبية الحديثة . ومن يجهل «الرابطة القلمية» التي كان رئيسها جبران خليل جبران ومن أعضائها ميخائيل نعيمه وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة و ... وهذا لا يعني أن النشاط الأدبي في المهاجر الامريكية انحصر في هاتين الجمعيتين (يعني بالثانية العصبية الاندلسية في أمريكا الجنوبية) بل هنالك أدباء كثر لم ينتظموا في سلكها ... »(١)

ويستمر الاستاذ نجم فيقول « ... نود أن نجمل رأينا فيها — في الرابطة — بأن نقول : إن هذه المدرسة التي اتسمت بميسم القوة والتجديد والثورة على كل قديم بال هي أقوى مدرسة عرفها الادب العربي الحديث حتى اليوم . وقد ضربت بسهم صائب في حقل الأدب واستطاعت أن تقدم الى أدبنا طائفة مختارة من الأدباء الذين شاركوا في الأدب بألوانه المختلفة مشاركة طيبة ، والذين نفحونا بروحانية طغى عليها التفكير الفلسفي الصوفي . وقد عني هؤلاء الأدباء بالفكرة والموسيقى اكثر مما عنوا باللغة وقواعدها . »(١)

ويذكر الأستاذ الياس أبو شبكه(٢) شيئاً عن موقف أدباء العربية من أدباء المهجر وأدبهم ، فيرى أنه « كموقف البرناسيين الفرنسيين من بعض أدباء العهد الرومنطيقي على وجه التقريب . ففي العام ١٨٦٦ م عندما أذاعت المدرسة البارناسية مبادئها راحت تنحي باللائمة على الشعراء الذين

---

(١) القصة في الأدب العربي الحديث ص ٨٦

(٢) روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ص ١٠٢

يهملون العناية باللغـــة وقواعد النظم ، فيسلكون مثلاً مسلك ألفرد ده موسيه الذي كان له من عبقريته مايشفع بقوافيـــه المضطربة ... سوى أن الشعراء البرناسيين كجوزي ماريا ده هريديا ، وبودلير ، وليكونت ده ليل ، وفرانسوى كوبيه ، وأضرابهم كانوا يرتفعون بقوة أفكارهم وجمـــال صورهم الى مستوى الصياغة والمتانة اللتين كانوا يطالبون بالتمسك بها ، فلم يهبط المستوى الفني عن مرتبة الشاعر ، خلافاً لأدبائنا الذين كانوا يأخـــذون على جبران والريحاني وعريضه وإخوانهم من رجال الرابطـــة الأدبية في المهجر ضعف لغتهم ونبذهم القواعد المأثورة في النظم والنثر » ...

ومها اختلفت الاقوال في هـذه المدرسة المهجرية بين مدافع عنها وبين محبذ لها ومنشط ومهاجم فان الذي لاريب فيه أنها احتلت مكانة لها قيمتها في الميدان الأدبي خلال الربع الثاني من القرن العشرين وكان لها نصراؤها ومحبوهـــا « ولا يزال لهذه المدرسة أثرها في الأدب العربي المعاصـــر . وقد بدأ الضعف يدب في عناصرها ، (خاصة بعد وفاة عميدها جبران) إذ أن الامداد الأصيل الذي كان يأتيهـا من أرض الوطن يكاد ينقطع سيله الآن . وكل أديب يموت هناك يدق مسماراً جديداً في نعشها »(١)

أما مدى انطباع المدرسة في شعر الشاعر أبي ماضي ، ومدى ما أســـداه الشاعر لهذه الرابطة ، فاننا ندور كثيراً في شعر الشاعر فلا نجد الا الروح المجنحة التي حملته على التخلي عن مدرسة تقليد القدماء في ألفاظهم وتعبيراتهم بل وأسلوبهم لينطلق في رحاب المدرســة الجديدة التي تهتم بالفكرة أكثر

---

(١) القصة في الادب العربي الحديث ص ٨٨

مما تهتم بالثوب الذي تضفيه على تلك الفكرة ؛ فاذا نظرت في ديوانيه التاليين « الجداول » و« الخمائل » فلن تجد المطالع الفخمة التي تذكرك بالمعلقات أو بلامية العرب أو العجم وما اتصل بذلك ، وانما تجد لوناً جديداً ليس فيه إلا محاولة التعبير عن أفكار جديدة هي وليدة البيئة الجديدة التي عاشها مع زملائه أعضاء الرابطة القلمية .

* * *

ولست بمعرض الحديث عن « أثر الرابطة القلمية » في شعره لأن « الرابطة القلمية » إنما قامت بمعاونة الشاعر ايليا أبي ماضي ، فهو علم من أعلامها وعامل من عمالها ؛ إلا أنه لا بدّ من التنويه بالانطلاق الذي أصبح عليه منذ سلك في عداد عمال الرابطة القلمية وكان عليه بالتالي أن يثبت وجوده كشاعر يدافع عن تلك « المبادىء » ، التي ألمع اليها الأستاذ الكبير ميخائيل نعيمه في مقدمة « قانون الرابطة القلمية » ، وأن يعتنقها ويؤمن بها نصاً وروحاً .

على أن المتتبع شعر أبي ماضي ، بُعيد اشتراكه في إنشاء الرابطة القلمية حتى آخر منظومة له ، يجد الشاعر الكبير من مدرسة غير مدرستهم وفي اتجاه غير اتجاههم . ولسنا ندعي أنه مخالف كما لا نقوى على الادعاء أنه منصهر في بوتقتها ، بل كان ذاك الشاعر الفرد يغني ما تمليه عليه موهبته دون أن يتعمّد هذا اللون أو ذاك ، ودون أن يحاول أن يكون صاحب مدرسة خاصة في الشعر لها طريقتها ولها أسلوبها المتميز .

* * *

على أن مما لاشبهة فيه أن إيليا أبا ماضي شاعر كبير « يصعد الى الملأ الأعلى ولكن على سلّم أبقى وأقوى من الجبال ؛ يصعد بعزم الروح ، ويتمسك بحبال، غير منظورة ولكنها أمتن من سلاسل الحديد ؛ يتمسك بحبال الفكر ، ويملأ كأسه من عصير أرق من ندى الفجر ، يملأها من خمرة الخيال ؛ والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح . »(١)

ويضيف جبران خليل جبران قائلاً « ... وإيليا أبو ماضي شاعر ، وفي ديوانه سلالم بين المنظور وغير المنظور ، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها ، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن ترشفها تظلّ ظمآناً حتى تمل الآلهة البشر فتغمره ثانية بالطوفان » ٢

* * *

رأيه في الشاعر

ولعلّ هذا الذي أسبغه جبران خليل جبران على ايليا أبي ماضي انما هو مستقى من تعريف أبي ماضي للشاعر ؛ إذ تطالعك في صدر الجزء الثاني من ديوانه قصيدة بعنوان « الشاعر »(٣) ، وقد حاول أبو ماضي أن يجري حواراً

---

١ ـ من مقدمة « الجزء الثاني من ديوان ايليا أبي ماضي » كتبها جبران خليل جبران طبعة نيويورك ـ ص/٤

٢ ـ المصدر السابق ـ ص٥

٣ ـ تجد هذه القصيدة بتامها في مستهل المنتخبات من هذه الدراسة . ص ١

بينه وبين فتاته حول تعريف الشاعر فجاء بالبديع من القول .

فالشاعر ، من حيث هو شاعر ، كالكهرباء ، في خفائها وظهورها ، وهو ذاك الذي حباه الاله القدرة على ملاحقة خفايا الأشياء ، فكأنه لا يرتضي بظواهرها بل يروح متسائلاً عما وراء المنظور :

... ... أنا كالكهرباء ، أُرى خفياً ظاهراً
... هو من يسائل نفسه عن نفسه في صبحه ومسائه
والعين سرٌ سهادها ورقادها والقلبَ سرٌ قنوطه ورجائه

وهو بالتالي ذاك الانسان الذي حار في كل شيء ، ولم يقنع بشيء ، ولم تصل معرفته الى مرتبة اليقين في أية قضية من قضايا الحياة ، لذا تراه أبداً معلق الأنفاس ، مبهورها ، يسائل نفسه ولا من مجيب ، فتغلبه شكوكه على نفسه فيقول في وصف الشاعر :

فيحار بين مجيئه وذهابه ويحار بين أمامه وورائه

ولكن هذا الانسان الحائر بين أمسه ويومه وغده ، وبين منشئه ومصيره له قدرة على رؤية الأشياء المبهمة فكأنه على شيء من العلم بالغيب :

ويرى أفول النجم قبل أُفوله ويرى فناء الشيء قبل فنائه

وهو الى جانب هذا سادر في مهامه الحياة ، غامضٌ في تصرفاته تأخذه موجات من التشاؤم كاسحة ... فهو :

إن نام لم ترقد هواجس روحه وإذا استفاق رأيته كالتائه
ما إن يبالي ضحكنا وبكاءنا ويخيفنا في ضحكه وبكائه

ويسير في الروض الأغن فلا ترى   عيناه غير الشوك في أرجائـه

حتى إذا أخذت منه الأنانية مأخذها الرهيب أصبح :

كالنار يلتهم العواطف عقله   فيميتها ويموت في صحرائه

ويتبادر الى الذهن أن هذه الأنانية أصيلة ، في جبلته ، تجري في دمائـه ، ولـكنك إذا أمعنت النظر تلامحت لك غيريته بأجلى مظاهرها ..

هو من يعيش لغيره ويظنـه   من ليس يفهمه يعيش لذاته

وجملة القول في صفـات الشاعر أن فيه من الناس أحاسيسهم ومشاعرهم ولكنه الى جانب ذلك يسمو عليهم بهذه القدرة الجبـارة على اختراق المنظور والـكشف على اللامنظور ...

كلمـــا هزّت يداه وتراً   هزّ من كل فؤادٍ وتره

وهو تعيس في الأمة التعيسة :

تعس الحظ ، وهل أتعس من   شاعرٍ في أمةٍ محتضره ؟ ..

وهو رسول القومية ورسول المحبـة ورسول السلام ورسول الحرب ، وكما هو قادر على هزّ المشاعر ، وقادر على التطلع الى المجهول ليكشفه ويجعله معلوماً ، فهو قادر على الانفعال والغضب ، تأخذه الحمية إذا به :

ثم لمـــا عبث النـاس به   مزّق الطرس وشجّ المحبره(١)

---

١ ـ الابيات مأخوذة من قصيدته « الشاعر والامة » راجع المنتخبات في هذا الكتاب ص - ٢٨

فهنا تتلامح لك صورة أقرب ماتكون الى الكمال لذاك الانسان الذي أراد أن يحدد أبو ماضي صفاته ويبين مميزاته ؛ فهو قبل كل شيء « إنسان » يحس كما يحس الآخرون فينفعل كما ينفعلون ويميل مع نفسه كما يميلون ، الا أنه في مجالي الفكر ومطارح الرؤية نراه يفكر أبعد مما يفكرون ويرى بأقوى مما يرون فيجمل القول والصفات ليعرّف الشاعر فيقول (١) :

انما نحن معشر الشعراء	يتجلّى سِرُّ النبوّة فينا

★

على أن أبا ماضي وقد تحدث في « الشاعر » لم يترك الحديث في « الشعر » . ولا يعني هذا أنه قد حاول تحديد « مفهوم » الشعر ، أو حاول أن يرسم خطوطه بريشة صاحب مدرسة خاصة ، ولكنه التفت الى من تقدمه من الشعراء فأنكر من شعرهم بعض الأغراض ، فهو يأنف من التشبيب بالخمرة ، كما يترفّعُ عن المديح ووصف النساء ، ويعتبر ذلك من « سفاسف الشعراء » ؛ وإذا كان الشعراء القدامى برأيه ، قد أخذوا أنفسهم بالمديح ، يجعلونه غرض الاغراض في شعرهم ، فشاعرنا يعتبر ذلك منقصة يترفع عنها ولا يتدني اليها :

أنا ما وقفت لكي أشبب بالطلا	مالي وللتشبيب بالصهباءِ
لاتسألوني المدحأووصفالدمى	إني نبذت سفاسف الشعراء
باعوا لأجل المال ماء حيائهم	مدحاً وبتُّ أصون ماء حيائي
لم يفهموا بالشعر إلا أنه	قد بات واسطة الى الاثراء

١ - الجداول - مطبعة الزهراء - النجف الأشرف - العراق - ص ٣٧

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكان هيناً ، ذلك أن أبا ماضي قد نظر الى الشعراء القدامى بباصرة القرن العشرين ، ولم ينظر إليهم بباصرة القرون التي عاشوا فيها والتي كانت تقهر الشاعر على ألا يقول الشعر إلا للتكسب لمحدودية وسائل العيش من جانب ولانعدام الصحافة التي هي بوق الخلفاء والسلاطين والمتسلطين من جانب آخر ؛ الا أننا نرى الشاعر مولعاً بالتعميم عندما يجعل صفة الرياء ملاصقة لأخلاق « أولئك » الشعراء :

« ألفوا الرياء فصار من عاداتهم » ...

ومن هنا يتضح لنا رأي الشاعر أبي ماضي فيمن تقدمه من الشعراء أولا وفي أغراض شعرهم ثانياً ؛ أما مذهبه هو في الشعر ، فلم يكد يشير إليه إلا في مقدمة ديوانه الثالث « الجداول » عندما قال في تلك الفاتحة :

لستَ مني إن حسبتَ	الشعر ألفاظاً ووزنا
خالفت دربك دربي	وانقضى ما كان منا

ومن الواضح الجليّ الذي لا يرقى اليه الشك أنّ الشاعر يريد أن يقول إن الشعر ليس ألفاظاً وأوزاناً وانما هو روح ومعنى ، فكأنه بهذا قد انتصر لمدرسة المبنى . وهو الى جانب ذلك لم يذكر شيئاً عن العاطفة في الشعر(١) والصدق . ولعل أمير الشعراء كان أجمع لتعريف الشعر حين قال :

والشعر ، مالم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة ، فهو تقطيع وأوزان

---

١ - ارجع الى كتاب « من النقد الفرنسي » للاستاذ محمد روحي فيصل ، نشرته دار اليقظة العربية في سلسلة منشوراتها « اليقظة » عدد «٢» ففيه من المباحث في الشعر ، والحاجة اليه ، والحياة والشعر ، ماهو جدير بالدراسة والاقتباس .

فشوقي ، بهذا التعريف ، قد ميز الشعر من النظم ، وأبان عن أهدافه فجعلها في ثلاثة أهداف : الذكرى ، والعاصفه ، والحكمة ؛ فلو خلا الشعر من أحد هذه الأغراض عاد نظماً يُسلك في عداد الموزون ، بينما نجد أبا ماضي قد أهمل التحدث عن هذه الاغراض وأضاف إلى ذلك إهمال اللفظ ، مما ساق الدكتور طه حسين سوقاً الى أن يأخذ عليه ذلك بشدة وعنف كما سبق القول .

وما دام الموضوع دائراً في تحديد مفهوم الشعر فلا علينا إذا أثبتنا رأي الشاعر الفرنسي الكبير « بول فاليري »(١) لأنه يُبين عن عمق في فهم الشعر ؛ قال : « للشعر في الأفهام معنيان : أولهما أنه مجموعة العواطف والانفعالات التي تهيجها في نفوسنا أحداث الزمن ، ومجالي الطبيعة ، ومعاني الوجود ، وألوان الحياة . فنقول ، منظر شعري ، وظرف شعري . وثانيهما انه فنٌ قائم وصناعة عجيبة ، يتناول الأهواء المشبوبة بالتنسيق والتأليف والجلاء ، ثم يبرزها في لغة جميلة تطرب لها الأذن ويهتز منها القلب . » .

ونرى من جانب آخر ان أيليا أبا ماضي قد جعل شعاراً لجريدته التي أصدرها في نيويورك ولا يزال ، هذين البيتين :

أنا لا أهدي اليكم ورقاً	غيركم يرضى بحبر وورقْ
إنما أهدي الى أرواحكم	فكر أتبقى اذا الطرس احترق

فـ « الفكرة » هي التي تتغلب لدى الشاعر على اللفظ ، كأنه من أنصار المعنى وحده ، فالشعر عنده ، أو مايصدر عنه بالذات ، إنما هو فكر خالد ،

---

١ - كتاب « من النقد الفرنسي » للاستاذ محمد روحي فيصل - في سلسلة « اليقظة » التي كانت تصدرها دار اليقظة العربية بسورية - العدد ٢ ص ٩ - طبعة ١٩٤٣ م .

باق بقاء الزمن ؛ ويبقى بعد هـذا أن نتساءل مع الشاعر الكبير عما إذا كان الخلود يصد عن الأثواب الجميلة وهو يراها تكسو تلك الأجساد الخالدة !!!

ثم نجد الشـاعر الكبير وقد قدّم قصيدة الى روح الشـاعر الخالد خليل مطران(١) فعرّف فيها بالشاعر ...

فالله – عزّ وجل – عندما أبدع هذا الكون ورأى هذا الجمال المبثوث في كل شيء من أشيائه ، وطرب لخلقه وإبداعه خلق الشـاعر ...

خلق الشاعر ليكون في كل وجـه عيناً ، تبصر الحق ، وتهواه متحركاً أو ساكناً ، انساناً أو شيئاً أو شـأناً .. وبذلك ، وحده ، ضمن الله عدم فنـاء الحق وعـدم انقراض الحب ... ثم إذا تلفت تسائل نفسك عن قيمة هـذا « الشاعر » تجد أبا ماضي يرى أن الشاعر وحده هو الذي عانق الله يقينا ... وهب ربك أراد لهذا الشاعر ألا يكون على الارض ، فماذا أنت متوقع حدوثه؟.. سترى الأرض وما عليها شاحبة محزونة ، وهاداً وحزوناً ؛ وسترى السواقي وقد غاص ماؤها وعادت سراباً يهزأ بالظامئين ... ثم ... سترى الله – جل عن مثل هذا – مغموماً حزينـاً لأنه لم يخلق العين التي ترى والنفس التي تحس والفكر الذي يعي !

والى جانب هذه الصورة القوية للشاعر ، كما أرادها أبو ماضي ، فقد جعـل للشاعر رسالات ، عليه أن يؤديها في حياته ، رسالات في التفاؤل ، وفي تجميـل الحياة وتزيينها ، ورسالات في القومية ورسالات في المجتمع وما اتصـل بذلك ؛

---

١ ـ نشرت القصيدة في مجلة « العصبة » التي تصدر عن البرازيل ؛ واقتبسنا القصيدة في هذا الكتاب ص ٣٧٣ .

وحسبك أن تقلب صفحات دواوينه(١) ، فستجد ما اضطرب في نفس الشاعر منقوشاً بأحرف من نور تشير الى سمو الرسالة التي يحملها الشاعر مبشراً بها من جانب والى مدي مايحرق شمعة حياته لينير الدياجير للسارين في ليل الحياة الأبدي .

* * *

رأيه في المرأة

ما كنت لأحب أن أفرد مبحثاً خاصاً أشير فيه الى رأيه في المرأة أو السياسة وما اتصل بذلك ، لأنه يسوقنا بالضرورة الى تقصي جملة آرائه في مختلف مظاهر الحياة والمجتمع ، وهو مالا نقصد اليه ، ولكننا وجدنا له في بعض شعره ماهو جدير بالتنويه به في هذين الأمرين الخطيرين .

وعلينا بادىء ذي بدء أن نميز نوعين من النساء يذكرهما الشاعر في منظومه ، أولهما الغانية التي خلقها الله خدينة الشاعر في رحلاته العلوية لتكون موضوع غزله ومناجاته وموضوعات قصصه ؛ ومثل هذه الغانية — في شعر الشاعر — تتسم بالجمال المطلق ، فريقتها خمرة ، وخدها وردة ، وعيناها منبع السحر الحلال :

---

١ ـ القصائد التي تعالج هذه الموضوعات اكثر من أن يحصيها عد ، وقد اقتبسنا بعضها من الجزء الثاني من ديوانه وابثتناها في هذه الدراسة « الشاعر والامة ص ٢٨ ـ دموع وتنهدات ص ١٩٥ ـ أمة تفنى وأنتم تلعبون ص ٢١٠ » الشاعر والسلطان الجائر الخائل ص ٧ وغيرها .

ليت الذي خلق العيون السودا | خلق القلوب الخافقات حديدا(١)
لولا نواعسها ولولا سحرها | ما ود مالك قلبه لو صيدا
عوذ فؤادك من نبال لحاظها | أو مت كما شاء الغرام شهيدا

... ...

عيناك والسحر الذي فيهما | صيرتاني شاعراً ساحرا(٢)

وأمثال هذا اللون من الشعر منثور في أثناء المختارات التي انتقيناها لهذه الدراسة من الجزء الثاني من ديوانه وأثبتناها إثر هذه الدراسة ؛ وكلها لا تخرج عما نعلم من وصف الغواني لدى الشعراء في كل عصر ومصر .

ولست أريد تجاوز هذه « الغانية » قبل أن أشير الى أن شعر الشاعر فيها - في مختلف القصائد والمقطوعات - لا يعدو ما نسميه « النسيب » ، من حيث أنه يقول دون أن نستشعر عاطفة الشاعر الخاصة تجاه مخلوقة بعينها أو حبيبة وقف عليها حياته وشعره ، كأن الشاعر الكبير لم يعرف الحب ولم يستوحه في منظومه !

وأما الأنثى الثانية التي ورد ذكرها في شعر الشاعر فهي « المرأة » التي هي موضوع الخلاف السرمدي من حيث مكانتها في المجتمع والمهات الملقاة على عاتقها في هذه الحياه ؛ فهو هنا يتحدث عن « المرأة » مقابل « الرجل » .

ورأيه في « المرأة » واضح كل الوضوح ، فهي لم تخلق للعمل ، والكدح ، ولكسب المال ، كما لم تخلق لأن تباع وتشرى في سوق نخاسة الزواج وانما لها محل واحد عليها ألا تتجاوزه أو تطلب أكثر منه أو تكلف بغيره وهو « المنزل » .

---

١ - ص ٣٠٥ من هذا الكتاب

٢ - ص ٩٧ من هذا الكتاب .

وإذا كان أنصار تحرير المرأة لايرضون عن مثل هذا الرأي من الشاعر فانه قد صرح به في لفظ جريء لا مواربة فيه ولا مداورة ، فاستمع اليه يقول : (١) :

سجل العار علينا معشرٌ ... سجلوا المرأة بين الهمل

فهي إما سلعة حاملة ... سلعاً أو آلة في معمل

تتهاداها الموامي والربى ... فهي كالدينار بين الأنمل

في سبيل المال أو عشاقه ... تكدح المرأة كدح الأبل

الى أن يقول :

جشموها كل أمرٍ معضلٍ ... وهي لم تُخلق لغير المنزل

فهل يمكن لنا أن نطلق على الشاعر تعريف « رجعي » لاعتناقه مثل هذا الرأي الذي يعيد المرأة الى عرشها الخالد في بيت الزوجية ؟

وعلينا ألا ننسى أن شاعرنا يعيش في بلاد الحرية والنور والتحرر التحرير (٢)، فهو عندما يدلي بمثل هذا الرأي انما يُدلي به بعد أن لمس « ذلّ » المرأة في حقل العمل :

في سبيل المال أو عشاقه ... تكدح المرأة كدح الأبل

---

١ ـ قصيدة بنت سورية ص ٦٧ في المنتخبات من هذا الكتاب .

٢ ـ ينطبق هذا على أمريكا أيام صدر ديوان الشاعر الجزء الثاني ـ قبل سنة ١٩٢٠ م . أما اليوم فقد وأدت ـ فيما وأدت ـ تلك المبادىء الانسانية بكاملها عندما أقامت دولة الصهاينة في قلب البلاد العربية فكانت أدهى دولة استعمارية مزقت فلسطين الشهيدة شر ممزق وقدمتها لقمة سائغة لشذاذ الافاق !!!

فكان لابدَّ له في التالي من أن يدعو الى أن المرأة لم تخلق إلا للمنزل ، ضناً بكرامتها ومنزلتها أن تتدنى الى مرتبة الكدح والعمل المضني الشاق الذي خُلق له الرجل وحده !

★

رأيه في السياسة

رأيه في السياسة متصل اتصالاً وثيقاً بسبب هجرة الشاعر الكبير .. وعلينا أن نسجل ، أول ما نسجل ، أن الشاعر لايعتنق مبـــدأ سياسياً معيناً يبشر به ويدعو اليه ، وانما تمرُّ في شعره بعض المناسبات فيستغلها ليدلي برأيه في «السياسة» من حيث هي نمط من أنماط الأساليب العصرية للوصول الى الحكم .

وقد يدخل في هذا المبحث « قومية الشاعر » ، وغضبته المضرية على بعض الساسة من وجهة نظر المواطن الذي سئم حكاماً معينين لأنهم ظلموه أو ظلموا أمته ، كما في قصيدته « وداع وشكوى » (١)

وقد نجده يغضب غضبةً شديدة على تركيا والاتراك في أكثر قصائد الجزء الثاني من ديوانه ، لأن تركيا الغشوم جثمت على صدر الأمة العربية أربعة قرون أو تزيد فأذاقتها ألوان الاهانة والاذلال والاتعاس والافقار والاشقاء(٢) ... وقـد

---

١ - ص ٤٠ من هذا الكتاب .

٢ - مما دعا بعض الشباب الى الفرار من سورية ولبنان الى فرنسا لينضموا فيما بعـد الى الجيش الفرنسي الزاحف الى الشرق لاحتلال البلدين ؛ ظناً منهم أنهم بذلك يحررونها من الطغيان التركي . ارجع الى كتاب النبوغ اللبناني - قسم الحديث عن الاعلام .

نجده الى جانب ذلك يغرق في مدح « أمريكا » التي خلصت بلاده من نير الاتراك الجائرين ... إلا أن هذا جميعاً ليس إلا من قبيل « الانفعال » ، وما هو إلا رأي شاعر في وضع سياسي أو حالة قائمة ، لايعالج جوهرها وإنما يلامسهاملامسة قريبة تتصل بالمناسبة التي قيلت فيها القصيدة ؛ فهو من هذا الجانب « شاعر مناسبات » ، فلا مجال للاشارة الى ما يمكن أن يكون في شعره من تناقض بالنسبة لموضوع واحد ، ذلك أن الشاعر لايعالج « جوهر » السياسةوالاحداثالسياسية وانما يتحدث في بعض المناسبات عن هذا الذي يعتلج في نفسه إبان سخطه ، أو إبان رضاه !

ولست تجد في جميع منتخبات هذا الكتاب إلا هذا اللون من الشعر السياسي الذي يذم الاتراك لنذالتهم وسفكهم دماء العرب وخنقهم الحرية ووأدهم الشباب العربي المثقف حياً ... مما جعل الشاعر يصب جام غضبه على « الاسلام » الذي كانت تمثله الخلافة العثمانية ... فاذا مرّ ذكر « الهلال » وجدت الشاعر يحاول جاهداً أن ينتقص من قدره ويحط من قيمته ، لأنه رمز لتلك الخلافة وما كان في العثمانيين من فساد أصيل ...

وإذا انتصر الغرب على الأتراك في موقعة من المواقع أو معركة من المعارك وجدت الشاعر أبا ماضي يهتبل المناسبة ليجعل الصلبان تعلو على الأهلة ، تشفياً وشماتة بالأتراك !!

فاستمع اليه في قصيدة « بلادي »(١) يخاطب الأتراك مشيراً الى القرون الطويلة التي جثموا فيها على صدر سورية :

---

١ – ص ١٠٧ من هذا الكتاب

رجال الترك،ما نبغي انتقاضاً لعمركمُ ، ولا نبغي انتقاما

ولكنا نطالبكم بحقّ ونكره من يريدلنااهتضاما

حملنا نير ظلمكمُ قروناً فأبلاها وأبلانا وداما

وإذ ذكر ما خلّفه الاتراك من مساوىء قال يخاطبهم(١) :

رعيتم أرضنا فتركتموها إذا وقع الجراد رعى الرغاما

فبات الذئب يشكوكم عواءً وبات الظبي يشكوكم بغاما

ولا يقتصر الشاعر على هذا اللون من التأنيب العنيف ووصم التركي بهذه الصفات الجارحة حقاً وانما يعمد الى التعميم ، فيرى أن التركي جبان رعديد ، وعلاوةً على هذا الفساد والدمار الذي ينشره في كل أرض يحلُّ بها ، تراه يمشي الى حتفهِ بظلفه ، ويقود « الهلال » الى المحاق فالفناء ... ويبدو أن الشاعر يريد بعض الخير لهذا الهلال أو يتوسم له مستقبلاً أفيح وآتياً أنجح ..

جريتم بـ « الهلال » الى محاق ولولا جهلكم بلغ التماما

والتركي الى جانب جهله لئيم ، فكلما ازددنا لياناً زاد عراما ، وليس من طباعه حفظ الجار ولا في خلقه مراعاة الذمام ... أضف الى ذلك أنه مولعٌ باثارة الفتن والاحقاد حتى يفتك الناس بعضهم ببعض ...

ولو وقف الأمر بثورة الشاعر عند هذا الحد لقلنا تلك غضبة الكريم لقومه الذين أذلهم الأتراك أيما إذلال ، ولكنه شك في إيمان الاتراك ومسهم في عقيدتهم مساً غير رفيق :

---

١ — ١١٠ من هذا الكتاب

خفَّ التركيُّ يحلف بالمثاني وخفه كلَّما صلى وصاما

ثم أثارها الشاعر نزعة طائفية دينية عندما قال(١):

وقالوا نحن للاسلام سورٌ وانّ بنا الخلافة والاماما
فهل في دين أحمد أن يجوروا وهل في دين أحمد أن نضاما؟

ثم يضيف الى ذلك توزيع مقاعد الحكم ...

الى كم يحصرون الحكم فيهم وكم ذا يبتغون بنا احتكاما
ألسنا نحن أكثرهم رجالاً إذا عُدّوا وأرفعهم مقاما

وبعدها يعلن الثورة ليقول :

سنوقدها تعير الشمس ناراً ويُعيِي أمرها الجيش اللهاما
وعلم المرء أنَّ الموت آتٍ يهوّن عنده الموت الزؤاما !...

ولا تكاد تمرُّ مناسبة من المناسبات حتى يحمل حملته الشعواء على الأتراك الذين هدروا القيم وعطلوا المفاهيم ووأدوا الاحرار وأداً مشيناً .

ماكفتنا مظالم الترك حتى زحفوا كالجراد أو كالوباء
ضيم أحرارنا وريع حمانا وسكتنا والصمت للجبناء(٢)

وتراه في قصيدة «معركة بورغاس» يشنها حرباً صليبية أخرى ، إذ يرى أن المعركة لم تكن بين قومٍ وقوم ، وإنما كانت بين الاسلام والنصارى ... وانحسرت المعركة عن :

---

١ ـ ص ١١٢ من منتخبات هذا الكتاب .

٢ ـ ص ٢٢٥

وقد انجلت فاذا الهلاك منكس علم طوته راية الصلبان(١)

ويجد الفرصة مواتية مرة أخرى فيصبُّ جام غضبه على الأتراك ، أو على المسلمين ، كأنه لا يفهم الاسلام إلا من خلال الأتراك ، أو كأنه نسي أن غضبة المسلمين على الأتراك تفوق غضبة النصارى عليهم ، أو كأنه نسي أن الاسلام شيء والمسلمين شيء آخر ... ويجدر بنا في هذا المعرض أن نستطرد ، بعض الاستطراد ، لنذكر كلمة في مثل هذا المجال وجها الدكتور طه حسين الى الأديب الفرنسي الكبير أندريه جيد ، فأملى قوله « ... لم تخطىء أنت — والخطاب لأندريه جيد — وإنما دُفعت الى الخطأ . لقد خالطت كثيراً من المسلمين ، ولكنك لم تخالط الاسلام : فليس على الاسلام بأس مما ألقي في روعك خلطاؤك المسلمون »(٢)

ومثيل ذلك ماوقع لشاعرنا الكبير أبي ماضي ، فانه ما كاد يرى مساوىء الأتراك حتى ظنّ السوءَ في الاسلام لا في الأتراك ...

أما جبن الأتراك فان الشاعر يقدم لك صورة رائعة لهؤلاء الجبناء — على حدّ رأيه — (٣)

نفروا ، لكالحمر التي روّعتها بابن الشرى المتجهم الغضبان

وقلوبهم قد أسرعت ضرباتها وتظنها وقفت عن الخفقان

---

١ — ص ١٣١

٢ — من مقدمة « الباب الضيق » لأندريه جيد ، نقله الى العربية الاستاذ نزيه الحكيم ، وقدم له أندريه جيد وطه حسين — طبعة دار الكاتب المصري - ١٩٤٦ .

٣ — ص ١٣٢ من المنتخبات في هذا الكتاب .

متلفتين الى الوراء بأعين		تتخيل الأعداء في الأجفان
يتلمسون من المنيـــة مهرباً		هيهات !.. إن الموت كلَّ مكانِ
إن يأمنوا وقع الأسنة والظبى		فالذعر طاعنهم بشرّ سنانِ !...

* * *

يقابل هذا ، رأيه في « أميركا » ، فهو نقيض رأيه في أولئك الأتراك أصحاب الهلال ، أليس الامريكيون أصحاب « الصلبان » ؟ إذن لا عليه إذا أزجى المديح وأطنب فيه أيما اطناب في أكثر من قصيدة من المنتخبـــات ، ويبلغ اعجابه بأميركا حداً ينسيه قوميته وعصبيته ووطنه ، ويرى الراية الاميركيـة هي الراية الوحيدة الجديرة بالخلود(١) :

...

فلتدم « أميركا » ما التطا		مالهذا الفتح في التاريخ ثان
ولتعش رايتهـا ذات النجوم		أجمل الرايات أولى بالخلود

*

ومن جملة ماتقدم يتضح لنا أن الشاعر الكبير لا يعالج مبدأ سياسياً معيناً ولا يميل مع مذهب من المذاهب الاجتماعية السائدة ، وإنما عالج موضوعاً من موضوعات « المناسبة » وحدها ..

أما رأية في السياسة ، من حيث هي « جوهر » ومن حيث هي « مبـــدأ » فاننا نجده يحمل عليها بشدة وعنف لأنها كثيرة الوجود ، كالحرباء ، متلونة .

ولا يفوتني أن أشير الى أن الشاعر قد انصرف عن غرض « شعر المناسبات»

---

١ - من موشح «١٩١٤» - ص ١٥٣ من منتخبات هذا الكتاب .

ـــ إلا قليلا ـــ في الجداول والخمائل(١) ، بمعنى أنه أصدر « تذكار الماضي » ثم « الجزء الثاني من ديوان إيليا أبي ماضي » ثم انصرف عن هذا اللون انصرافاً كلياً ، كأنما أصبح يرى نفسه أرفع من أن يحقد على أمة أو يعاري أمة ! وإذا كنا نجد له قصيدة « فلسطين »(٢) فهي من قبيـــل ملحمة قومية لاتتصل بالمسلمين والنصارى واليهود وانما تتصل بالعروبة وبالصهيونية !!..

ونجـد أنفسنا مباشرةً أمام رأيه في « السياسة » والحديث فيهـــا وموقفه منها ...

...

واهجر أحاديث السياسة والألى يتعلقون بحبل كلِّ سياسي(٣)

وشاعرنا الكبير نبذ ثمارها بعد أن ذاقها ؛ ولسنا ندري مؤدّى لفظة « مـذ ذقتها » في هذا البيت :

إني نبذت ثمارها مذ ذقتهـــا ووجدت طعم العذر في أضراسي

لأننا لانجد في سيرة حياته مايشير الى أي اتجاه سياسي معين ، ولكنه ههنا يومىء الى ذلك إيماءة عابرة كأنما يريد أن يذكر شيئاً عن « ماضيه السياسي » ولكنه الى جانب ذلك يريد أن يبرىء ساحته من تلك « الخطيئة » التي ارتكبها ؛ وها هو ذا يغسل يديه منها ، فيغسل راحتيه بذلك من جميع الأوضار والارجاس...

---

١ - تجد في الجداول - بعضاً لايكاد يذكر ، ولكنك ، مقابل ذلك ، تجد كثيراً من شعر المناسبات . في آخر دواوينه « الخمائل »

٢ - من شعر الخمائل

٣ - الجداول ص ١١٥

وغسلت منهـا راحتي فغسلتها		من سائر الأوضار والادناس

هذا من حيث موقفُه من السياسة ، أما نظرته اليها فهي فضلاً عن كونها مجمع الأوضار والأدناس ، يراها شتى الوجوه ، متلوّنة ، تلبس لكل حالة لبوسها الذي يلائمها وتجعل بالتالي معتنقها أشدّ ما يكون خبثاً وتلوّناً .

لا تخدعنكم السياسة ، إنها		شتى الوجوه كثيرة الألوان (١)

أما معتنقوها فهم برأي الشاعر أحد اثنين : غرٍ ساذج أو مشعوذ دسّاس !.. وأكرمْ بها من رجلين !!.. والسياسي ، بعد هذا ، متآمرٌ أبداً على موطنه وعلى قومه فهو إما مجرم دنيء أو لص سافل ..!

وأية صفات يمكن أن يتصورها الانسان المخلوق المنحط من جميع جوانب الانحطاط الخلقي أكثر من أن يكون سياسياً على الشاكلة التي يريدها ، أو التي صوّره بها ، أبو ماضي عندما قال :

وتركتها لاثنين : غرٍّ ساذج		ومشعوذ متذبذبٍ دسّاسٍ (٢)
يرضى لموطنه يصير مُواطناً		وتصير أمته الى أجناسٍ
ويبيعها بدراهم معدودةٍ		ولو انها جاءت من الخناس(٣)

على أننــــا إذا أحببنا أن نستقرىء رأي الشاعر الآن في السياسة وجدناه وقد تركها حقاً وصدقاً ، ونفض منها اليدين نفضاً ... أما لمن تركها ؟.

---

١ – ص ١٩٣ من منتخبات هذا الكتاب .

٢ ـ الضمير في لفظة « تركتها » يعود على السياسة .

٣ ـ الجداول ص ١١٥

فلسنا ندري إن كانت تصدق وجهة نظره من أن السياسيين أحد اثنين : غر ساذج أو مشعوذ دسّاس .. ؛ لأننا نرى الساسة اليوم وقد ملؤوا الدنيا طولاً وعرضاً كما كان الأدباء ، في عصور الأدب العربي ، يملؤون دنيانا أدباً وشعراً ..

رأيه في الحياة

مظاهر الحياة متشعبة متشابكة لا تكاد تقوى على فصل بعضها من بعض لتحديد رأي الشاعر في كل مظهر من مظاهرها ؛ فالحياة من حيث هي خير وبركة أو شر وسوء ، والحياة من حيث هي هدوء وطمأنينة أو اضطراب وخوف ، والحياة من حيث ناسُها ومعاملاتهم وأحلامُهم وطباعهم التي طُبعوا عليها ، كل هذه تشتبك عند الشاعر اشتباك الحياة بمظاهرها ؛ ولسنا نجد له رأياً مستقلاً في موضوع ما منها يلامسه ويُلحّ عليه ، ولكننا إلى جانب ذلك نجد هذه اللمحات التي يومض فيها رأيه كلما ساقته مناسبة من المناسبات للاعراب عن هذا الرأي...

فهو اذا وصف معركة من المعارك ، أو عاش في إطار من سني الحرب ، كالحرب العالمية الأولى ، نراه يعالج موضوع السلم والحرب ، ويدلي برأيه في اخلاص وعمق . فان كانت المعركة ضد الأتراك فمرحباً بالحرب لا تُبقي منهم ولا تذر ... وإن كانت بين الانكليز والألمان فهو ذاك الوصاف الذي يستشرف على القوم من عل ويصف ما يقع تحت حواسه من مشاهد لغرض الوصف العميق أو التحليل الدقيق ...

على أن رأيه في السلم والحرب كرأي « الانسان » الحريص على هذه الانسانية من أن يُفني بعضها بعضا ، فناء مادياً وفناءً معنوياً :

ياصاحبي ليس الوغى من مذهبي هاتيك وسوسة من الشيطان
فالناس إخوان وليس من النهى أن يفتك الاخوان بالاخوان
الحرب مجلبة الشقاوة للورى والحرب يعشقها بنو الانسان(١)

ومن هنا يتلامح لك رأيه في هذا « الانسان » المطبوع على الشر ، فهل يعنى هذا أن الانسان الشرير شرير في كل مظهر من مظاهر الحياة ؟

إن الشاعر ليقف موقفاً واحداً من هـذا الانسان ، وإنه ليبدي رأيه عن تجربة وطول مرانة وخبرة فيقول :

وإنك لو خبرت الناس خُبري زهدت الخلق زهد أبي تراب
همو إما غبيٌّ ليس يدري وذو علم ولوع فالتغابي
لهم صور الملائك والأناسي وأخلاق الأبالس والذئاب (٢)

ومن هنا يطل علينا بنظرته الاجتماعية العميقة ، فيتحدث عن هـذا التقسيم الاجتماعي وتوزيع الطبقات بين فقير وغني ، ولا حد وسط بينهما ،فنجده في اكثر شعره اجتماعياً ناضجاً ، يدعو الى الرأفة بالفقير ومساعدته ومساندته حتى لا يكون هناك فقر ولا فقراء :

فقصيدته الفقير(٣) يعالج بها موضوعاً اجتماعياً عميق الجذور ، فيشرع في وصف هذا الانسان المنكود ، الذي أرادت له الحياه أن يكون فقيراً ، فالهم أبداً خدينه ولصيقه ، والتعاسة أبداً قرينه وصديقه ...

---

١ – ص ١٢٧ و١٢٨ من منتخبات هذا الكتاب
٢ - ص ١٧٢ من منتخبات هذا الكتاب
٣ – ص ٧٤ من هذا الكتاب

همٌّ ألمَّ به مع الظلماء   فنبا بمقلته عن الاغفاء

وتجده في مناجاته الليل يكاد يبلغ ذروة الابداع في تصوير يأس هـــذا الانسان الشقي :

ياليل قد أغريت جسمي بالضنى   حتى ليؤلم فقدُه أعضائي
ياليل مالك لا ترق لحـالتي   أتراك والأيام من أعدائي ؟
ياليل حسبي مالقيت من الشقا   رحماك لست بصخرة صماء

أما موقف الشاعر من هؤلاء الفقراء فألمٌ لما بهم :

إني لأحزن أن تكون نفوسهم   غرض الخطوب وعرضة الأرزاء

ثم إلى جانب هـــذا الألم نجد دعوة لانقاذ الفقير مما به وإشعاراً للغني بأنه مصنوع من طينة ذلك الفقير (١) :

لهفي، ولو أجدى التعيس تلهفي   لسفكت دمعي عنـده ودمائي
قل للغني المستعز بمـــاله   مهلاً ، لقد أسرفت في الخيلاء
جبل الفقير، أخوك، من طين ومن   ماء ، ومن طين جبلت وماء !

ونجده في قصيدة « كلوا واشربوا » (٢) ينزع منزعاً آخر في التعبير عن بؤس الفقير ، إذ يعمد الى هذه السخرية البارعة ، يجعلها سبيله للابانة عن وجهة نظره ... فهو يلوم الفقراء على فقرهم ويهنىء الأغنياء الذين يمتصون دماء الفقراء

---

١ - ص ٧٩ من هذه المنتخبات

٢ - الخمائل ص ٧٠

... ثم يسرف في لوم الفقير وتأنيبه لانه يشكو ويتذمر ... ثم يصرخ صرخته المرعبة ليجعل الأغنياء في جهنم خالدين ...

فانظر معي في هذا المطلع البارع :

كلوا واشربوا أيها الأغنياء　　　وإن ملأ السكك الجائعون ...

إلى أن يتجه بكلامه إلى الفقراء يلومهم من حيث يريد تعزيتهم عما آل اليه حالهم :

ويا فقراء لماذا التشكي　　　ألا تستحون،ألا تخجلون ؟..

دعوا الاغنياء ولذاتهم　　　فهم مثل لذاتهم زائلون

سيمسون في سقر خالدين　　　وتمسون في جنة تنعمون !!!

* * *

نفسيته

ذهبا في مطلع هـــذه الدراسة الى ذكر أسباب هجرة الشاعر عن بلده ، لبنان ، وأبنا عن نفسيته قبيل هجرته الأولى ، وخلال اقامته القليلة في مصر ، ثم رحلنا مع الشاعر الى أمريكا لنرى معه لونا من حنينه الى وطنه الأول ،لبنان، ثم إلى وطنه الثاني مصر ؛ على أنه عندما ذكر لبنانه ، لم يذكره بالخير أول الأمر ، ذلك أنه خرج عنه شريداً طريداً ، يفتش عن لقمته مثيل ما يفتش عن حريته ، لذا فقد استمعنا الى غضبة من غضباته وإلى صوت نقمة من نقماته ؛ إذ صور وطنه موئلاً لكل جاهل وفاسق ومشموذ ولئيم ...

إلا أن هذه الثورة ــ فيما يبدو ــ لم تكن الا ثورة مفتعلة. إذ ما تكاد تتقادم به الأيام وهو في مغتربه حتى تهيجه الذكريات إلى وطنه ، فيحن اليه حنيناً ، صامتاً حيناً ، ثائراً أحياناً ، وأصبح يرى حياته في أمريكا جحيماً لا يكاد يطاق :

نأى عن أرض مصر حذار ضيم ففر من العذاب الى العذاب (١)

حتى إذا رأى باخرة متجهة الى بلده حمّلها سلاماً وشوقاً وحنيناً ، ونداء حاراً فيه عاطفة وفيه صدق وفيه وفاء :

بيروت !.. يابنت البحار الجاريه فاذا سئلت من البقايا الباقية
قولي لهم : إن الحياة الهانيه لم تنسنا سكان تلك الناحيه

أما الدليل فحسبنا إياك (٢)

وتعتاده عاديات الذكرى فيشعر بالغربة الروحيه العنيفة ، ويتأمل النجم فيرى فيه غريباً مثله ، قلقاً لقلقه :

ما لهذا النجم مثلي في الثرى طائر النوم ، شديد الوجل (٣)
أتراه يتقي طارئةً أم به أني غريب المنزل ؟..

ومن خلال دموعه وآلامه يتلفت الى الشرق ، ويجهش جهشة الحنين ، ويهتز اهتزاز المشوق ، ويحب من يحب وطنه (٤)

إذا خطرت من جانب الشرق نفحة طربت فألقى منكباي ردائيا

---

١ ـ ص ١٧٥ من منتخبات هذا الكتاب

٢ ـ ص ٣١٧ من منتخبات هذا الكتاب

٣ ـ من قصيدة « بنت سورية » ص ٦٧ من هذا الكتاب .

٤ ـ من قصيدة « دموع وتنهدات » ص ١٩٥ من هذا الكتاب .

أحن الى تلك المغاني وأهلها وأشتاق من يشتاق تلك المغانيا
إذا مثلوا والنوم يأخذ مقلتي بأهدابها أمسيت وسنان صاحيا
وكيف اغتباط المرء لا الأهل حوله ولا هو من يستعذب الصفو نائياً؟

وإنك لتجد في هذه القصيدة الرائعة صوراً من ألوان التشوق والحنين، ولوناً من الشعور العميق بالغربة، وهذا « الفضول » الصادق من المهاجر لكل ما يتصل بوطنه من قريب أو بعيد ... فعزاؤهم في هذه الرسائل التي تردهم بين حين وحين . وفي هذه البرقيات التي يتناقلها الاثير لينقل اليهم أخبار أهليهم وذويهم .. حتى إذا دقت الحرب في العالم طبلها وزمرها ،وأعلنت إلى الملأ الادنى والأقصى أمرها ، فاضطرب الأمن وانتحر الرجاء ، وغاض الأمل ، إذا العالم القريب شتيت وإذا العالم البعيد كأنه وهم من الأوهام ؛ فما عدت تسمع من صوت الانسان الا عواءه ، ولا من غناء الأطيار إلا جفاءه ، ضاع صوت « المخلوق » في ضجيج المعمل وقصف المدفع وولولة النساء الأرامل وعويل الأطفال اليتامى وجئير البطن الجائع والحياء الضائع والعرض المبذول ؛ فانفصل الصقع عن الصقع وانقطع العالم عن العالم فانقطعت بذاك أخبار المهاجرين عن أهليهم ،وانقطعت أخبار أهليهم عنهم ، فاستعر الحنين ، واضطرم الشوق وقلق الخاطر بين الشك واليقين فتفجرت ينابيع العواطف فسمعنا صوت الشاعر يهتف بأسى عميق .

وكان لنا في الكتب عون على الأسى وفي البرق ما يدني المدى المتراميا
إذا قيل : هذا مخبر ، ملت نحوه بسمعي ، ولو كان المحدث واشيا
وتعلم نفسي أنه غير عالم ولكنني أستدفع اليأس راجيا

... وتحتدم الشكوك لانقطاع أخبار الأهل ، فيغرق الشاعر في ليل من

الشك والظنون ، ويقطع أيامه طائر النفس ، موزّع الخاطر ، ما يملك اليقين فيهدأ ولا يقنع بالشك فيستريح :

سرى الشك حتى ما نصدق راوياً — وطال فبتنا ما نكذب راويا
أقضي نهاري طائر النفس حائراً — وأقطع ليلي كاسف البال ساهيا
فما هم بأموات فنبكي عليهم — ولا هم بأحياء فنرجو التلاقيا

وللشاعر ، بعد هذا ، هذه الآهة العميقة يستريح اليها كلما أرمضه الحنين :

فله ، إذا ذكر الديار وأهله — آه الغريب وأنه الثكلان(١)

وتسأله جارته ... أمالك أهل وإخوان ؟.. فيجيبها الشاعر بحزن سابغ (٢)

... ... — ياجارتي ! .. كان لي أهل وإخوان
فبتت الحرب ، مابيني وبينهم — كما تقطع أمراس وخيطان
فاليوم كل الذي في مهجتي ألم — وكل ما حولهم بؤس وأحزان
وكان لى أمل إذ كان لي وطن — ... ...
فجردته الليالي من محاسنه — كما يعرى من الأشجار أغصان
فلا المغاني التي أشتاق رؤيتها — تلك المغاني ، ولا السكان سكان !

فنسيم هاجر ، ولم ترك وطنه الحبيب ، ولم يعاني ، بعد هذا ، ما يعاني من ألم الغربة وشقائها .. وكيف هجر ذلك الوطن ليصير الى بلاد الناس : (٣)

---

١ - ص ١٢٣ من هذه المنتخبات

٢ - ص ٢٩٩ » » »

٣ - الجداول ص ١١٦ - الخمائل ص ٤٣

نغشى بلاد الناس في طلب العلى		وبلادنا متروكة للناس
ونكاد نفترش الثرى وبأرضنا		للأجنبي موائد وكراسي
ونلوم هاجرها على نسيانها		واللائم الناسين أول ناس
وطني أحب إلي من كل الدنى		وأعز ناس في البرية ناسي !!

وهو يكرم وطنه لأن له الفضل الأول في خلقه وتكوينه ، وهنا تطل علينا وطنيته من حيث اعتباره وطنه علة وجوده ، كما الأب علة وجود الابن :

بني وطني ! من أنا في الوجود		وما هو شأني وما موضعي ؟
ولو لاكم لم أكن بالخطيب		ولا الشاعر الساحر المبدع !!

على أن الشاعر يحاول ان يرى في وطنه الجديد عزاء عن وطنه القديم . وتعتاده هذه الفكرة مرة بعد مرة ، فينثرها في شعره بين الحين والحين وهو على يقين من أن لوطنه الأول المنزلة الأولى في نفسه دائماً وأبداً ...

فأنت إذا سمعته يخاطب نيويورك :

نيويورك ! يابنت البخار بنا أقصدي		فلعلنا بالغرب ننسى المشرقا

فكن على يقين من أن الشاعر إنما يحاول أن يعزي نفسه ويسرّي عنها ... وقد تجده مرة أخرى يلتمس مثل هذا العزاء:

ذريني أضطربْ في الارض إني		رأيت السيف يصدأ في القراب
وما أنا بالغريب الدار وحدي		فكلّ الناس عندي في اغتراب(١)

إلاّ أنك واثق من أن الشاعر لا يصدر عن صدق فيما يقول في هذا المجال

---

١ – ص ١٧٣ من المنتخبات

لأنك تجد له في التشوّق الى بلده ولبنانه ، بربوعه ، ونيسانه ، وصيفه ، وقمره وناسه وما اتصل بذلك مايجعلك تثق بصدق عاطفته حيث لازيف ولا زيغ !

ياليت شعري وهذي الحرب قائمة ... هل تنجلي ولنا في الشام اخوان(١)
وهل تعود إلى لبنان بهجته ... وهل أعود ، وفي لبنان نيسان ؟
فأسمع الطير تشدو في خمائله ... وأُبصر الحقل فيه الشيح والبان؟..

على أن الشاعر قد بلغ الغاية في قصيدته « الشاعر في السماء »(٢) عندما سأله ربه عما يشاء فهتف من أعماقه :

فقلتُ يارب فصلَ صيفٍ ... في أرض لبنان أو شتاءْ
تحنّ نفسي الى السواقي ... الى الأقاحي ، الى الشذاءْ
الى الروابي تعرى وتكسى ... الى العصافير والغناء
الى العناقيد والدوالي ... والماء والنور والهواء

حتى إذا عجب الله من مثل هذا الشاعر الذي لم يشأ إلاّ أن يكون في لبنان يعيش صيفه وشتاءه وطيره وغناءه ، ظنّ به الجنون .. إذا بالشاعر العاشق يهتف :

فانّ لبنان ليس طوداً ... ولا بلاداً ،لكن سماء !!!

* * *

على أن للشاعر رأياً خاصاً بنفسه من حيث هو شاعر ومن حيث هو

---

١ - ص٢٩٨ من المنتخبات
٢ - الخمائل ص ٦٧

صاحب رسالة يفخر ويترفع ؛ فاذا خوطب فعلى المخاطب أن يعلم أي الناس يخاطب ...

ياشاعر الدنيا وفيك حصافةٌ ... ...(١)

إن يغضبوا مما أقول ، فطالما كره الأديبَ جماعةُ الغوغاءِ(٢)

أو ينكروا أدبي فلا تتعجبوا فالرمـد يؤلمهم طلوعُ ذُكاءِ

أما من حيث هو صاحب رسالة فواضح من قوله :

أو كلما نصر الحقيقة فاضل قامت عليه قيامة السفهاء ؟

ومن أراد أن يعلم مَن هو صاحب الرسالة ، فالشاعر يداشه على نفسه مفتخراً — على ماجرى عليه من تقدمه من الشعراء — ، أو لعلّه نسجاً على منوال « أمير الشعراء » :

كأنيَ لستُ أمير الكلام ولا صاحب المنطق الأنفس(٣)

ويرى الشاعر بعد هـذا أنه أرفع من أن يتدنى الى مرتبة معاقرة الخمرة أو يتهاوى الى مراتب ذل الهوى ، ففيه من الخلق ماير بأ به عن أن ينحدر الى هذه المهاوي :

أبت نفسي النزول الي الدنايا وقلبي أن يميل الى التصابي(٤)

فما دانيت أقداح الحميا ولم أهم بغانية كعاب

١ ـ من القصيدة الأولى في المنتخبات .

٢ ـ ص ٧٨ من المنتخبات في هذا الكتاب .

٣ ـ ص ٩١ » » » »

٤ ـ ص ٧٣ من منتخبات هذا الكتاب .

وهذا لا يتعارض مع ماسبق أن ذكرناه له من بعض النسيب ، لأنه جرى في ذلك مجرى من تقدمه من الشعراء . ومن هنا يبدو لنا أن جـذوة الحب الخالدة لم تلامس قلب الشاعر الكبير ، لأنها لو فعلت ذلك لوجدنا له غير هـذا اللون من القول الذي يعتبر التصابي لوناً من ألوان النزول الى الدنايا !

ثم إنه زاهد في لذاذات الحياة ، مايجد في نفسه نزوعاً الى الطمع ولا ميولا الى الهوى ، في حين أنه يؤمن بأن الظفر رهين الطامع الطامح[1] . والشاعر حين يعتنق هذا المذهب يعلم علم اليقين أنه إن فعل ذلك فقد عرى الرياض من شذاهـا وبهاها ، وحرم الطير من جمالها وحلاها ؛ فاستمع اليه في قصيدته العينية يقول:

اني صرفت عن الطاعة والهوى	قلبي ، ولا ظفرٌ لمن لم يطمع
فكأنني البستان جرّد نفسه	من زهره المتنوّع المتضوّع
وكأنني العصفور عرّى جسمه	من ريشه المتلاصق المتلمّع[2]

وقد تنفر بعض النفور من لفظة « المتلاصق المتلمع » ولكنك في مجال يسمح لك بالتجاوز عن اللفظ للوصول الى المعنى الذي يريد اليه الشاعر من الاعراب عن انصرافه عن الطاعة وعن الهوى ؛ فهو إذن ميال الى القناعـة رغم يقينه بأن الظفر في الطموح ، وهو راغب عن الهوى واللذاذات ، في حين نعرف أن الشاعر يرى — فيما سبق له من شعر — أن الحياة في اللذة ، واللذة في الجهل فهو يدعو قلبه الى ممارسة هذا الجهل في مثل قوله :

---

١ ـ هل ننسى قول أمير الشعراء

شباب قنعٌ لاخير فيهم	وبورك في الشباب الطامحينا ؟

٢ ـ الجداول ص ٢٧

أيها القلب الذي في أضلعي انما اللذة جهلاً فاجهل (١)

•

اليأس

تتبدى مظاهر اليأس لدى الشاعر في شكل يأس من أمته ووطنه عندما نزح عن دياره واتجه الى مصر أول الأمر ؛ وقد أبان عن هذا اليأس بقصيدة من جيد شعر ، وهي التي مطلعها :

أزف الرحيل وحان أن نتفرّقا فالى اللقا ، ياصاحبيّ ، الى اللقا (٢)

فهو في هذه القصيدة يائس من وطنه :

وطن أردناه على حب العلى فأبى سوى أن يستكين الى الشقا
وطن يضيق الحر ذرعاً عنده وتراه بالأحرار ذرعاً أضيقا
مشت الجهالة فيه تسحب ذيلها تيهاً ، وراح العلم يمشي مطرقا

ويائس من بني وطنه :

شعب كما شاء التخاذل والهوى متفرق ويكاد أن يتمزقا
لا يرتضي دين الاله موفقاً بين القلوب ويرتضيه مفرقا
لم يعتقد بالعلم وهو حقائق لكنه اعتقد التمائم والرقى

---

١ ـ ص ٦٨ من المنتخبات
٢ ـ ص ٤٠ من هذه المنتخبات

وهو يائس من حكومته :

وحكومة ما إن تزحزح أحمقاً عن رأسها حتى تولي أحمقا
راحت تناصبنا العداء كأنما جئنا فرياً أو أتينا موبقا
وأبت سوى إرهاقنا ، فكأنما كل العدالة عندها أن نرهقـا(١)

وبعد هذا هو يأس من البلاد العربية جميعاً :

بغداد في خطر ومصر رهينة وغداً تنال يد المطامع جلقا
ضعفت قوائمها ولما ترعوي (؟) عن غيهـا حتى تزول وتمحقا
قيل اعشقوها قلت : لم يبق لنا معها قلوب كي نحب ونعشقا (٢)

ثم يلتفت وقد بلغ اليأس منه مبلغه ليقول :

كلما فكرت في حاضرنا عاقني اليأس عن المستقبل (٣)
قد مشى الغرب على هام السهى ومشينا في الحضيض الأسفل

ويختم قصيدته « القافية » بأبيات يأخـذ عليه اليأس فيها كل مخرج فيبقى رهين محبسه فيقنع بحاضره يأساً وتخاذلاً :

نفسي أخلدي ودعي الحنين فانما جهل بعيد اليوم أن نتشوقا

●

على أن الشاعر وقد جرى في هذه الحلبة من اليأس والاستسلام في مستهل

١– ص ٤٥ من هذه المنتخبات

٢– ص ٤٦ ص ٦٨

٣– الجداول ص ٩٣

فترة اغترابه ، نجـده مرة أخرى في « الجداول » تحتاطه هذه الفكرة ، فينقلب من يائس مهموم الى انسان استوى عنده الخـــير والشر والطموح والمقود ، فتسمع منه في قصيد « برّدي يا سحب من ظمأي » (١) لوناً من ألوان اليأس مكسوّاً بثوب من أثواب الحكمة .

والقصيدة ، برمتها ، تُعرب عن وجهات نظره كشاعر يعنى باللامبالاة ، وبالقنوع ، ويتجاهل الغـد وما سيأتي به ، وباليأس ... وتقع على عينيه غشاوة اليأس القاتل فلا يرضى أن يصدق هذه الأوهام التي تنثر بين يديه نثراً ، ويعود مطالباً بالتحقق من صدق الأشياء والأمور عن طريق الاحساس ... وفي هـذه القصيدة الرائعة يأس ، ولكنه يأس محبب ، مقبول ، يقع من النفس موقعاً رضياً، طيباً ، فتتقبله تقبلاً جميـلاً ، لا لتستسلم بعدها لليأس والهم وانما لتجد في كل شيء زوالاً !.. فيأسه بنّاء ، لا هدام !...

والشاعر قانع عن يأس عندما يقول :

رضيت نفسي بقسمتها   فليراود غيري الشهبا

حتى إذا أومأ اليه إنسان من طرف آخر مشيراً إلى ما سيأتي به الغـــد ، حاضاً إياه على السعي له والاحتفاء به قال :

ما غد ؟ يامن يصوّره   لي شيئاً رائعاً عجبا
ما له عين و لا أثر   هو كالأمس الذي ذهبا(٢)

١- الجداول ص ٩٣
٢- الجداول ص ٩٣

وهنا نحس ببعض الثورة التي تجتاح نفس الشاعر وهو يصور هذا القول ، ونراه ، من طرف خفي ، قد أشار ، مرة بعد مرة ، الى معتقده في الحشر واليوم الآخر ، مما سيأتي بحثه في موضعه من هذه الدراسة ...

ولكن هذا اليأس من أمسه ويومه وغده لا يدعوه الى الفكرة « العدمية » التخريبية ، وإنمـــا يدعوه — لسمو نفسه ونفسيته — إلى البناء ، لا من أجل المستقبل وإنما من أجل اليوم الذي يعيش فيه وله !..

وقد يتراءى لانسانٍ ما أن يشير الى أن الحشر واليوم الآخر أمران لا خلاف فيها ، فهما صدق وحق في جميع الشرائع السماوية .. ولكن الشاعر يسارع ليدحض هذا الرأي ، مبيناً عن فكرته بشيء من الغموض :

إن صدقاً لا أُحسُّ به   هو شيء يشبه الكذبا (١)

فهو من هذا الجانب يعتمد على « الحس » كواسطة المعرفة واليقين . إلا أن هذا اليأس ، كما قلنا ، لم يكن ليدعوه الى الانطوائية أو العدمية (٢) وإنما قاده إلى لون من « اللامبالاة » :

ماعلى من لا يطيق يرى   نوّر الوادي أو اكتأبا
مايفيد الطير في قفص   ضاق هذا الجو أو رحبا؟

فكأنه بذلك يشير إلى أنه سجين الحياة ؛ وقد استوى عنده ، بالتالي ، سعة الفضاء ، ومحدوديته ، وضيقه !

---

١ - ص ٩٣ من الجداول

٢ - Nihllist

وهـذه اللامبالاة لم تصل الى مرتبة الاهمال ، وإنما استمد منها الشاعر قوة لتكون لوناً من ألوان التفاؤل :

أنا من قوم إذا ما حزنوا وجدوا في حزنهم طربا
وإذا ما غاية صعبت هوّنوا بالترك ما صعبا(١)

فهو من هذا الجانب يسير مع أحد فلاسفة اليونان الذي يرى أن لـكل جرةٍ أذنين أثنتين ، إن لم تمسك من واحـدة تمسك من الأخرى ؛ وذاك مثيل قول الشاعر : هوّنوا بالترك ماصعبا .

ولا جرم أن اليأس مستحكم من نفس الشاعر ، فهو يهون الأمور بلا مبالاته ولـكنه في أعماقه تتنحنح زمجرة عميقة الجذور ، وتتلامح بوادر ثورة تقذف الحمم ؛ ويتمـكن الشاعر من أعصابه فيطلب إلى السحب أن تبرد ظمأه ...

برِّدي ياسحب منظمأي واهطلي من بعد ذا ذهبا
أو فـكوني ، غير راحمة ، حمما حمراء لا سحبـا
ولأ كن وحدي لها هدفاً ولتـكن نفسي لها حطبـا (٢)

فما هذا الظمأ الذي حطم أعصاب الشاعر وتركه في لواب ما بعده لواب ، يطلب إلى السحب أن تروي هذا الظمأ .. ثم يرتد إلى نفسه فيطلب اليها أن تـكون الحمم الحمراء التي تطوح به وحده ويأمر أن تـكون نفسه لها حطبا ؟!!!

ويعود مرة أخرى هادئاً بعد ثورة ، ويؤمن — خلافاً لما كان يرى — أن

---

١ ـ الجداول ص ٩٤
٢ ـ الجداول ص٩٣

لا راحة له إلا في الخمرة وليترك للناس ما للناس بعد هذا الذي عاناه من اليأس المرير :

لم يبق ما يسليك غير الكاس فاشرب ودع للناس ماللناس (١)

فاذا ما همك أمر من أمور الدنيا وسيطر عليك سيطرة كادت تذهب بلبك فان دواء هذا كله : الكاس :

وانس الهموم ، فليس يسعد ذاكر واسق النجوم فانها جلاّسي
واصرع بها عقل النديم ولبه ما نغص الحاسي كعقل الحاسي (٢)

ويبدو بعد هذا كله أن الشاعر حائر في أمر يأسه ، فهو تارة راضٍ عنه ، وهو تارة ساخط عليه ؛ وبين رضاه وسخطه تتلامح أقباس من التفاؤل والتشاؤم واللامبالاة والدعوة الى التخلص من الهموم ، ومعاقره الخمرة ...

فهناك بالتالي صراع عنيف بين الشاعر وأحاسيسه ، وسنرى في المستقبل من الكلام أن نزعة التفاؤل هي التي تغلبت على الشاعر وجعلته رسولاً من رسل الانسانية العميقه التي تحب الحياة كل الحب ، لا طمعاً بالحياة ، ولكن لأنها خير مطلق كما قال رامبو : الحياة طيبة ، اني أبارك على الحياة !! ..

أما هــــذا الصراع الهائل بين الشاعر وضميره فقد قاده بالتالي الى تبلدٍ في الاحساس جعله يؤمن أنه صخرة صماء عليها ألا تحس وألا تشعر(٣):

١ـ الجداول ص ١١٥

٢ـ الجداول ص ١١٥

٣ـ قصيدة « زهرة الاقحوان » ـ الجداول ـ ص ١١٧ و١١٨

كنت حتى مع ضميري أمس في حربٍ عوانٍ

. لا أرى في الخمر معنى ولكم فيها معان

لم يعـــد قلبي كالبر (م) ق شديد الخفقان

لم تعـــد نفسي كالنجـــــة ذات اللمعان

بت لا أبكي لمظلو (م) مٍ ولا حرٍ مهان

صرت كالصخر سواء هادم عندي وبان

★

وبعد ، هل كان الشاعر الكبير يتحدث عن نفسه حديث من يعرفها حقّ المعرفة ؟ .. وما الذي يريده من لفظة « النفس » ؟... يغلب على الظنّ أن الشاعر كان يصدر عن نفس شاعر يعالج ماتنطوي عليه نفسه من مشاعر دون أن يحدّد مفهوماً معيناً لـ « لنفس » ؛ إلا أنه عنـــدما نظر في نفسه بعد ذلك وجدها كذاك الذي كان يفتش عن الزمن وهو عائش في إطاره دون أن يحاول البحث في كنهه وصفته .

فما هي « النفس » في عرف الشاعر ؟..

يبدو لنا أن شاعرنا الكبير قد أطلع على القصيدتين العصماوين في موضوع النفس ، والأولى للشيخ الرئيس ابن سينا ومطلعها :

هبطت اليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنّع

والثانية لأمير الشعراء أحمد شوقي ومطلعها :

ضمي قناعك ياسعاد أو ارفعي هذي المحاسنُ ما خلقن لبرقع

وبعد أن اطلع عليها حاول أن يعارضها معاً ليصل الى النتيجة الرائعة التي يبحث عنها : وهي أن النفس مع الانسان وليست منفصلة عنه وليست مشتبكة مع الروح !

ولا جرم أن قصيدة أبي ماضي في « النفس » تعتبر من رائــــع الشعر وهي التي مطلعها :

أنا لست بالحسناء أول مولع ... هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي[1]

والشاعر إذ نظر محاولاً التعرف على هذه النفس وجـد أنه لايعرف عنهـا شيئاً أول الأمر بعد أن فتش عنها طويلاً في كل مكان :

فتشت جيب الفجر عنها والدجى ... ومددت ، حتى للكواكب ، إصبعي

وأخذ يسائل نفسه عن كنهها :

ألمحتهــا في صورة ؟ .. أشهدتهــا ... في حالة ؟.. أرأيتها في موضع؟..

ولكنه مع هذا يستشعر جمالها من خلال نفسه :

إني لذو نفس تهيم ، وإنهـــا ... لجميلة فوق الجمـــال الأبدع

ثم تراءى له أنه علم عنها شيئاً ، فهي تارة كالصوت :

ويزيد في شوقي اليهـــا أنها ... كالصوت لم يسفر ولم يتقنـع

وهي بعد هذا محجوبة إلا عن المتزهد :

قالوا تورّعْ ، إنها محجوبةٌ ... إلا عن المتزهد المتورع

وزاد شوقه الى معرفتها شيئاً ، فرنا اليها في نومه يطلبها :

وهجعت أحسب أنها بنت الرؤى ... فصحوتُ أسخر بالنيام الهجّع

ثم حسبها زهرة ونجما :

لما حلمت بها حلمت بزهرةٍ ... لا تجتنى أو نجمة لم تطلــــع

---

١ ـ الجداول ص ٢٦ وما بعدها

فلما صحا من هذا لم يجد إلا ظله ... ثم أخذ يغرق في ليل من الشكوك والتساؤلات ، فلما دنا من معرفتها دنا من مصرعه :

وحسبتني أرنو اليها مسرعاً فوجدت أني قد دنوت لمصرعي

ثم ظنها — فيما ظنها — أنها في غيم الشتاء وفي رعده وفي برقه ، فلما يئس من الوصول الى معرفتها بكى ، فلمحها في أدمعه وأدرك اذ ذاك هذه الحقيقة الرائعة:

وعلمتُ — حين العلم لا يجدي الفتى — أنَّ التي ضيعتها كانت معي(١)

التفاؤل

إذا أنا لم أجد حقلاً مريعاً خلقت الحقل في روحي وذهني(٢)
فكادت تملأ الازهار كفي ويعبق بالشذا الفوّاح ردني(٣)

على مثل هذه القدرة الجبارة في الخلق والابداع نشأ الشاعر أول نشأته الأدبية ؛ فهو الذي يبدع كونه الخاص ورياضه الغنـاء ومجاليه الساحرة الفاتنة ليرتع في أفيائها وظلالها ومفاتنها مهما قست الحياة وأظلم الواقع وافتُقد الأمل!

تجد هذا الشعر في « الخمائل » — وهو آخر دواوين شعره — كما تجده في الجزء الثاني من ديوانه ، كما تجده أيضاً في الجداول ... ومن هنا يتضح لك أن التفاؤل نزعة انسانية عميقة الجذور في نفس الشاعر وإن كان يعلوها بين الحين والحين غبار الزمن فيخلع على بهائها وجمالها مسحة من الكآبة والحزن والأسى !

١- ص ٢٨ الجداول

٢- الخمائل ص ٢٨

٣- الردن : الكم

ومن خلال هذه النزعة التفاؤلية العميقة التي سنأتي على ذكرتها يتلامح لنا أن الشاعر قادر كل القدرة على أن يعيش الحياة التي يريدها في اطار من التفاؤل؛ ولو اقتضاه الأمر التجرد من إحساسه لما كان ذاك الأهون الأمور وأسهلها وأكثرها يُسرا ...

الحسُ مجلبة الكآبة والأسى	قمْ ننطلق من عالم الاحساس
وأرى السعادة لاوصول لعرشها	الا بأجنحةٍ من الوسواس

وواضح أن الشاعر لا يريد بلفظة « الوسواس » تلك الشكوك التي تأكل العقل والقلب والفكر ، وانما يريد أجنحة الخيال التي يطير بهـا الى عالم أفيح حيث لا ألم ولا شقاء !

ومثيل هذا الشاعر الكبير الذي يدعو الى الحياة في عالم الرؤى والاحلام بعيداً عن عالم الاجسام والآلام جدير بأن يضفي على حياة الانسان ، الغارق في الشرور والآثام والتعاسة والشقاء ، لوناً من ألوان البهجة والمرح والهدوء والراحة !

وتتلامح لنا هنا مبادىء نظرية أبيقور في الاخلاق (١) الذي ذهب « الى أن أساس الأخلاق اللذة (٢) » فاللذة وحدها غاية الانسان ، وهي وحدها الخير ؛ والألم وحده هو الشر الذي يفر منه الانسان ويتجنبه ، والفضيلة ليست لها

---

١ ـ أرجع الى كتاب « قصة الفلسفة اليونانية » تصنيف الاستاذين أحمد أمين وزكي نجيب محمود ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ ص ٣١٦ وما بعدها

٢ ـ يخطىء من يذهب الى أن الأبيقوريين انما يريدون باللذة المتاع الجنسي الغريزي ارجع الى المصدر السابق ص ٣١٧ ـ سطر ١٤ وما بعده

قيمة ذاتية ، انما قيمتها فيما تشـمل عليه من اللذة ... » الى أن قال : « إن خير لذة يتطلبها الانسان هدوء البال وطمأنينة النفس » .

وما دام الانسان شريراً ، والشر أصيل فيه :

تتحوّل الأفلاك عن دورانها   والشرّ في الانسان لايتحوّل(١)

علينا أن نتغلب على هـذا الشر الأصيل بخير شامل عام نجعله هدفنا وسبيلنا في هذه الحياة ، ولا سبيل الى ذلك إلا بلون من ألوان التفاؤل نخلعه على الحياة بكامل مظاهرها ، فلا نرى في الرياض أشواكاً وانما نرى فيها الأزهار الجميلة .

وأصدق مثال على نزعته الانسانية العميقة التي تنزع الى إبراز مافي الحياة من جمال وروعة وبهاء قصيدته الخالدة « فلسفة الحياة » (٢)

أيهذا الشاكي ا... وما بك داءٌ
كيف تغدو إذا غدوت عليلا ؟...

إنّ شرّ الجناة في الارض نفسٌ   تتوقى ، قبل الرحيل ، الرحيلا ...

فالجمال كائن في نفس الانسان ، منبثق عنها ، ومن حُرم هذه النعمة فقد حُرم السعادة الحقيقية التي لا حقيقة سواها :

والذي نفسـه بغير جمـال   لايرى في الوجود شيئاً جميلا
هو عبءٌ على الحيـاة ثقيل   من يظنّ الحياة عبئاً ثقيـلا

وعلى الانسان بالتالي أن يعيش وفق طبيعته وألا يُغرم باصطياد الهموم والتقاطها ؛ ذلك أن الحياة الجميلة التي جعلته يعيش في مراتعها سوف لاترحمـه ان كفر بنعمة جمالها :

---

١ ـ ص ٢٦٦ من منتخبات هذا الكتاب

٢ـ ثاني مختارات هذا الكتاب ص ٧ وما بعدها

كلٌّ من يجمع الهموم عليه   أخذته الحياة أخذاً وبيلاً

ثم ... هل أنت قادر على ردّ القضاء ؟.. فان كنت واثقاً من أن للحياة مشيئة فعليك أن تعيش وفق مشيئة الحياة وأن تصرع الهم وتخلق البهجة ، لأنها جوهرٌ كامن في نفسك ، وما عليك إلا أن تزيح الغبار عنه ليخطف الأبصار نورُه !

أما إذا كنت تُصر على يأسك وألمك ومحاربتك لمشيئة الحياة فما عليك إلا أن تفعل هذا(١)

حكم القضاءُ ، فان نقمت على القضا   فاضرب بعنقك مدية الذبّاح !!!..

أما إذا كنت ترى غير هذا ، وتؤمن أن الجمال كائن في نفسك فأنت بالتالي ترى كلّ شيء جميلاً فاتناً جذابا ..

أيهذا الشاكي وما بك داءٌ   كن جميلاً تر الوجود جميلا

ولا يعني هـذا أنه لا يُقرّ بوجود الهمّ والألم ، فالذي بلا الألم وخبره يعرف موقع الهمّ من نفسه :

ليس يدري الهمّ غير المبتلي   طال جنح الليل أو لم يطل(٢)

ولكنه يريد أن تحارب هذا الهمّ وهذا الألم مهما كان منشؤهما ومصدرهما ؛ وفي مجالات الصداقة يتجاوز عن خطيئات أصدقائه ومساوئهم لينعم بصداقتهم غير مشوبة :

---

١ ـ ص ٦٦ من المنتخبات في هذا الكتاب

٢ ـ ص ٦٧ من المنتخبات في هذا الكتاب

إني ، اذا نزل البلاء بصاحبي دافعتُ عنه بناجذي وبمخلبي(١)
وأرى مساوئه كأني لا أرى وأرى محاسنه وإن لم تكتب
وألوم نفسي قبله إن أخطأتْ وإذا أساء الي لم أتعتّب

ويا أيهذا اليائس ، الشقي بنفسه ، كيف تدعي العُدم والفقر وملك يمينك هذي السما وتلك الأنجم :

كم تشتكي وتقول إنك معدم والأرض ملكك والسما والأنجم

وتتنزّل منزلة قصيدة « فلسفة الحياة » قصيدته « ابتسم »(٢) وقصيدته « كن بلسما »(٣) ومطلع الأولى .

قال : السماء كئيبةٌ ، وتجهما قلتُ : ابتسم ، يكفي التجهم في السما

وفيها أمثلة بارعة تريك قدرة الشاعر على أن يرى في كل شرّ خيراً ولا يرى في أي شرٍّ شراً ناهيك عن أن يرى في الخير شرا !!!

والقصيدة الثانية « كن بلسما » ومطلعها :

كن بلسماً إن صار دهرك أرقما وحلاوةً إن صار غيرك علقما

وإنك تجد فيها مثل هذا التفاؤل البارع :

كره الدجى فاسودّ إلا شهبه بقيت لتضحك منه كيف تجهما(٤)

فاذا أضفت الى هذه القصائد قصيدته « ابسمي »(٥) التي مطلعها :

٣- الجداول ص ٥٣

٢ - الخمائل ص ٣٨ وما بعدها ٣ - الخمائل ص ٥٠ وما بعدها ٤ - الخمائل ٥١

٥ - الخمائل ٧٤

ابسمي كالورد في فجر الصباء وابسمي كالنجم إن جنّ المساء
وإذا ما كفن الثلج الثرى ...
وتعرّى الزهر من أزهاره ...
فاحلمي بالصيف ثم ابتسمي تخلقي حولك زهراً وشذاء
وإذا أعياك أن تعطي الغنى فافرحي أنك تعطين الرجاء

عرفت لون التفاؤل الذي أخذ به الشاعر نفسه ليضفي على حياته القاتمة أصباغ البهجة والمرح والسعادة . ويكفيك أن تقرأ هذه القصائد التي أشرت اليها ، تقرأها بامعانٍ وتروٍّ وبصر لتدرك كيف يستطيع الانسان أن يخلع على كل مظهر من مظاهر الحياة بهجة مابعدها بهجة ، وجمالا مابعده جمال !

ويكاد الشاعر يبلغ ذروة الابداع والقدرة على التفاؤل عندما يرى في جهنم (لمن يخشاها) أنها ليست اكثر من فكرة تاجر ، أما الله — عز وجل — فلا يمكن أن يخلق لنا شقاء :

كم روعوا بجهنم أرواحنا فتألمت من قبل أن تتألما
ليست جهنم غير فكرة تاجرٍ الله لم يخلق لنا إلا السما(١)

* * *

ولعل لمعتقد الشاعر علاقة وثيقة بهذا التفاؤل الذي يرين على حياته .

وهنا نجد أنفسنا أمام معتقده . واذا حاولنا أن نجزّىء المبحث ، فنبين رأي الشاعر في قضايا « ماوراء الطبيعة » كالذات الالهية ثم قضية الحشر والخلود ، والمبتدأ والمنتهى ، ثم نشير الى رأيه في القدرية والجبرية واللا أدرية ، لزمنا أن

---

١ ـ الخمائل ص ٥٢

نعقد لذاك الفصول الطوال ، وهي موضوعات جديرة بأن تُعقد لهـا تلك الفصول حتى لا يترك فيها البـــاحث زيادةً لمستزيد . ولكنني أحسب في بعض الاشارة مايغني عن كثير من التطويل، وبعض اللمحات تفتح الآفاق أمام أولئك الذين يتقصون أمثال هذه المباحث ليجدوا في هذه اللمحات أقباساً تهديهم وتأخذ بيدهم الى حيث المجال أوسع والميدان أجمع .

٥

معتقد الشاعر

ما قيمة الانسان معتقـداً	إن لم يقل للناس ما اعتقدا(١)
ماذا يفيد الصوت مرتفعـاً	إن لم يكن للصوت ثمَّ صدى

من هنـا تتضح لنـا دعوة الشاعر لاظهار معتقده ، ذلك أنه يعتقد أن من يعتقد اعتقاداً ثم يخفيه فكأنه ما اعتقده ، وبالتالي لم يصل به الى الغاية المرجوة من اعتقاده .

فمـا هي معتقدات الشاعر ؟

معتقداته — كما رأينا — لونان : أحدهما يتصل بنظراته في الحياة كالتفاؤل وما شابه ذلك ؛ وثانيهما يتصل بما هو من صميم « المعتقد » ؛ وقد ينتظم في سلكها غرض الحكمة لأنها تنبىء عن آراء الشاعر التي تتنزل منزلة المعتقدات ؛ الا أن الغرض من لفظة « معتقد » في هذا المبحث انمـا هو النظرة الى الحياة من وجهة نظر الدين ؛ فثمة حديث في الله تعالى ، وفي الأنبياء والدين ، وفي الجـبرية ، ثم

١ - من قصيدة « لم أجد أحداً »

القضايا الكبرى التي شغلت الفكر منذ أحسّ بوجوده على ظهر الأرض « من أين جئت ؟ من أنا ؟ الى أين أصير ؟ » وأخيراً رأيه في الخلود ...

وعندما يعرض الشاعر الكبير لهذه القضايا الكبرى تجده يعالج موضوعاتها بشيء من اليُسر والسهولة دون أي تحرُّج ، وكأنه يصف منظراً جميلاً ، مما يومىء الى أن اعتقاده لها لم يكن فيه تكلف أو تعنت أو مشقة ، فهو بهـذا قد جرى وفاق طبيعته ، وما يمليه عليه خاطره وفكره وعقله !

•

الله ومشيئته

ليس هنالك وضوح في رأي الشاعر في هـذا الموضوع الخطير ؛ فلست تلمح الحاداً وكفراً ، كما لا تلمح إيماناً واضحاً . فمرة يقول :

آمنت بالله وآياته　　　أليس أن الله باريها (١)

ومرة خرى ترى لديه لوناً عميقاً من الايمـان الذي يرى الله في كل مظهر من مظاهر الطبيعة ؛ أما عندما ورد ذكر الله مباشرة ، فانه رآه (تعالى) فكراً ثم حساً وشعوراً ، ثم رآه « ديوان شاعر » !!!

قال لي ابني وهو حيران بما يحكي ويقرا
كيف كان الله ؟.. إني قد وجدت الله سراً
أسمـع الناس يقولون به خيراً وشراً
فأفدني ...

---

١ ـ الخمائل ص ٨٨

قلت : يا ابني أنا مثل الناس طرّا

لي في الصحة آراء وفي العلة أُخرى

كلما زحزحت ستراً خلتني أسدل سترا

لستُ أدرى منك بالأمر ولا غيري أدرى !! (١)

وإذا تابعت قراءة القصيدة وجدت الشاعر وقد رأى الله «فكراً» و «حساً» و «شعوراً» ثم «ديوان شاعر» !...

أما من حيث مشيئته ، فواضح أن الشاعر في جملة منظومه يؤمن ايماناً لا يعتوره الشك أنه «مسيّر» لا «مخيَّر» ؛ يشير الى ذلك في أي موطن يعرض فيه مثل هذا المجال الاعراب عن الرأي .

أراد الله أن نعشق لما أوجد الحسنا

مشيئته . . وما كانت مشيئته بلا معنى(٢)

. . . .

فان أحببت ماذنبك، أو أحببتُ ما ذنبي ؟.

ثم :

إذن فاحيَ ومت كالناس عبداً غير مختار (٣)

فان كان الشاعر يرى أنه مسير لا مخير ، فمعنى هذا بالضرورة ، أن هنالك مسيراً يُسيرُ الى مصير معلوم ...

ولكننا نجد الشاعر ينكر انكاراً بعيداً هذا المصير ، فهو تارة حائر لا يدري

---

١ ـ أخمائل ص ١٠٨

٢ ـ الجداول ص ٣٤

٣ ـ أخمائل ١٠٤

ما يعتقد في مسألة « المصير » وتارة مطمئن أنه صائر الى فناء !

ولعل في قصيدته الخالدة « الطلاسم » آراءَه جملةً وتفصيلاً في هذا الموضوع الخطير ...

والشاعر في جميع مجالات هذا الموضوع حائر ، حائر في أمر نفسه ، وحائر في أمر أمسه ، وحائر بالتالي في يومه وغده ، كأنما يمشي في ظلمات متراكم بعضها فوق بعض :

يا ليل ! أين النور ؟ إني تائه مر ينبثق . أم ليس عندك نور ؟(١)

والشك يأخذ به من كل جانب ، شك في كل شيء وفي كل أمر . وقد ذهبت الآنسة فدوى طوقان الى أن شاعرنا متميز بأنه منتسب لمدرسة « اللا أدريين »(٢) ظناً منها أنها مدرسة الشك التي يراد منها « المذهب القائل بأن معرفة الحقائق في هذا العالم لا يمكن الوصول اليها ، أو يشك في الوصول اليها . » ومن هنا كان هذا المذهب « هادماً للفلسفة ، لأن الفلسفة ليست الا السعي لمعرفة حقائق هذا الكون »(٣) .

ولكن هذه الأشياء التي يشك في وجودها اللاأدريون انما هي التي عبر عنها جورجياس — أحد زعماء السوفسطائية بقوله :

« إننا نشك في وجود الأشياء ، وإن كانت موجودة فلا سبيل إلى معرفتها .. »

---

١ - الخمائل ص١٦

٢ - The sceptics

٣ - قصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين وزكي نجيب محمود - طبعة ١٩٤٩ ص ٣١٩ وما بعدها

وواضح بعد هـذا أن موضوع مسائل « اللا أدريين » يختلف عن موضوع مسائل « لست أدري » التي وردت في قصيدة « الطلاسم » والتي تراءى للشاعرة الفاضلة أنه بها من مدرسة اللا أدريين !!!

●

أما هذه الشكوك والتساؤلات التي تعتلج في صدر الشاعر وتعتمل في خاطره فقد تراءت منذ نشأته الشعرية الأولى ... فمن أنا ؟ . . ومن أين جئت ؟. . والى أين أصير ؟.. كل هذه أسئلة ستبقى سرمدية وسيبقى الجواب عليها مبهماً إبهاماً سرمدياً .. وقد عبر تعبيراً كاملاً عن هذه المسائل الغامضة في ملحمته الرائعة « الطلاسم»، التي جعلتها في القسم الأخير من المنتخبات ؛ وهي مقتبسة عن ديوانه الثالث « الجداول » ؛ إلا أننا نجد بذور تلك الأسئلة في الجزء الثاني من ديوانه(١) :

أفكر كيف جئت؟وكيف أمضي   على رغمي ؟ فأعيا بالجواب
أتيت ولم أكن أدري مجيئي   وأذهب غير دارٍ بالاياب
إذا كان المصير الى التلاشي   فلم جئنا وكنا في حجاب ؟
وإن كان المصير الى خلودٍ   فما معنى المنية والتباب ؟
أمور لا يحيط بهن فكر   ولو أمسى يحيط بكل باب !!..

ويلخص المشكلة مرة أخرى في ملحمته « الطلاسم » عندما يقول :

جئت لا أعلم من أين ، ولكني اتيتُ

---

١ ـ ص ١٧٢ من هذه المنتخبات

ولقد أبصرت قدّامي طريقاً فمشيت
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ ؟.. كيف أبصرتُ طريقي ؟..

لستُ أدري !..

ويروح متسائلاً عن ذاته :

أجديدٌ أم قديم أنا في هذا الوجود ؟..

ثم يتساءل عن حريته :

هل أنا حر طليقٌ ؟..
هل أنا قائد نفسي ؟..

ويتساءل عن منشئه ؛ أهو من البحر أم من النهر أم من ماذا ؟.. وتجده فى جميع مراحل « إثارة المشكلة » يجيب عليها إجابة غامضة ؛ وتتضح نزعتـــه الى الجهل بالماضى والحاضر والآتي بلفظة « لست أدري » !..

حتى إذا وصلنا معه الى شاطىء الحياة الثاني، الخلود ، وجدناه في لمحة واحدة يؤمن به :

هات اسقني الخمر جهراً ولا تبال بما يكون
إن كان خيراً أو كان شراً إنا إلى الله راجعون (١)

على أننا نراه في غير هذه اللمحة ينكر الخلود انكاراً رهيباً ، ولا يقره ولا يعترف به :

---

١ ـ قصيدة « الى الله راجعون » من منتخبات هذا الكتاب .

لا خلودٌ تحت السماء لحيٍ فلماذا تُراود المستحيلا ؟..

وفي موطن آخر يقول :

خلّ الغرور بما لديك قانعـا دنياك زائلةٌ ونفسك فانيه ..
لو أنّ حياً خالداً فوق الثرى ما مات هرون وزال معاويه

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يتعداه الى أن مجرد التفكير في الخلود معناه الوقوع في الخطأ :

غلط القائل إنا خالدون كلنا بعد الردى هيٌّ بن بي

وفي نفس الموشح نجده يقول :

انما القول بأنا للخلود فكرةٌ أوجدها حبّ البقاء ..

ثم ....

إذا كنت لا تستطيع الخلود فعش بيننا أثراً طيبا (١)

وبعد هذا ، نجد الفكرة تسير في ركاب شعره حتى في ديوانه الثالث الجداول، إذ نسمعه يقول :

إن تكن للخلود ذاتك في الدنيـــــا فماذا الأمر الذي تهواه (٢)
وإذا صرت غير شخصك في الأخـــــرى فهذا الفنا الذي تخشاه
في التراب الذي تدوس عليه ألف دنيا وعالمٍ لا تراه

ثم ...

---

١ ـ ص ١٠٦ من هذا الكتاب

١ ـ الجداول ص ١٠٠

يا من تحنّ الى غد في يومه   قد بعت ما تدري بمالا تعلم (١)

◆

ونصل بعد هذا مع الشاعر الى « الموت » .. فنجده قد وفى الموضوع حقه في قصيدته التي عارض فيها قصيدة المعري في رثاء والده ...

برغمك فارقت الربوع وإننا   على الرغم منا سوف نلحق بالظعن (٢)
طريقٌ مشى فيها الملايين قبلنا   من الملك السامي الى عبده القنّ
نظن لنا الدنيا وما في رحابها   وليست لنا الا كما البحر للسفن

والموت ...

فأكثر أهل الارض معرفةً به   كأكثرهم جهلاً ، يرجم بالظنّ
فيالك سفراً لم يزل جد غامضٍ   على كثرة التفصيل في الشرح والمتن

* * *

الخاتمة

... وليس لي أن أدعي ، قبل هذا وبعد ذاك ، أنني استنفدت بهذه الدراسة ما أريد أن أقول في الشاعر وشعره ، وأغراضه ونزعاته وخاطرات فكره ؛ وانما أرى أنني ألممت بهذه الحياة الحافلة الماما ، وطفت بتلك الرياض الغناء لماما ، وقبست من هنا زهرة ومن هناك فكرة وجعلتها في هذه المجموعة لأقدمها طاقةً من الابداع الجميل في مثل هذه المحاولة ، وعذري أن جهد المقل غير قليل .

دمشق ـ آذار ١٩٥٤

زهير ميرزا

---

١ ـ الجداول ص ١١٤

٢ ـ الخمائل : قصيدة « أبي » ص ٦١

ملحوظة هامة للناقد

سيقف القارىء الحصيف على بعض التطبيع وبعض الخطأ في ضبط الكلم . ولسنا ندعي سلامة النص ، فالعصمة لله وحده . ولكننا سننبه على الخطير من تلك التطبيعات والخطيئات تاركين البقية للقارىء يجر عليها ذيل الاغضاء .



شعر

الشاعر

قالت وصفتَ لنا الرحيقَ وكوبَها
وصريعَهـا ومُديرَهـا والعـاصِرَا
والحقلَ والفلّاحَ فيـه سائراً
عند المَسَا يرعى القطيـعَ السَّائرا
ووقفتَ عند البحرِ يهدُرُ موجُـه
فرجعتَ بالألفاظِ بحراً هادرا
صوَّرتَ في القرطاسِ حتى الخاطرا
فخلَبْتَنَـا وسحرتَ حتى الساحرا
وأريتَنا في كلّ قفرٍ روضـةً
وأريتَنا في كلِّ روضٍ طائراً
لكن إذا سألَ امرؤٌ عنك امرَءاً
أبصرتَ محتاراً يخـاطب حائرا
من أنتَ يا هذا ؟ فقلت لها : أنا
كالكهرباء أرى خفيّـاً ظاهرا

قالت : لَعمرُكَ زِدتَ نفسي ضلَّةً

ما كان ضرّكَ لو وصفتَ الشاعرا؟

● ● ●

فأجبتُها : هو مَن يسائلُ نفسَه

عن نفسِهِ في صُبحِهِ ومسائِهِ

والعينَ سرَّ سُهادِها ورقادِها

والقلبَ سرَّ قنوطِهِ ورجائِهِ

فيَحارُ بينَ مجيئِهِ وذهابِهِ

ويَحارُ بينَ أمامِهِ وورائِهِ

ويَرى أُفولَ النجمِ قبلَ أُفولِه

ويَرى فَناءَ الشيءِ قبلَ فنائِهِ

ويسيرُ في الرَّوضِ الأَغنِّ فلا ترى

عيناهُ غيرَ الشوكِ في أرجائِهِ

إنْ نامَ لم تَرقدْ هواجسُ روحِه

وإذا استَفاقَ رأيتَهُ كالتائِهِ

ما إنْ يُبالي ضِحكَنا وبُكاءَنا

ويُخيفُنا في ضِحكِهِ وبُكائِهِ

كالنارِ يلتهمُ العواطِفَ عقلُـهُ
فيميتُهـا ويموتُ في صَحرائهِ!!

● ● ●

قالت: أتعرفُ مَنْ وصفتَ؟ فقلتُ: مَن؟
قالتْ: وصفتَ الفيلسوفَ الكافرا
يا شاعرَ الدُّنيا وفيكَ حصافةٌ
ما كانَ ضرَّكَ لو وصفتَ الشاعرا؟

● ● ●

فقلتُ: هو امرؤٌ يَهوى العُقَارا
كما يَهوَى مُغازَلَةَ العَـذارى
إذا فرغتْ مِن الرَّاحِ الدِنانُ
توهَّمَ أنما فَرَغَ الزمانُ
يُعاقرُها عَلَى ضَوْءِ الدَّراري
فإنْ غربتْ، عَلَى ضوءِ النهارِ
ويَحْسَبُ مِهرَجانَ الناسِ مأتمْ
بـلا خمرٍ، وجنَّتهُمْ جَهنَّمْ
مَلولٌ لا يَـدومُ عَلَى ولاءِ
ولكنْ لا يدومُ عَلَى عِداءِ

أخو لُبٍّ ولكنْ لا إرادَهْ
وذو زُهدٍ ولكنْ بالزَّهادَهْ

يميلُ إلى الدُّعابةِ والمُزاحِ
ولو بينَ الأسِنَّةِ والصِّفاحِ

ويوشكُ أنْ يُقهقِهَ في الجَنازَهْ
ويَرقُصَ كالعواصِفِ في المَفازَهْ

إذا بَصُرَتْ به عينُ الأديبِ
فقد وقعتْ عَلى رجلٍ مُريبِ

يُعنِّفهُ الصِّحابُ فلا يُنيبُ
ويَزْجُرُهُ المَشيبُ فلا يتوبُ

فقالتْ : جئتَ بالكلمِ البَديعِ
ولكنْ ما وَصفتَ سِوى « الخليعِ »

• • •

وخِفتُ إعراضَها عني فقلتُ : إذن
هو الذي أبداً يَبكي منَ الزَّمنِ

كأنَّما ليسَ في الدُّنيا سواهُ فتىً
معرَّضٌ لخطوبِ الدهرِ والمحنِ

يشكو السَّقامَ وما في جسمه مرضٌ
والسُّهْدَ وهو قريبُ العهدِ بالوَسَنِ
والهجرَ ، وهو يَرأَى من أحبَّتِهِ
والأَسرَ ، وهو طليقُ الروحِ والبَدَنِ
ولا يَرَى حَسَناً في الأرضِ يألفهُ
أو يشتهيهِ وكم في الأرضِ من حَسَنِ
ينوحُ في الرَّوْضِ والأشجارُ مورقةٌ
كما يَنُوحُ عَلَى الأطلالِ والدِمَنِ
فقاطعتني وقالت : قد بَعدْتَ بنا
ما ذي الصفاتُ صفاتِ الشاعرِ الفَطِنِ

• • • •

قالتْ : مهلاً إذا ضللتُ وعُذراً
ربما أخطأ الحكيمُ وضلّا
هو من تَرْسمُ الجمالَ يداه
فنراهُ في الطِرْسِ أشهى وأحلى
لو دُعيْ الفؤادِ يلعبُ بالألبابِ لعباً إنْ شاء أنْ يَتَسلى
ويُرينا ما ليسَ يَبقَى سَيَبقَى
ويُرينا ما ليس يَبْلَى سيبلى

يطبعُ الشُّهبَ للأنامِ نُقُوداً
وهو يشكو الإملاقَ كيف تولّى

أفَما ذا من تبتغينَ وأبغي
وصفَه؟ قالتِ المليحةُ: كلّا!..

● ● ●

يا هذهِ إني عييتُ بوصفهِ
وعجزتُ عن إدراكِ مكنوناتهِ

لا تستطيعُ الخمرُ سردَ صفاتِها
والرَّوضُ وصفَ زهورِهِ ونباتِهِ

هو من نراهُ سائراً فوق الثرى
وكأنَّ فوقَ فؤادِهِ خُطواتِهِ

إنْ ناحَ فالأرواحُ في عَبَراتِهِ
وإذا شدا فالحبُّ في نَغَماتِهِ

يبكي مع النائي على أوطانِهِ
ويُشاركُ المحزونَ في عَبَراتِهِ

وتُغيِّرُ الأيامُ قلبَ فتاتِهِ
ويظلُّ ذا كَلَفٍ بقلبِ فتاتِهِ

هو مَن يعيشُ لغيرِهِ ويظُنُّهُ
مَن ليسَ يفهمُهُ يعيشُ لِذاتِهِ!!!

✦✦✦

فلسفة الحياة

أيّهذا الشّاكي وما بكَ داءٌ

كيفَ تَغدُو إذا غدوتَ عليلا ؟

إنّ شرّ الجُناةِ في الأرضِ نفسٌ

تتوقّى ، قبلَ الرّحيلِ ، الرّحيلا

وترى الشّوكَ في الوُرودِ ، وتَعمَى

أن ترَى فوقَها النّدَى إكليلا

هو عِبءٌ عَلَى الحياةِ ثقيلٌ

مَنْ يَظُنُّ الحياةَ عِبئاً ثقيلا

والذي نفسُهُ بغيرِ جمَالٍ

لا يَرى في الوُجودِ شيئاً جَميلا

ليسَ أشقَى ممّنْ يرَى العيشَ مُراً

ويَظُنُّ اللّذاتِ فيه فُضولا

أَحكَمُ النّاسِ في الحياةِ أُناسٌ
علّلوهـا فأَحسَنُوا التّعليـلا

فَتَمَتَّـعْ بالصُّبحِ ما دُمْتَ فيـهِ
لا تَخَفْ أنْ يَزولَ حتى يَزُولا

وإذا ما أَظَـلَّ رأسَكَ همٌّ
قصِرِ البحثَ فيه كَيلا يَطُولا

أدرَكَتْ كُنْهَهَا طيورُ الرَّوابي
فمِنَ العَـارِ أَنْ تظَلَّ جَهُولا

ما تَراها ـ والحقلُ مِلكُ سواهـا
تَتخِذَتْ فيه مَسْرَحاً ومَقيـلا

تَتَغَنَّى، والصَّقرُ قد مَلَكَ الجوَّ
عَلَيْهَا، والصائدونَ السَّبيـلا

تَتَغَنَّى، وقد رأت بعضَها يُؤْ
خَذُ حيّاً والبعضَ يَقضي قتيلا

تتغنّى، وعمرُها بعضُ عـامٍ
أَفتبكي وقد تَعيشُ طويلا ؟

فهي فَوقَ الغُصونِ في الفَجرِ تَتلو
سُوَرَ الوَجْدِ والهوى تَرتيـلا

وهيَ طوراً عَلى الثرى واقعاتٌ
تَلقطُ الحَبَّ أو تَجُرُّ الذُيولا

كلّما أَمسكَ الغصونَ سكونٌ
صَفَّقَتْ للغصونِ حتى تَميلا

فاذا ذَهَبَ الأَصِيلُ الرَّوابي
وقفتْ فوقَها تُناجي الأَصِيلا

فاطْلُبِ اللّهوَ مثلما تَطْلُبُ الأَطْيارُ عِندَ الهَجيرِ ظِلّاً ظليلا

وتَعَلَّمْ حُبَّ الطَّبيعةِ منها
واتْرُكِ القَالَ للوَرَى والقيلا

فالذي يَتَّقي العَواذِلَ يَلقَى
كلَّ حينٍ في كلِ شَخْصٍ عَذُولا

• • •

أَنتَ للأَرضِ أولاً وأخيراً
كنتَ مَلِكاً أو كنتَ عبداً ذليلا

لا خلودٌ تحتَ السَّماءِ لحيٍّ
فلماذا تُراودُ المُستحيلا ؟ . .

كلُّ نجمٍ إلى الأفولِ ولكنْ
آفةُ النجمِ أنْ يَخافَ الأُفولا
غايةُ الوَرْدِ في الرِّياضِ ذبولٌ
كنْ حكيماً واسبقْ إليه الذُّبولا
وإذا ما وَجدتَ في الأَرضِ ظِلّاً
فتَفَيَّأْ بهِ إلى أنْ يَحُولا
وتوقَّعْ، إذا السَّماءُ اكفهَرَّتْ
مَطَراً في السُّهولِ يُحيي السُّهُولا
قلْ لقومٍ يَستَنزِفونَ المآقي
هل شَفَيْتُم معَ البُكاءِ غَليلا ؟
ما أتَيْنَا إلى الحياةِ لنَشقى
فأريحوا، أهلَ العقولِ، العقولا
كلُّ مَنْ يَجمَعُ الهمومَ عليهِ
أَخذَتْهُ الهمومُ أخذاً وَبيلا

• • •

كنْ هَزاراً في عُشِّهِ يتَغنَّى
ومعَ الكَبْلِ لا يبالي الكُبُولا

لا غُراباً يطاردُ الدُودَ في الأَرْ
ضِ وبُوماً في اللَّيلِ يبكي الطُّلولا

● ● ●

كُنْ غديراً يسيرُ في الأَرْضِ رقرا
قاً فيَسْقي من جانبَيْهِ الحقولا

تستحمُّ النُّجومُ فيه ويلقى
كلُّ شخصٍ وكلُّ شيءٍ مثيلا

لا وعاءً يُقيِّد الماءَ حتى
تستحيلَ المياهُ فيه وُحولا

● ● ●

كُنْ معَ الفجرِ نسمةً تُوسِعُ الأَزْ
هارَ شمّاً وتارةً تقبيلا

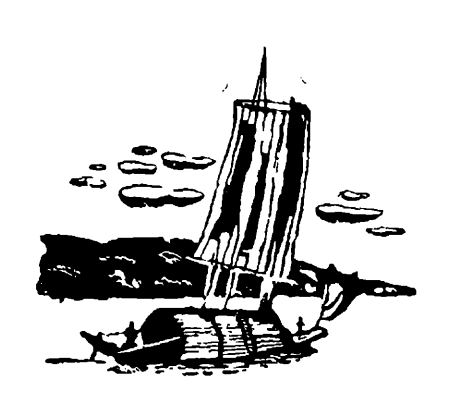
لا سموماً من السَّوافي اللَّواتي
تملأُ الأَرضَ في الظَّلامِ عويلا

ومعَ اللَّيلِ كوكباً يُؤْنِسُ الغا
باتِ والنَّهرَ والرُّبى والسُّهولا

لا تُجِيءَ يَكْرَهُ العوالمَ والنّا
سَ فَيُلقي على الجميعِ سُدولا

• • •

أيهذا الشّاكي وما بكَ داءٌ
كُنْ جميلاً ترَ الوجودَ جميلا



أم القرى *

أبصرتُها ، والشمسُ عندَ شُروقِها
فرأيتُها مغمورةً بالنّارِ

ورأيتُها عندَ الغروبِ غريقةً
في لُجّةٍ من سُندُسٍ ونُضارِ

ورأيتُها تحتَ الدُّجى ، فرأيتُها
في بُردَتينِ : سكينةٍ ووَقارِ

فتنَبّهتْ في النفسِ أحلامُ الصِبَى
وغَرِقتُ في بَحرٍ من التّذكارِ

● ●

نَفسي لها من جَنّةٍ خَلّابة
نَسَجتْ غلائلَها يدُ الأمطارِ

أنّى مَشَيْتَ نَشَقْتَ مِسكاً أزفراً
في أرضِها وسَمِعتَ صوتَ هَزارِ

● ●

(١) أو ملفرد الجميلة

ذاتَ الجبالِ الشّامخاتِ الى العُلا
يا لَيتَ في أَعلَى جِبالِكِ داري

لأَرَى الغَزالةَ قبلَ سُكانِ الحِمَى
وأُعانِقَ النَّسَماتِ في الأَسْحارِ

لأَرَى رُعاتكِ في المُروجِ وفي الرُّبى
والشّاءَ سارِحَةً مع الأَبقارِ

لأَرى الطُّيورَ الوَاقِعاتِ على الثَّرى
والنَّحلَ حائمةً على الأَزهارِ

لأُساجِلَ الوَرْقاءَ في تَغريدِها
وتَهزّ روحي نَفْحَةُ المِزْمارِ

لأُسامرَ الأَقمارَ في أَفلاكِهَا
تحتَ الظَّلامِ إذا غَفا سُمّاري

لأُراقِبَ « الدلوَارَ » في جَرَيانِهِ
وأَرى خَيالَ البَدْرِ في « الدلوارِ »

• •

بِئسَ المدِينةُ إنّها سِجْنُ النُّهَى
وَذَوي النُّهى ، وجهنّمُ الأَحرارِ

لا يملكُ الإنسانُ فيهَا نَفْسَهُ
حتَّى يُرَوِّعَهُ ضجيجُ قِطَارِ

وَجدَتْ بها نفسي المَفاسِدَ والأَذى
في كلِّ زَاويةٍ وكلِّ جِدارِ

لا يَخدَعنَّ الناظرينَ بُروجُها
تلكَ البُروجُ مخَابئُ العَارِ

لو أنَّ حاسِدَ أهلِها لاقى الذي
لاقيتُ لَمْ يَحسُدْ سوى « بَشَّارِ »

غُفرانَك اللَّهُمَّ ما أنا كافرٌ
فلِمَ تُعذِّبُ مُهجتي بالنَّارِ ؟

• •

للهِ ما أَشْهَى القُرى وأَحبَّها
لِفتىً بعيدِ مَطَارِحِ الأَفكارِ

إن شئتَ تَعرَى من قُيودِكَ كُلِّهَا
فانْظُرْ إلى صَدْرِ السَّمَاءِ العَاري

وَامْشِ عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ ، فإنْ خَبَا
فامْشِ عَلَى ضَوْءِ الهِلالِ السَّاري

عِشْ في الخَلاء تَعِشْ خَلِيًّا هانئاً
كالطَّيرِ . . حُراً ، كالغديرِ الجاري
عِشْ في الخَلاء كَما تعيشُ طيورُهُ
الحُرُّ يأبى العَيْشَ تحتَ سِتارِ !

• •

شلّالُ « ملفِرْذ » لا يقِرُّ قرارُهُ
وأنا لِشَوْقي لا يَقِرُّ قَراري
فيهِ منَ السَّيفِ الصَّقيلِ بريقُهُ
ولهُ ضَجيجُ الجَحْفَلِ الجَرّارِ
أَبداً يرُشُّ صخورَهُ بدُموعِهِ
أَتُراهُ يغسِلُها منَ الأوزارِ ؟
فاذا تَطايرَ ماؤُهُ مُتناثِراً
أَبصَرْتَ حولَ السَّفحِ شِبهَ غُبارِ
كالبحرِ ذي التَيّارِ يَدْفَعُ بعضَهُ
ويصولُ كالضِرغامِ ذي الأَظفارِ
، من قمَّةٍ كالنَّهدِ ، أيُّ فتىً رأى
نهداً يَفيضُ بعارضٍ مِدرارِ ؟

فكأنما هيَ مِنبرٌ وكأنهُ
«مِيرابُ» بين عصائبِ الثُوَّارِ

مَن لَمْ يُشاهدْ ساعةً وثَباتِهِ
لَمْ يَدرِ كيفَ تَغطرُسُ الجبَّارِ

ما زِلتُ أحسبُ كلَّ صمتٍ حكمةً
حتَّى بَصُرتُ بذلكَ الثرثارِ

أَعدَدْتُ ، قبلَ أراهُ ، وِقفَةَ عابرٍ
لاهٍ فكانتْ وِقفَةَ استِعْبارا..

• •

يا أختَ دارِ الخلدِ ، يا أمَّ القرى ،
يا ربَّةَ الغاباتِ والأنهارِ

للهِ يومٌ فيكِ قد قضَّيتُهُ
معَ عُصبَةٍ مِن خيرةِ الأنصارِ

نمشي عَلَى تلكَ الهِضابِ ودونَنا
بحرٌ من الأغراسِ والأشجارِ

تَنسابُ فيهِ العَينُ بينَ جداولٍ
وخمائلٍ ومَسَالكٍ ودِيارِ

آنَا عَلى جَبلٍ مَكينٍ راسخٍ
راسٍ ، وآنَا فوقَ جُرفٍ هارِ

تهوي الحِجارةُ تحتَنا من حالِق
ونكادُ أنْ نَهوي مَعَ الأحجارِ

لو كنتَ شاهِدَنا نُهرولُ من عَلٍ
لَضَحِكتَ مِنَّا ضِحْكَةَ استهتارِ

آلريحُ ساكنةٌ ونحنُ نَظُنُّنا
للخوفِ مُندَفعينَ مَعْ إعصارِ

والأرضُ ثابتةٌ ونحنُ نخالُها
تهتزُّ مَعْ دَفْعِ النَّسيمِ السَّاري

ما زالَ يَسنُدُ بعضُنا بعضاً كما
يتماسَكُ الزُوَّادُ في الأسفارِ

ويَشدُّ هذا ذاكَ من أزرارِهِ
فيشدُّني ذيَّاكَ من أزراري

حتى رَجَعنَا سالمِينَ ولم نَعُدْ
لو لم يَمُدَّ اللهُ في الأعمارِ

وَلقد وقفتُ حيالَ نَهرِكِ بُكْرَةً
والطَّيرُ في الوُكُنَاتِ والأَوْكَارِ

مُتَهَيِّباً فكأنَني في هَيكلٍ
وكأنَّهُ سِفرٌ مِنَ الأَسفارِ

ما كنتُ من يَهوَى السُّكوتَ وإنَّما
عَقَلَتْ لساني رَهْبَةُ الأَدهارِ

مرَّ النَّسيمُ بهِ فمرَّتْ مقلتي
مَنهُ بأسطارٍ عَلى أَسْطَارِ

فالقلبُ مُشتَغِلٌ بتذْكاراتِهِ
والطَّرْفُ مُندفعٌ مع التَّيَّارِ

حتى تَجلَّتْ فوقَ هاتيكَ الرُّبى
شَمسُ الصَّباحِ تلوحُ كالدِّينارِ

فعلَى جوانِبِهِ وِشاحُ زَبَرْجَدٍ
وعَلَى غَوارِبِهِ وِشاحُ بهارِ

لو أَبصرتْ عيناكَ فيهِ خيالَها
لرأَيتَ مِرآةً بغيرِ إِطَارِ

يَمْنَتُهُ سُحْراً وأُسرارِي معي

وَرَجَعْتُ في أَعماقِــهِ أَسراري!..

● ●

إني حسدتُ عَلَى القُرَى أَهْلَ القُرى

وغَبَطْتُ حتَّى نَافِــخَ المِزمارِ

ليلٌ وصُبحٌ بين إخوانِ الصَّفا

ما كانَ أَجملَ ليلــتي ونَهاري!



أنا وأخت المهاة والقمر

آهِ من الحُبِّ كلُّــه عِبَرُ
عنــديَ منهُ الدُّموعُ والسَّهرُ

وويحَ صرعى الغرامِ إنَّهمُ
مَوتى ، وما كُفِّنوا ولا قُبِروا

يَمشون في الأرضِ ليس يأخذُهمْ
زَهوٌ ولا في خدودِهم صَعَرُ

لو وَلَجَ النــاسُ في سرائرِهمْ
هانَتْ ، ورَبي ، عليهمُ سَقَرُ

ما خفَروا ذِمَّةً ، ولا نَكَثُوا
عَهداً ، ولا ماالأوا ولا غَــدَروا

قد حَمَلوا الهونَ غيرَ ما سَأمٍ
لولا الهوى للهوانِ ما صَبروا

لم يُبقِ مني الضَّنى سِوى شَبحٍ
يكادُ ، لولا الرَّجاء ، يَندثرُ

أَمسَى وِسَادي مُشابهاً كبدي
كلاهُما النَّارُ فيهِ تَستعرُ

أَكلُّ صبٍّ ، ياليلُ ، مضجعُهُ
مثليَ فيهِ القَتادُ والإِبَرُ

لعلَّ طَيْفاً منْ هِندَ يَطرقُني
فعندَ هِندٍ عن شِقْوَتي خَبرُ

مَا بَالُ هِندٍ عليَّ غاضبةً
ما شابَ فَودي وليسَ بي كِبَرُ

ما زلتُ غضَّ الشَّبابِ لا وهنٌ
يا هندُ في عَزمَتي ولا خَورُ

لا درَّ درُّ الوُشاةِ قد حَلفُوا
أنْ يُفسِدُوا بيننا وقد قَدرُوا

واهاً لأَيَّامنا .. أراجعةٌ ؟
فانهنَّ الحُجولُ والغُرَرُ

أيام لا الدّهرُ قابضٌ يدَهُ
عني ، ولا هنـدُ قلبُها حجرُ

● ● ●

لم أنسَ ليلًا سهرتُه معَها
تحنو علينَا الأفنـانُ والشَجرُ

غَفرتُ ذنبَ النَوى بزَوْرتِها
ذَنبُ النَوَى باللقَـاء يُغتفرُ

بتْنا عَنِ الراصِدينَ يَكتُمُنا
الأسْوَدَانِ : الظلامُ والشَعَرُ

ثلاثةٌ للسُرورِ ما رَقَـدُوا
أنا وأُختُ المَهَاةِ والقَمَرُ

فَما لهذي النُجومِ ساهيـةً
تَرنُو إلينَـا كأَنها نُذُرُ ؟..

إنْ كانَ صُبحُ الجبينِ روَّعها
فإنَّ ليلَ الشُعورِ مُعتكرُ

أوِ انتظامُ العُقودِ أغضَبَها
فإنَّ دُرَّ الكَلامِ مُنتثِرُ

وما لتلكَ الغُصونِ مُطرِقةً
كأنَها للسَّلامِ تَختصِرُ

تَبكي كأنَّ الزَّمانَ أرهَقَها
عُسراً ، ولكنْ دُموعُها الثَّمَرُ

طَوراً عَلى الأرضِ تنثني مَرَحاً
وتارةً في الفَضاءِ تَشتجِرُ

فأجفلتْ هندُ عندَ رؤيتِها
وقدْ تَرُوعُ الجآذرَ الصُّوَرُ

هيفاءُ لوْ لم تَلِنْ معاطفُها
عندَ التَثَنِّي خَشِيتُ تنكسرُ

من اللَّواتي — ولا شبيهَ لها —
يزينُهُنَّ الدَّلالُ والخَفَرُ

في كلِّ عُضوٍ وكلِّ جارحةٍ
معنىً جديدٌ للحُسنِ مُبتَكَرُ

تَبِيتُ زُهْرُ النجوم طامعةً
لو أَنَّها فوقَ نَحْرِهــا دُرَرُ

رخيمةُ الصَّوتِ إنْ شَدَتْ لَفَتَتْ
لها الدَّراري وأَنصَت السَحَرُ

أَبثُّها الوَجْدَ وهي لاهيةٌ
أَذْهلَها الحُبُّ فهي تفتكرُ

يا هندُ كمْ ذا الأَنامُ تَعْذُلُنَا
وما أَثِمْنَا ولا بِنَـا وَزَرُ

فابتدَرتْ هندُ وهيَ ضاحكةٌ :
ماذا علينا وإن هُمُ كَثُروا

فَدَتْكَ نَفسي لو أَنَّهُمْ عَقَلوا
واستشعروا الحُبَّ مثلَنا عَذَرُوا

ما يَجحدَ الحُبَّ غيرُ جاهِلِهِ
أَيَجْحَدُ الشمسَ مَنْ لَهُ بصرُ ؟

ذرهمْ وإن أَجلَبُوا وإن صَخبَوا
ولا تَلُمْهُمْ فَمَـا هُمُ بَشَرُ !

● ● ●

سِرْنا الهُوَيناءَ ما بنـا تَعَبُ
وقد سكِتْنا وما بنا حَصَرُ

لكنَّ فرطَ الهُيـامِ أسكَرَنا
وقبلَنا العاشقونَ كَمْ سَكِرُوا

فقل لمن يُكثرُ الظنون بنـا
ما كانَ إلا الحديثُ والنَّظرُ

حـتَّى رأيتُ النُّجومُ آفلةً
وكادَ قلبُ الظـلامِ يَنفطرُ

ودَّعْتُهـا والفُؤادُ مُضطَرِبٌ
أُكَفْكِفُ الدَّمعَ وهو يَنهَمِرُ

وودَّعَتْني ومِنْ مَحاجِرِهـا
فوقَ العَقيقِ الجُمانُ ينحدرُ

قد أَضحكَ الدهرَ ما بـكيتُ لهُ
كـأَنَّما البَينُ عنـدَه وطرُ
كانتْ ليالِيَّ ما بها كَدَرٌ
والآنَ أَمستْ وكلُّها كـدَرُ

إنْ نَفِدَ الدَّمعُ من تَذكُّرِها
فجـادَها بعدَ أَدْمعي المَطَرُ
متى الليالي تَدرِي جنايتها
عَلى قتيلِ الهَوى فتعتـذر



الشاعر والأمة

خَيرُ ما يكتبه ذو مرقمٍ
قِصةٌ فيها لِقومٍ تَذْكِرَه

● ● ●

كانَ في ماضي اللّيالي أُمّةٌ
خَلَعَ العِزُّ عليها حِبَرَهْ

يَجدُ النّازلُ في أكنافِهَا
أَوجُهاً ضاحكةً مستبشرَهْ

ويَسيرُ الطَرفُ من أرباضِها
في مَغانٍ حالياتٍ نَضِرَهْ

لَم يَقِسْ شَعبٌ إلى أمجادِها
مَجدَهُ الباذخَ إلا استَصغرَهْ

هَمُّهـا في العِلمِ تُعلي شأنَـهُ
بينَهـا ، والجَهلِ تَمحـو أثَرَهْ

مـا تَغيبُ الشمسُ إلا أطلعتْ
للوَرى مَحْمَـدَةً أو مأثُرَهْ

فتمنّى الصُّبحُ تغـدو شَمْسَهُ
وتمنّى اللّيـلُ تغـدو قَمَرَهْ

ومشى الدَّهرُ إليهـا طائعـاً
فمشتْ تائهـةً مفتخِرَهْ

● ● ●

كانَ فيهـا مَلِكٌ ذو فِطَنٍ
حازمٌ يصفـحُ عنـدَ المقـدِرَهْ

يَعشقُ الأَمرَ الذي تعشقُـهُ
فـاذا ما استنكرَتْهُ اسْتنكَرَهْ

بلغتْ في عَهـدِهِ مَرتبـةً
لم تَنلهـا أُمَّـةٌ أو جَمهرَه

فاذا أعطتْ ضعيفـاً مَوْثقـاً
أشفقتْ أعـداؤه أن تَخفِرَه

وإذا حاربها طاغيةٌ
كانت الظافرةَ المنتصرَه

ماتَ عنها ، فأقامتْ مَلِكاً
طائشَ الرأي كثيرَ الثرثرَه

حولَهُ عُصبةُ سوء ، كلّما
جاءَ إدّاً أقبلتْ مُعتذرَه

حسُنتْ في عَينِهِ آثامُهُ
وإليهِ نَفسُهُ المستكبرَه

وتمادَى القومُ في غفلَتِهمْ
فتمادَى في الملاهي المُنكرَه

زَحزَحَ الأُمّةَ عن مَركزها
وطوَى رايتَها المُنتَشِرَه

ورأتْ فيها الليالي مَقتلاً
فرَمَتْها فأصابتْ مدبره

فهوَتْ عن عرشها منعفرَهْ
مثلما ترمي بسهمٍ قُبَّرَهْ

• • •

كانَ فيهـا شاعرٌ مُشتَهَرْ

ذو قَوافٍ بينها مُشتَهَرَهْ

كلّما هزّتْ يـداهُ وتراً

هزّ من كلِّ فُـؤادٍ وَتَرَه

تَعِسُ الحظِّ ، وهل أتعَسُ من

شاعرٍ في أمـةٍ مُحتَضَرَه ؟

يقرأُ النّـاظرُ في مُقلتِـهِ

ثَوْرةً ظـاهرةً مُستـتِرَه

ما يَراهُ النّاسُ إلّا واقفـاً

في مغاني قومِهِ المُنـدَثِرَه

حائراً كالرّيحِ في أطلالِها

باكياً والسُّحُبَ المنهمِرَه

وهيَ في أهوائِهـا لاهيـةٌ

وكذاكَ الأمّـةُ المُستَهتِرَه

ما رأتْ مُهجتَـهُ المُنفطِرَهْ

لا ولا أدمُعَـهُ المُنحـدِرَه

فَشكاهُ الشعرُ مما ساءَه
وشكاهُ اللّيلُ ممّا سَهَرَه

ثمَّ لَمّا عَبِثَ اليأسُ بهِ
مزَّقَ الطِرْسَ وشَجَّ المِحْبَرَه!!

• • •

مَرَّ يوماً فرأى أَشياخَها
جَلَسُوا يبكونَ عندَ المَقْبَرَهْ

قالَ ما أُكمُ؟.. ما خطبكمْ
أيُّ كنزٍ في الثَرَى أو جوهرَه؟

ومَنْ الثاوي الذي تبكونَهُ
قيصرٌ، أَم تُبَّعٌ، أَم عَنْتَرَه؟

قالَ شَيخٌ مِنهمُ مُحْدَودِبٌ
ودموعُ اليَأسِ تَغْشَى بَصَرَه

إنَّ مَن نبكيهِ لَو أَبصرَهُ
قيصَرٌ أَبصرَ فيهِ قيصَرَه

كيفَ يا جاهِلُ لا تَعرِفهُ
وحُداةُ العيسِ تَروي خبرَه؟

هو مَلِكٌ كان فينا ومَضى
فمضت أيامُنا المُزدَهِرَه

ولَبِثنا بعدَه في ظُلَمٍ
داجياتٍ فوقَنا مُعتَكِرَه

والّذي كان بنا «مَعرِفةً»
لِصُروفِ الدَّهرِ أمسى «نَكِرَه»

فانتَهى التّاجُ إلى مُعتَسِفٍ
لم يَزلْ بالتّاجِ حتى نَثَرَهْ

كلُّ ما تَصبو إليه نفسُهُ
مِعصَرٌ أو خمرةٌ معتَصَرَه

مُستَهينٍ بالليالي وبِنا
مستعينٍ بالطَّغام الفَجَرَهْ

كلّما جاءَ إليهِ خائنٌ
واشياً قَرَّبهُ واستَوزَرَه

وإذا جاءَ إليهِ ناصِحٌ
شكَّ في نيَّتِـهِ فـانتهرَه

مُستبِـدٍ باذلٍ في لحظـةٍ
مـا ادَّخرناه لهُ وادَّخرَه

يهبُ المرءَ ومـا يملكهُ
وعلى الموهوبِ أنْ يَستغفرَهْ

هزأَ الشَّاعرُ منهم قائـلًا :
بلـغَ السُّوسُ أُصولَ الشَّجرَه

رحمةُ اللهِ عَلَى أسلافكمْ .
إنَّهم كانوا تُقـاةً بَرَرَه

رَحمـةُ اللهِ عليهمْ إنَّهمْ
لم يكونوا أُمَّـةً مُنشَطِرَةْ

إنَّ من تبكونَهُ يا سادتي
كالذي تشكونَ فيكُمْ بَطَرَهْ

إنَّما بأْسُ الأُلى قـد سلَفوا
قتلَ النَّهمَـةَ فيـه والشَّرَه

واتركوا هذي العظامَ النَّخِرَه

لو فعلتُم مـ أجدادِكُم
ما قَضَى الظالمُ منكم وطَرَه

ما مْ تَشكونَ من مُحتَكِم
رُضتُمْ ألسِنَكُمْ أنْ تَشكُرَه ؟

رجعلتمْ منكمُ عسكرَهُ
وحلفتُمْ أنْ تُطيعوا عَسكَرَه ؟

كيفَ لا يبغي ويطغى آمرٌ
يَتَّقي أَشجَعُكُمْ أنْ يَنظُرَه ؟

ما استحالَ الهِرُّ ليثاً إنّما
أُسدُ الآجامِ صارَتْ هِرَرَه

وإذا اللّيثُ وَهَتْ أظفارُهُ
أنشَبَ السِنَّوْرُ فيهِ ظُفرَهْ !!

* * *

وإني ...

نظرتْ مرةً إليَّ وقالت

ما يقولُ الحُسّادُ عنكَ وعني ؟

قلتُ ماذا عساهُمُ أن يقولوا

غيرَ أني جُننتُ فيكِ... وأني...



أمّا أنا...

لا تَنثني في الرَّوضِ أَغصانُ الشَّجرْ
حتَّى تُدَغْدِغَهَا النَّسائمُ في السَّحَرْ

وأَنا كذلكَ لا يُفارِقُني الضَّجَرْ
حتَّى تُداعِبَ لِمَّتي بِيَدَيْها

• • •

الشَّمسُ تُلقِي في الصَّباحِ حِبالَها
وتَبيتُ تَنظُرُ في الغَديرِ خَيالَها

أَمَّا أَنا فإِذَا وَقَفْتُ حِيالَها
أَبصَرْتُ نُورَ الشَّمسِ في خَدَّيْها

• • •

الطَّوْدُ يَقرأُ في السَّماءِ الصَّافِيَهْ
سِفراً ، جَميلٌ مَتْنُهُ والحَاشِيَهْ

أمّا أنا فإذا فَقَدْتُ كِتَابِيَه
أتلو كِتَابَ الحُبِّ في عَيْنَيْها

• • •

الطَّيرُ إنْ عَطِشَتْ ولَجَّ بها الظَّمَا
هَبَطَتْ إلى الأَنهارِ مِنْ عَلْوِ السَّما

أمّا أنا فإذا ظَمِئْتُ فإنَّما
ظَمَأي الشَّديدُ إلى لَمى شَفَتَيْهَا

• • •

ألنَدُّ يَطْلُبُهُ الخَلائِقُ في الرُّبى
بَيْنَ الوُرُودِ وفي نُسَيْمَاتِ الصَّبَا

أمّا أنا فألذُّ مِنْ نَشْرِ الكَبَا
عِنْدِي، الذَّي قَدْ فَاحَ مِن نَهْدَيْهَا

• • •

الرّاحُ تَصْرِفُ ذَا العَنَاء عَنِ العَنَا
وَتَطِيرُ بالصُّعْلُوكِ في جَوِّ المُنَى

فَيَرَى الكَوَاكِبَ تَحْتَهُ ، أَمَّا أَنا
فَتَظَلُّ أَفكارِي تَحُومُ عَلَيْهَا

• • •

فِيهَا وَمِنْهَا ذِلَّتي وسَقَامِي
وبِهَا غَرَامي ، القَاتِلي ؛ وَهُيَامِي

أَشْتَاقُهَا في يَقْظَتي ومَنَامِي
وَاطُولَ شَوْقِ المُسْتَهَامِ إِلَيْهَا



وَداع وشكوى

أَزِفَ الرَّحيلُ وحانَ أن نَتفرَّقـا
فإلى اللِّقـا يا صاحبيَّ إلى اللِّقـا

إن تبكيا فلقد بَكيتُ من الأَسى
حتى لَكِدتُ بأَدْمُعي أن أغرَقـا

وتَسعَّرتْ عنـدَ الوَداعِ أَضالعي
ناراً خَشِيتُ بِحَرِّها أَنْ أُحرَقا

ما زلتُ أَخشَى البَينَ قبلَ وُقوعِهِ
حتى غـدوتُ وليسَ لي أَنْ أَفْرَقَا

يومَ النوى ، لِلهِ مـا أَقسَى النَّوى
لولا النَّوى ما أبغضتْ نَفسي البَقـا

رُحنَا حَيـارَى صامتِينَ كأَنَّنا
للهَوْلِ نَحذَرُ عنـدَه أَن نَنطِقـا

أكبادُنا خفّاقةٌ وعيونُنا
لا تستطيعُ ، من البُكا ، أن ترمُقا

نتجاذبُ النظَراتِ وهيَ ضعيفةٌ
ونغالبُ الأنفاسَ كيلا تزْهَقا

لو لمْ نُعلّلْ باللقاء نفوسَنا
كادتْ مع العبَراتِ أن تتدفّقا

يا صاحبيَّ تصبّرا فلرُبّما
عُدنا وعادَ الشَملُ أبهى رونَقا

إن كانتِ الايّامُ لم ترفُقْ بنا
فمِنَ النُهى بنفوسنا أنْ نرفُقا

إنَّ الذي قدرَ القطيعةَ والنوى
في وُسعِهِ أنْ يجمعَ المُتفرّقا..

● ● ●

ولقدْ ركبتُ البحرَ يزأرُ هائجاً
كالليثِ فارقَ شِبلَه بل أحنَقا

والنفسُ جازعةٌ ولستُ أَلومُها
فالبحرُ أعظمُ ما يُخافُ ويُتَّقى

فلقدْ شهدتُ به حكيماً عاقلاً
ولقدْ رأيتُ بهِ جَهولاً أَخرَقا

مُستَوفِزٌ ما شاءَ أَنْ يلهُو بِنَا
مُترفِقٌ ما شاءَ أَنْ يترَّفقا

وتنازَعُ الأَمواجُ فيهِ بعضَها
بعضاً عَلى جَهلٍ تُنازِعُنا البَقا

بينَا يَراها الطَرفُ سُوراً قائماً
فاذا بها حالتْ فصارتْ خَندَقا

والفُلكُ جاريةٌ تَشُقُّ عُبابَهُ
شَقّاً ، كما تَفري رداءَ أَخلقَا

تَعلُو فنحسبُها تَؤمُّ بِنا السَّما
ونَظنُّ أنّا راكبونَ مُحلّقا

حتّى إذا هبطتْ بنا في لُجَّةٍ
أَيقنتُ أَنَّ الموتَ فينا أَحدَقا

والأُفقُ قد غطَّى الضبابُ أديمَهُ
فكأَنَّما غَشِيَ المدادَ الْمُهرَقا

لا الشَّمسُ تسطعُ في الصَّباحِ، ولا نَرى
إمَّا استطالَ اللَّيلُ، بَدراً مُشرِقا

عِشرونَ يوماً أَو تزيدُ قَضيتُها
كيفَ التفتُّ رأَيتُ ماءً مُغدِقا

(نيُويوركُ) يا بنتَ البُخارِ، بنا اقصِدي
فلعلَّنا بالغَربِ نَنسَى المَشرِقا

وطنٌ أردناهُ عَلَى حُبِّ العُلى
فأبَى سِوى أَن يستكينَ إلى الشَّقا

كالعَبدِ يَخشَى، بعد ما أَفنَى الصِبَى
يلهُو به ساداتُهُ، أن يُعتَقا

أَوَ كلَّما جاءَ الزمانُ بِمُصلحٍ
في أَهلِهِ قالوا: طَغَى وتزندقا؟

فكأَنما لم يكفِهِ ما قد جَنَوا
وكأَنما لم يكفِهِم أن أَخفَقا

هذا جزاء ذَوي النُّهى في أُمَّةٍ
أخذَ الجمودُ عَلَى بَنيها مَوثِقَا

وطنٌ يَضيقُ الحُرُّ ذرعاً عندَهُ
وتراهُ بالأحرارِ ذَرعاً أضيَقَا

ما إنْ رأيتُ به أديباً موسراً
فيما رأيتُ ، ولا جَهولاً مُملِقَا

مَشَتِ الجهالةُ فيهِ تَسحبُ ذيلَها
تِيهاً ، وراحَ العِلمُ يمشي مُطرِقا

أمسَى وأمسَى أهـلُهُ في حالةٍ
لو أنها تعرُو الجمادَ لأشفَقَا

شعبٌ كما شاء التخـاذلُ والهوى
مُتفرِّقٌ ويكادُ أن يَتَمَزَّقَا

لا يرتضي دينَ الإِلَه مُوَفِّقاً
بينَ القُلوبِ ويَرتَضيهِ مُفرِّقا

كلِفٌ بأصحابِ التعبُّدِ والتُّقَى
والشرُّ ما بـينَ التعبُّدِ والتُّقَى

مُستضعَفٌ ، إن لم يُصبْ متملقاً
يوماً تملّقَ أنْ يَرى متملقـا

لم يعتقِـدْ بالعِلمِ وهو حقـائقٌ
لكنَّهُ اعتقَـدَ التمائمَ والرُّقى !

ولربمـا كرِهَ الجمودَ وإنما
صعبٌ على الإنسانِ أن يتخلّقا ..

وحكومةٌ مـا إن تُزَحْزِحُ أحمقاً
عنْ رأسِها حتَّى تُوَلّي أحمقـا

راحتْ تُناصِبُنَا العِدَاءَ كأنما
جئنا فَرِيًّا أو رَكِبْنَا مُوبِقـا

وأبتْ سِوى إرهاقِنَـا فكأنما
كلُّ العَدَالةِ عندَها أن نُرهَقَـا

بيِنَا الأجانبُ يَعبَثُونَ بها كما
عَبِثَ الصَّبا سَحَراً بأغصانِ النَّقـا

(بغدادُ) في خَطرٍ (ومِصرُ) رَهينةٌ
وغداً تَنالُ يدُ المطَامِعِ (جِلّقـا)

ضَعُفَتْ قوائمُها ولمّا تَرْعوي

عَن غيِّها حتى تَزولَ وتُمْحَقا

قيلَ اعْشَقوها قلت : لم يَبْقَ لنا

مَعَها قلوبٌ كي نُحِبَّ ونَعْشَقَا

إن لم تكنْ ذاتُ البنين شَفيقةً

هيهاتَ تَلقَى من بنيها مُشفِقا

أصبحتُ حيثُ النَّفسُ لا تَخْشَى أذىً

أبداً وحيثُ الفكرُ يغدو مُطلَقا

نَفسي اخلُدي ودَعي الحنينَ فإنما

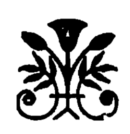
جهلٌ بُعَيدَ اليومِ أن نَتَشَوَّقا

هذي هي «الدُّنيا الجديدةُ» فانظُري

فيها ضياءَ العِلمِ كيفَ تألَّقا

إني ضَمِنْتُ لكِ الحياةَ شَهيّةً

في أهلِها والعيشَ أزهرَ مُونِقا



عصر الرشيد

كمْ بينَ طيَّاتِ العُصورِ الخَاليَهْ
عِظَةٍ لأَبناء الدُّهورِ الآتيَهْ
عِبَرُ اللّيالي كاللَّيالي جَمَّـةٌ
لكنَّما النَزْرُ القلوبُ الوَاعيَه
الدَّهرُ يُفنينَا ونَحسبُ أنَّـهُ
يُفني بنَـا أيَّامَهُ وليَاليَهْ
فاذا مَشَى فينَا الفَناء فَراعَنا
خَلقَ الخَيالُ لنَا الحياةَ الثانيَهْ
إنَّ الحَياةَ قَصيدةٌ ، أبياتُهـا
أَعمارُنَا ، والموتُ فيهَا القَافيهْ
كمْ تَعشقُ الدُّنيا وتُنكرُ صَدَّها
أَنسيتَ أنَّ الخُلفَ طَبعُ الغَانيه ؟

وتَوَدُّ لو يَبقَى عليكَ نعيمُها
أَجهلتَ أَنَّ عليكَ ردَّ العاريَه؟

خَلِّ الغُرورَ بما لَديكَ فإنَّما
دُنياكَ زَائلةٌ ونفسُكَ فَانيَهْ

إنَّ الأُلى وطِئَتْ نِعالُهمُ السُّهى
وَطِئَتْ جباهَهمُ نِعالُ الماشيهْ

لو أَنَّ حيًّا خالداً فوقَ الثَرى
ما ماتَ «هرونٌ» وزَال «معاويَه»

أو كان عِزٌّ دائماً ما أَصبحتْ
«بغدادُ» في عَدَدِ الطُلولِ الباليه

أَخنتْ عليها الحَادثاتُ، فدورُها
خِرَبٌ تعاوَرُهَا الرياحُ السَّافيه

يأوي إليها البُومُ غيرَ مُروَّعٍ
مِنْ كلِّ نعَّابٍ أحمِّ الخَافيه

نَزلَ القضاء فما حمَاها سورُها
ولطَالما ردَّ الجيوشَ الغازيَه

واجتاحَ مُجتاحُ العروشِ مُلوكَها

فكأنَّهُمْ أعجازُ نَخلٍ خاوِيَه

أينَ القصورُ الشاهقاتُ وأهلُها

بادَ الجميعُ، فما لهمْ مِن باقيه

درستْ مَعالِمُها وغَيَّرَها البِلَى

ولقد تُرى حِلَلُ المحاسن كاسيه

أيامَ لا دَوحُ المعارفِ ذابلٌ

ذاوٍ، ولا دورُ الصناعةِ خاليه

أيامَ لا لغةُ «الكتاب» غريبةٌ

فيها ولا هِمَمُ الأعارِبِ وانيه

أيامَ كانَ العِلمُ يَغبِطُ أهلَهُ

أهلُ الثَّراء، ذوو البُرُودِ الضافيه

أَيّامَ كانَ لكلِّ حُسْنٍ شاعرٌ

كَلِفٌ به ولكلِّ شِعرٍ راويه

أَيّامَ «دجلةُ» مُطمئنٌ هادئٌ

جَذلانُ يَهزأُ بالبُحورِ الطاميَه

« النيلُ » خادمُهُ الأمينُ ، وعبدُه

« نهرُ الفُرات » وكلُّ عينٍ « جاريه »

تَهوَى الكواكبُ أنَّها حصباؤهُ

أو أنها شَجرٌ عليه حانيَه

وتَوَدُّ كلُّ سَحابةٍ مرّتْ بهِ

لو أنهُ سُحُبٌ عليها هَاميه

وتَرى الغزالةُ طيفَها عندَ الضُّحى

في سَطحه فتبيتُ عطشَى رَاويه

أيّامَ كانَ الشرقُ مرهوبَ الحِمَى

يكسُو الجلالُ سهولَهُ وروابيَه

أيّامَ تَحسُدُها العَواصِمُ مثلَما

حَسَدَ العواطلُ أُختَهُنَّ الحَاليه

ولطالَما كانتْ تَعزُّ بعزِّها

« مصرٌ » ويحمي ذكرها « أنطاكيَه »

● ● ●

أيّامَ « هرونٌ » يُديرُ شؤونَها

ياعصرَ « هرونٍ » عليكَ سلاميَه

مَلِكٌ أدالَ من الجهالةِ علمُهُ
وأذلَّ صارمُهُ الملوكَ العاتيه

ومشتْ تُطوِّفُ في البلاد هباتُهُ
تغشى حواضِرَها وتَغشى الباديه

ملأَ البلادَ عوارفاً ومَعارفاً
والأرضَ عدلاً والنفوسَ رفاهيَه

فتحضَّرَ البادُونَ في أيّامِهِ
واستأنستْ حتّى الوحوشُ الضاريه

وتَسَرْبلَتْ «بغدادُ» ثوبَ مهابةٍ
ليستْ تَراهُ أو «تراهُ» ثانيَه

هاتيكَ أيّامٌ تلاشتْ مثلَما
تَمْحو من الرقِّ الحروفَ الماحيه

لمْ يَبقَ إلا ذِكرُها يا حُسْنَها
ذكرى تَهَشُّ لها العِظامُ الباليه

لو أنَّ هذا الدَّهرَ سِفرٌ كنتَ يا
عصرَ الحضارةِ مَتنَهُ والحاشيَه

عَصرٌ لئن جاءَ البَشـيرُ بعَوْدِهِ

فَلأَخلَعَنَّ عَلى البَشِيرِ شَبَابِيَهْ !..

● ● ●

إيهِ «أَبَا المأمونِ» ذِكرُكَ آبدٌ

في الأرضِ مثلُ الشَّامخاتِ الراسيَه

باقٍ عَلى مَرِّ العُصورِ بَقاءَهَا

وكذاكَ ذِكرُ ذوي النُّفوس الساميَه

إنْ لم يكنْ لكَ منْ مِثال بيننا

فلأَنَّ روحَك كلَّ حينٍ دانيَه

هيَ في الخمائلِ زَهرةٌ فيَّاحـةٌ

هيَ في الكواكبِ شمسُها المتلاليه

إني لأَعجَبُ كيفَ مُتَّ وفي الورى

حيٌّ وكيفَ طوتك هذي الطَّاويَه

ومنَ الزَّمانِ يَهُدُّ ما شَيَّدْتَهُ

وَيْحَ الزَّمانِ أما تهيَّبَ بانِيَه ؟

تَشكو إليكَ اليَومَ نفسِي شَجْوَها

فَلأنتَ مَفزِعُ كلِّ نَفسٍ شاكيه

أتُراكَ تَعلمُ أنَّ دارَكَ بُدِّلَت

مِنْ صَوتِ « إسحق » بصوتِ النّاعيه ؟

أتراكَ تَعلمُ أنَّ ما أثَّلتَهُ

قدْ ضَيَّعَتْهُ الأنفُسُ المُتَلاهيَه ؟

يا وَيحَ هذا الشَّرقِ بَعْدَكَ إنَّهُ

للضَّعفِ باتَ عَلَى شَفيرِ الهاويَه

ما كانَ يَقنَعُ بالنُّجوم وَسائِداً

واليَومَ يقنَعُ أهلُهُ بالعافِيَه !

مُستَرسِلون إلى الذُّهولِ كأنَّما

سُحِرُوا أَوِ اصطُرِعوا ببنتِ الخابيه

مُستَسلِمونَ إلى القضاءِ كأنَّما

أخِذوا ولمّا يؤخَذوا بالغاشيه

ألمجدُ إدراكُ النَّفيسِ ، وعِندَهُمْ

ما المَجدُ إلاّ شادِنٌ أو شاديه

يَهوَى الحَياةَ النّاسُ طوعَ نُفوسِهِمْ
وهُمُ يريدُونَ الحَياةَ كما هِيَه

صَغُرَتْ نُفُوسُهُمُ فبَاتَ عَزيزُهمْ
يَخشَى الجَبانَ كما يَخافُ الطّاغيه

حَمَلُوا المَغارِمَ ساكتِينَ كأنّما
كَبُرَتْ على أحناكِهم لا النّاهِيَه (١)

لَم تَشتَمِعِ الدُّنيا بقَوْمٍ قبلَهُمْ
ماتوا وما بَرِحُوا الدِيارَ الفانِيَه

أللهَ لَوْ حَرَصوا عَلَى أمجادِهِمْ
فلَتِلكَ عُنوَانُ الشُّعوبِ الراقيه

مَلَكَ «العُلوجُ» أُمورَهُمْ ومَتاعَهُمْ
حتّى نِسَاءَهُمُ وحتّى الآنيه

---

(١) لعله أراد «لا» التي هي ناهية ، فأهل الشرق – على رأي الشاعر – حملوا المغارم ساكتين لاتقوى أحناكهم على قول : لا . . أي لايرفضون شيئا فيقولون فيه : لا . . .
– زهير –

وَا خجلَةَ العربيِّ مِنْ أجـدَادِهِ

صارتْ عبيدُهمُ الطَّغامُ مواليه!...

● ● ●

أبني الغطارفةِ الجبـابرةِ الأُلى

وطئوا « اللُّوارَ » ودوَّخوا « إسبانيه »

مِنْ حولِكُمْ وأمامَكُمْ تاريخُهُمْ

فاستخبروهُ فذاكَ أصدقُ راويه

قادُوا الجيوشَ فكلُّ سهلٍ ضيِّقٌ

ودَمَوا المعاقِلَ فهيَ أرضٌ داحيه

وسطَوا فأسقطتِ العروشُ ملوكَها

رُعباً وأجفلتِ الصُّروحُ العاليه

ومشَوا على هامِ النُّجومِ فلم تزلْ

في اللَّيلِ مِنْ وَجلٍ تُحدِّقُ ساهيه

وَرَدَتْ خيولُهمُ المجرَّةَ شُزَّباً

والشُّهبُ مِنْ حولِ المجرَّةِ صاديه

أعطاهُمُ صرفُ الزَّمانِ زِمامَهُ

أمِنُوا وما أمِنَ الزَّمانُ دَواهيه

لا أستفزُّكمُ لِمثلِ فتوحِهمْ
لكنْ إلى حفظِ البقايا الباقيه

أتذلُّ آنافَ الملوكِ جدودُكمْ
وتسومُكمْ خسفاً رُعاةُ الماشيه ؟

كمْ تصبرونَ على الهوانِ كأنكمْ
في غِبطةٍ والذلُّ نارٌ حاميه

يا للرجالِ ! أما علمتُمْ أنكمْ
إنْ لمْ تثوروا ، أمةٌ متلاشيه ؟

● ● ●

« دارَ السلامِ » تحيةٌ من شاعرٍ

حسدتْ مدامعُهُ عليكِ قوافيَهْ
فأراقَ ماءَ شؤونهِ ولو انهُ
في الغادياتِ أراقَ ماءَ الغاديَه

لوْ كانَ مجدُكِ مُسترَداً بالبُكا
قطرَتْ محاجرُهُ الدماءَ القانيَه

فعليكِ تذهبُ كلُّ نفسٍ حسرةً
ولِمثلِ خطبِكِ تُستعارُ الباكيه ! !

❃ ❃ ❃

لم أجد أحداً...

قالتْ سَكَتَّ وما سَكَتُّ سُدَى

أَعَيا الكلامُ عليكَ أمْ نَفِدَا ؟

إنَّا عَرَفْنـا فيكَ ذا كَرَمٍ

ما إن عَرَفْنَـا فيكَ مُقْتَصِـدا

فانْطَلِقْ يَرَاكَ ينطَلِقْ خَبَباً

واحْلُلْ لِسَانَكَ يحلُلِ العُقَـدَا

ما قِيمَـةُ الإنسانِ مُعتَقِـداً

إنْ لمْ يَقُلْ لِلنَّاسِ ما اعتَقَدا ؟

والجَيْشِ تَحتَ البَنْـدِ مُحْتَشِداً

إنْ لَمْ يَكُنْ للحَرْبِ مُحْتَشِدا ؟ (١)

---

(١) والجيش : معطوفة على « الانسان » في البيت السابق ، أي : ما قيمة الجيش . . وكذلك « والنور » فهي معطوفة على « الانسان » . ـ زهير ـ

والنورِ مُستَتِراً ؟ فقلتُ لها

كُفّي المَلاَمةَ واقصِري الفَنَدا

مَاذا يُفيدُ الصَّوتُ مُرتَفِعاً

إنْ لَمْ يَكُنْ للصَّوتِ ثَمَّ صَدَى ؟

والنُّورُ مُنبَثِقاً وَمُنتَشِراً

إنْ لَمْ يَكُنْ للنّاسِ فيهِ هُدَى ؟

إنَّ الحَوادِثَ في تَتَابُعِها

أَبدَلَتني مِنْ ضِلّتي رَشَدا

ما خانَني فِكري ولا قَلَمي

لكنْ رأيتُ الشِعْرَ قدْ كَسَدا . . .

• • •

كانَ الشَّبابُ ، وكانَ لي أَمَلٌ

كالبَحرِ عُمقاً ، كالزَّمانِ مَدَى

وَصَحابَةٌ مِثْلُ الرِّياض شَذَىً

وَصَواحِبٌ كوُرُودِها مُدَدا

لكنّني لَمّا مَددْتُ يَدي
وأدرْتُ طَرْفي لَمْ أجِدْ أحدًا..

• • •

ذَهبَ الصِّبَى ومَضى الهوَى مَعَهُ
أصَبابَةٌ والشَّيْبُ قَدْ وَفَدا؟

فاليَومَ إنْ أبصرتُ غانيةً
أغضي كأنَّ بمقْلَتي رَمَدا

وإذَا تُدارُ الكأسُ أصرِفُها
عَنّي ، وكنتُ ألومُ مَنْ زَهِدا

وإذَا سَمِعْتُ هُتَافَ شَادِيَةٍ
أمسَكْتُ عَنها السَّمْعَ والكَبِدا

كَفَّنْتُ أحلامي وقُلتُ لَها
نَامي ! فإنَّ الحُبَّ قَدْ رَقَدا

وَقعُ الخُطوبِ عَليَّ أخرَسَني
وكَذا العَواصِفُ تُسكِتُ الغَرِدا

عَمروٌ صديقٌ كانَ يحلِفُ لي
إنْ نُحتُ ناحَ وإنْ شدَوتُ شدا

وإذا مشَيتُ إلى المَنونِ مشَى
وإذا قَعدْتُ لِحاجةٍ قَعدا

صدَّقتُهُ ، فجعَلتُهُ عَضُدي
وأقمْتُ من نَفسِي لَهُ عَضُدا

لكنّني لمّا مدَدْتُ يدِي
وأدَرْتُ طَرْفي لمْ أجِدْ أحدًا..!

• • •

هنْدٌ ، وأحسَبُني إذا ذُكِرَتْ
أطأُ الأفاعِي ، أو أجسُّ مُدى

كانتْ إلَهًا ، كنتُ أعبدُهُ
وأجلُّهُ ، والحُسْنُ كمْ عُبِدَا!

كمْ زُرْتها والحَيُّ مُنتَبهٌ
وترَكْتُها والحَيُّ قدْ هجَدا

ولَكَمْ وَقَفْتُ عـلى الغَديرِ بهـا
والرِّيـحُ تَنسُـجُ فَوْقـهُ زَرَدَا

والأرضُ تَرقصُ تَحْتَنـا طَرَباً
الشُّهبُ تَرقصُ فوقنـا حسَدَا

ولَكَمْ جلَسْنَا في الرِّياضِ معَـاً
لا طارِئـاً نَخْشَى ولا رَصَـدَا

والليلُ فَوْقَ الأرْضِ مُنسَدِلٌ
والغَيمُ فَوْقَ البَدرِ قَد جَمـدَا

قَدْ كاشَفَتْـني الحُبَّ مُقتَربـاً
وشَكـتْ إليَّ الشَّوْقَ مُبْتَعِـدا

لكنَّني لمـا مَدَدْتُ يَـدى
وأَدَرْتُ طَرْفي لَم أَجِدْ أَحدا..!

• • •

قَوْمي ، وَقَـدْ أَطرَبْتُهُمْ زَمَنـاً
ساقُوا إليَّ الحُزْنَ والكَمَدَا

هُمْ طمأنوني إنْ مـــددتُ يدي
لَيَمُدَّ كلُّ فتىً إليَّ يَـــدَا

قالوا غَـــداً تَهمِي سَحَائبُنَــا
فَرَجعتُ أدرَاجِي أقولُ غَـدَا

وظَنَنْتُ أني مُـــدرِكٌ أرَبِي
إنْ غَارَ تَحتَ الأرْضِ أو صَعِدَا

فَذَهبْتُ أَمْشِي في الثَّرى مَرِحــاً
ـــــــــا بَيْنَ جُلَّاسِي ومُنفَرِدا

تِيهَ المُجَاهِدِ نالَ بُغيَتَــهُ
أو تِيهَ مِسْكِينٍ إذا سَعِــدَا

لكِنَّني لَمَّا مَــدَدْتُ يَدِي
وأدَرْتُ طَرْفِي لَم أجِدْ أحدا..!

• • •

هُمْ هَدَّدُوني حـــينَ صِحتُ بهمْ
صَيْحَــاتِيَ الشَّعْوَاءَ مُنتَقِــدا

ورأيتُ في أَحْــدَاقِهِم شرَرَاً
وَرأيتُ في أشْــدَاقِهِمْ زَبَــدا

وسمعتُ صائحَهم يقولُ لَهم

أنْ أقتلُوهُ حيثُمَا وُجِدا

فرَجَعتُ أحسَبُهم برَابرةً

في مهمَهٍ وأظُنني وَلَدا

مرَّتْ ليَالٍ ما لَهَا عددٌ

وأنا حَزينٌ باهِتٌ كمَدَا

أرتاعُ إنْ أبصَرتُ واحِدَهُم

ذُعرَ الشُوَيهَةِ أبصَرَت أسَدا

وإذا رَقَدتُ رَقَدتُ مُضطرِبًا

وإذَا صحَوتُ صَحَوتُ مُرتَعِدا

لكنَّني لمَّا مَدَدتُ يدِي

وأدَرتُ طرْفي لم أجِدْ أحدا..!

• • •

لا تَذكُرُوهُمْ لي، وإنْ سَألُوا

لا تَذكروني عِندَهُمْ أبدًا

لا يَمْلأُ السِرْبَالَ واحِـدُهمْ
ولَهُ وُعودٌ تَمْلأُ البَـلَدَا

يا لَيْتَـني ضَيَّعْتُ معْرِفَـتي
مِنْ قَبْلِ أَعْرِفَ مِنْهُمُ أحدًا(١)

❋ ❋ ❋

(١) أعرف : منصوبة على أنها فعل مسبوق بأن مضمرة . والتقدير : من قبل أعرف منهم أحدا .

ـ زهير

السرّ في الأرواح

قالَ الغُرابُ وقدْ رأى كَلَفَ الورَى
وهُيَامهُمْ بالبُلبُلِ الصَّدَّاحِ

لِمَ لا تَهيمُ بيَ المَسامِعُ مِثلَهُ
مَا الفَرْقُ بينَ جَنَاحِهِ وجَنَاحِي؟

إني أشَدُّ قوىً وأمْضى مِخلَبًا
فعَلامَ نامَ النَّاسُ عنْ تَمْدَاحِي؟

أمفرِّقَ الأحْبابِ عَنْ أحبابِهِم
ومُكَدِّرَ اللَّذَّاتِ والأفْرَاحِ

كمْ في السَّوائلِ مِنْ شَبيهٍ للطِّلا
فعَلامَ لَيسَ لها مَقَامَ الرَّاحِ؟

لَيسَ الخُطُوطُ من الجُسُومِ وشَكلِها
ألسِرُّ كلُّ السِرِّ في الأَرْوَاحِ

والصَّوتُ مِنْ نِعَمِ السَّماءِ ولم تكنْ
تَرْضَى السَّمَا إلاَّ عَنِ الصلَّاحِ

حَكَمَ القَضاءُ فإنْ نَقمْتَ عَلَى القَضَا
فاضْرِبْ بعُنُقِكَ مُديَةَ الذَبّاحِ!!!



بنت سورية

لَيسَ يدري الهمَّ غـيرُ المُبتَلِي
طَالَ جُنـحُ اللَّيلِ أَوْ لَمْ يَطُلِ

مَا لِهذَا النَّجمِ مِثـلي في الثَّرَى
طَـائِرَ النَّوْمِ شَديـدَ الوَجلِ

أتَراهُ يَتَّقِي طَارِئَـــــــةً
أَمْ بِــهِ أَني غَريبُ المَنزِلِ ؟

كلَّمَا طَالَعَتُ خَطْبَاً جَلَـلاَ
جاءَني الدَّهرُ بخَطْبٍ جَلَـلِ

أَشْتَكِي اللَّيلَ وَلَوْ وَدَّعْتُـهُ
بِتُّ مِن هَمِّي بلَيـلٍ أَلْيَلِ

يا بَنَاتِ الأُفقِ مـا للصَّبِّ مِنْ
مُسعِدٍ في النَّاسِ ؛ هل فيكُنَّ لي ؟

لا عرفتُ الرزايا إنّما
شيّبت رأسي ولم أكتهلِ

سهدت سُهدي الدراري إنّما
شدّ ما بين المعنّى والخلي

ليت شعري ما الذي أعجبها
فهي لا تنفكّ ترنو من علِ

أنا لا أغبطها خالدةً
ولقد أحسدها لم تعقلِ

كلّما راجعتُ أحلامَ الصبى
قلتُ يا ليتَ الصبى لم يزلِ ! ..

أيها القلبُ الذي في أضلعي
إنّما اللّذّةُ جهلًا فاجهلِ (١)

تجملُ « الرقّةُ » في العضبِ فإن
كنتَ تهواها فكنْ كالمنصلِ

---

(١) لعل « جهلا » معمول « فاجهل » ، وخبر « اللذة » محذوف ، أو أن « جهلا » نصبت على المصدرية ، أو التقدير : انما اللذة أن تجهل جهلا . فاجهل .
— زهير —

هيَ في الغيدِ الغَواني قُوَّةٌ
وهيَ ضَعفٌ في فُؤادِ الرَّجلِ

لا يغرَّ الحُسْنُ ذَا الحُسْنِ فَقَدْ
يَصْرَعُ البُلبلَ صَوْتُ البُلبلِ

تُقْتَلُ الشَاةُ ولا ذَنبَ لَها
هيَ ، لَوْلا ضَعفُها ، لم تُقتَلِ

إنْ تَكُنْ في الوَحش كنْ لَيْثَ الشَرَى
أو تكُنْ في الطَّيرِ كُنْ كالأجدَلِ

أو تكنْ في النَّاسِ كنْ أقوَاهُمُ
لَيْسَتِ العَلياءُ حَظَّ الوُكَّلِ

• ● •

مَا لِقَومي لَا وَهَى حَبلُهُمُ
قَنِعُوا من دَهرهِمْ بالوَشَلِ

أنَا مِنْ أمرِهِمُ في شُغُلِ
وَهُمُ عن أمرِهِمْ في شُغُلِ

كُلَّما فكرتُ في حَاضِرَنا
عَاقَني اليأسُ عَنِ المستَقبلِ

نَحنُ في الجهلِ عَبيدٌ للهوَى
وَمَعَ العِلمِ عَبيدُ الدُّوَلِ

نَعشَقُ الشَّمسَ ونَخشى حرَّها
ما صَعِدْنا وهيَ لمّا تنزلِ

قَدْ مَشى الغَربُ عَلى هامِ السُّهى
ومَشَينا في الحَضِيضِ الأَسفَلِ

سَجَّلَ العارَ علَينا معشَرٌ
سجَّلُوا المَرأَةَ بينَ الهَمَلِ

فَهيَ إمَّا سِلعَةٌ حامِلَةٌ
سِلَعاً أو آلةٌ في مَعمَلِ

أرسَلُوها تَزرَعُ الأَرضَ خطَا
وتُبارِي كلَّ بيتٍ مثَلِ

تتَهاداها المَوامي والرُّبى
فَهيَ كالدّينارِ بَينَ الأَنمُلِ

لا تُبالي القَيظَ يَشوي حرُّه
لا ولا تَحذَرُ بَردَ الشَّمألِ

وَلَهــا في كلُّ بَابٍ وَقْفَــةٌ
كامرىء القَيْسِ حِيَــالَ الطَلَلِ

تَتَّقي قَوْلَ « اغرُبي» خَشْيَتَهَــا
قَوْلَةَ القَائِلِ « ياهَذي ادْخُــلي »

فهيَ كالعُصْفُورِ وافَى صَاديــاً
فرأى الصَيَّادَ عِنْــدَ المنهَلِ

كامِناً ، فانْصَاعَ يُدْنِيــهِ الظَّمَا
ثُمَّ يُقْصِيهِ اتِقَّــاءُ الأَجَــلِ

ولَكـمْ طَــافَتْ بــهِ آمِلَةً
وانْثَنَتْ تَقْطَــعُ خَيْطَ الأَمَلِ

وَلَكـمْ مَدَّتْ إلى الرِّفْدِ يَدَاً
خُلِقَتْ في مِثْلِهَــا للقُبَــلِ

• ● •

مَا بهَا ؟ لا كَانَ شَراً مَا بهَــا
مَا لَها مِنْ أَمرِهــا في خَبلٍ ؟

سَائِلُوهَا أَوْ سَلُوا عَنْ حَالِهَا ،
إنْ جَهِلْتُم ، كُلَّ طِفلٍ مُحوِلِ

في سَبيلِ المَالِ أَوْ عُشَّاقِهِ
تَكدَحُ المرْأَةُ كدْحَ الإِبلِ

مَا تَرَاهَا وَهْيَ لاَ حَوْلَ لهَا
تحتَ عِبْءٍ فَادِحٍ كالجَبَلِ

شُدَّتِ الأَمْرَاسُ في سَاعِدِهَا
مَنْ رَأى الأَمْرَاسَ حَوْلَ الجَدْوَلِ ؟

جَشَّمُوهَا كُلَّ أَمْرٍ مُعْضِلٍ
وهيَ لَمْ تُخلَقْ لِغَيْرِ المَنزِلِ

فإذَا فَارَقَتِ الدَّارَ ضُحَىً
لَمْ تَعُدْ إلَّا قُبَيْلَ الطَفَلِ

أَلِفَتْ مَا عَوَّدُوهَا مِثْلَمَا
تَألَفُ الظَّبْيَةُ طعمَ الحَنظَلِ !

• • •

بِنْتَ سُوريَّا التي أبكي بهَا
هِمَّةَ اللَّيْثِ وَرُوحَ الحَمَلِ

مَا أطاعُوا فيكِ أحْكَامَ النُّهَى
لاَ ولاَ قولَ الكتابِ المُنزَلِ

قَدْ أضَاعُوكِ ومَا ضَيَّعْتِهِمْ
فأضَاعُوا كلَّ أمٍّ مُشْبِلِ



الفقير

هَمٌّ أَلَمَّ بِهِ مَعَ الظَّلْمَاء
فَنَبَا بِمُقْلَتِهِ عَنِ الإِغْفَاء

تَعِسٌ أَقامَ الحُزْنُ بينَ ضُلُوعِهِ
والحُزْنُ نارٌ غيرُ ذاتِ ضِيَاء

يَرْعَى نُجُومَ اللَّيلِ لَيسَ بِهِ هَوىً
وَيخَالُهُ كَلِفاً بِهِنَّ الرَّائي

في قلبِهِ نارُ «الخليلِ»(١) وإِنَّما
في وَجْنَتَيْهِ أَدْمعُ «الخنْسَاء»

قدْ عَضَّهُ اليأسُ الشَّديدُ بِنَابِهِ
في نفسِهِ، والجوعُ في الأَحشَاء

فأقامَ حِلْسَ الدَّارِ وَهْوَ كأَنَّهُ
لِخُلُوِّ تِلْكَ الدَّارِ، في بَيْدَاء

---

(١) يريد بالخليل سيدنا ابرهيم الخليل صلوات الله عليه الذي أحيط بالنار فجعلها الله «برداً وسلاماً على ابراهيم» — زهير —

يَبْكي بُكاءَ الطِفلِ فارَقَ أُمَّهُ
ما حيلةُ المحْزُونِ غيرَ بُكاءِ

حيرانَ لا يَدْري أَيقْتُلُ نَفسَهُ
عَمْداً فَيَخلُصَ من أذَى الدُّنياءِ

أمْ يَستَمِرُّ على الفَضَاضةِ والقَذَى
والعَيْشُ لا يَحْلو مَعَ الضَّرّاءِ

طَرَدَ الكَرَى وأقامَ يَشكُو لَيْلَهُ
يا لَيلُ طُلتَ وطالَ فيكَ عَنَائي

يا لَيلُ قد أغرَيْتَ جِسْمِي بالضَّنَى
حتّى لَيُؤْلِمُ فقْدُهُ أَعضَائي

ورَمَيْتَني يا ليلُ بالهمّ الذي
يَفري الحَشَا والهمُّ أعسَرُ داءِ

يا لَيلُ مالَكَ لا تَرِقُّ لحالَتي
أتراكَ والأيّامَ منْ أعدائي؟

يا ليلُ حَسبي ما لَقيتُ من الشَّقا
رُحماكَ لَستُ بِصَخرَةٍ صَمّاءِ

بِنْ يا ظَلامُ عَنِ العُيُونِ فَرُبَّما
طَلَعَ الصَّبَاحُ وكانَ فيه عَزَائي

• • •

وارَحْمَتَا للبائِسينَ فإِنَّهُمْ
مَوْتَى ونَحْسَبُهُمْ منَ الأَحياء

إني وَجدْتُ حُظُوظَهَمْ مُسْوَدَّةً
فكأنما قُدَّتْ منَ الظَّلْماء

أبداً يُسَرُّ بَنُو الزَّمان وما لَهُمْ
حَظٌّ كَغَيْرِهِمُ منَ السَّرَّاء

مَا في أَكُفِّهِمُ منَ الدُّنْيَا سِوَى
أَنْ يُكْثِرُوا الأَحلامَ بالنَّعْماء

تَدْنُو بِهِمْ آمالُهُمْ نحوَ الهَنا
هَيْهَاتَ يَدْنُو بالخَيَالِ ، النائي

بَطِرَ الأَنامُ منَ السُّرورِ وعندَهُمْ
أَنَّ السُّرُورَ مُرادِفُ العَنقَاء

إنّي لأحزنُ أنْ تكونَ نفوسُهمْ
عَرَضَ الخُطوبِ وعُرضةَ الأرْزَاء

● ● ●

أنا ما وقفتُ لكي أُشبّبَ بالطِّلَا
مَالي وللتّشبيبِ بالصَّهْبَاء (١)

لا تَسألوني المَدْحَ أو وَصْفَ الدُّمى
إني نَبَذْتُ سَفَاسِفَ الشُّعراء

بَاعُوا لأجلِ المالِ ماءَ حَيَاتِهمْ
مدحاً وبتُّ أصونُ ماءَ حَياتي

لَمْ يَفهمُوا بالشِّعرِ إلّا أنه
قَدْ بَاتَ واسطةً إلى الإثْرَاء

فَلِذَاكَ مَا لاقيْتُ غيرَ مُشبِّبٍ
بالغَانيَاتِ ، وَطَالِبٍ لِعَطَاء

ضَاقتْ بِهِ الدُّنيَا الرَّحيبَةُ فانثَنَى
بالشِّعرِ يَستَجْدي بَني حَوَّاء

(١) الطلا والصهباء : الخمرة

شَقِيَ القَرِيضُ بِهِمْ وَمَا سَعِدُوا بِهِ
لَوْلاَهُمُ أَضْحَى مِنَ السُّعَدَاء

نَادَوا عَلَيْنَا بِالمَحَبـةِ والهَوَى
وَصُدُورُهم طُوِيَتْ عَلَى البَغْضَاءِ

أَلِفُوا الرِّيَاءَ فَصَارَ مِنْ عَادَاتِهِمْ .
لَعَنَ المُهَيْمِنُ شَخْصَ كُلِّ مُرَائِي

إِنْ يَغْضَبُوا . مِمَّا أَقولُ فَطَالمَا
كَرِهَ الأَدِيبَ جَمَاعةُ الغَوْغَاء

أَوْ يُنكِرُوا أَدَبِي فلَا تَتَعَجَّبوا
فَالرُّمْدُ يُؤْلِمُهُمْ طُلُوعُ ذُكاء(١)

أَوَ كُلَّمَا نَصَرَ الحَقِيقَـةَ فَاضِلٌ
قَامَتْ عَلَيهِ قِيَامَةُ السُّفَهَاء ؟ . .

● ● ●

أَنا مَا وَقَفْتُ اليَوْمَ فِيكُمْ مَوْقِفِي
إِلَّا لِأَنْدُبَ حَالَةَ التُّعَسَاء

---

(١) ذكاء ـ بضم الذال المعجمة ـ الشمس .

عَلِّي أُحرِّكُ بالقَرِيض قُلوبَكُمْ
إنَّ القُلوبَ مَواطِنُ الأهْـواء

لَهفي عَلَى المُحتاج بينَ رُبوعِكُمْ
يُمسِي ويُصْبِحُ وَهْوَ قيدُ شَقاء

أمسَى سَواءً لَيلُهُ وَصَباحُـهُ
شَتَّانَ بَيْنَ الصُّبْـح والإمْسَاء

قَطَعَ القُنوطُ عليهِ خَيطَ رَجائِـهِ
وَالمرءُ لا يَحْيا بغَـيْرِ رَجاء

لَهفي وَلَو أجدَى التَعيسَ تَلَهُّفي
لَسَفَكتُ دَمْعِي عِنْدَهُ وَدِمائي

• • •

قُلْ لِلغَنيِّ المُستَعِزِّ بِمالِهِ
مَهْلًا لَقَد أسرَفْتَ في الخُيَلاء

جُبِلَ الفقيرُ أخوكَ من طينٍ ومنْ
ماءٍ ، ومنْ طينٍ جُبِلْتَ وَماء

فَمِنَ القَسَاوَةِ أَنْ تَكُونَ مُنَعَّماً

ويكونَ رَهْنَ مَصَائِبٍ وبلَاء

وتَظَلُّ تَرْفُلُ بالحَريرِ أمامَهُ

في حِيْنَ قَدْ أمسَى بغَيْرِ كِسَاء

أَتَضِنُّ بالدِّينَارِ في إسعَافِهِ

وَتَجُودُ بالآلافِ في الفَحْشَاء ؟

أنصُرْ أخاكَ فإنْ فَعلْتَ كَفَيْتَهُ

ذُلَّ السُّؤَال ومِنَّةَ البُخَلَاء

• • •

أَذَوِي اليَسَارِ وَمَا اليَسَارُ بِنَافِعٍ

إنْ لَمْ يَكُنْ أهلُوهُ أهلَ سَخَاء

كَمْ ذَا الجُمُودُ وَمَالُكُمْ رَهْنُ البِلَى

وَبِمَ الغُرُورُ وكُلُّكُمْ لِفَنَاء ؟

إنَّ الضَّعِيفَ بِحَاجَةٍ لِنُضَارِكُم

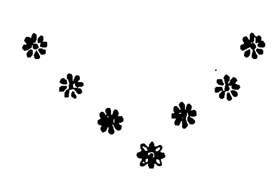
لا تَقْعُدُوا عَنْ نُصْرَةِ الضُّعَفَاء

أُنا لاَ أُذَكِّرُ مِنكُمُ أَهلَ النَّدَى

لَيسَ الصَّحِيحُ بِحَاجَةٍ لِدَوَاء

إنْ كانَتِ الفُقَرَاءُ لا تَجْزِيكُمُ

فَاللهُ يَجْزِيكم عَنِ الفُقَرَاءِ



بين الكاس والطاس

حَمَلَ الشَّمسَ إلَيْنَا قمرٌ
في سَماءٍ نَحنُ فيها أنجُمُ

شَادِنٌ حَكَّمَهُ الحُسْنُ بنَا
وَسِوَى الحُسْنِ بنَا لاَ يَحكُمُ

أسبَلَ الشَّعرَ فيَا عَيني اسهَري
إنَّهُ لَيلٌ طَويلٌ مُظلِمُ

واحذَرِي يا مُهجَتِي مِنهُ فمَا
ذَاكَ الأسوَدُ إلاَّ أرقَمُ

كادَ أنْ يُشبِهَ جِسمِي خَصرَهُ
إنَّما رِقَّتُهُ بِيْ سَقَمُ

يَتَلَظّى الخَالُ في وَجْنَتِهِ
أرَأيْتُم كيفَ يُصلى المُغرَمُ ؟

صَنَمٌ في خَدِّهِ النَّارُ وفي
كفِّهِ خَمْرَتُها تضطَرِمُ

بنتُ كَرْمٍ لَمْ يَهِمْ فيها سِوَى
كلِّ صَبٍّ هامَ فيه الكَرَمُ

حُبِسَتْ في دَنِّها من قِدَمٍ
ما لها ذَنْبٌ ولكن ظَلَمُوا

حَرَّمُوها حينَما خافُوا عَلَيْها
سِوَاهُمْ فاسْقِني ما حَرَّمُوا

إنَّها سِرٌّ فشَا بَيْنَ الوَرَى
وإذَا السرُّ فَشَا لا يُكتَمُ

* *
*

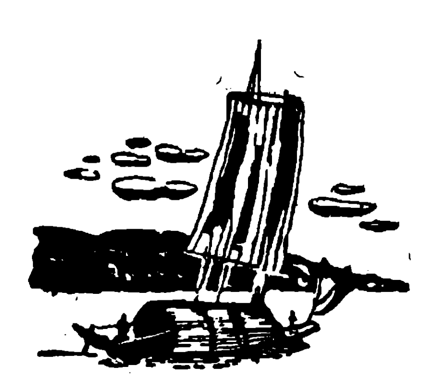
في السفينة

تَسِيرُ بنا على عَجَلٍ ... وإنْ شاءَتْ على مُهَلِ
وتَسْعَى سَعْيَ مُشْتاقٍ ... بِلَا قَلْبٍ ولا عَقْلِ
وتَمْشِي في عُبابِ الما ... ءِ مَشْيَ الصِّلِّ في الرَّمْلِ
فَما تعبسُ للحزنِ ... ولا تَضْحَكُ للسَّهْلِ
أبَتْ أنْ تَعرِفَ الشَّكْوَى ... مِنَ التَّرْحالِ والحِلِّ
فَطَوْراً في قَرارِ اليَمِّ ... للغامِضِ تَسْتَجْلي
وآوِنَةً تُنَاجِيهَا ... دَرَارِي الأُفْقِ بالوَصْلِ
وأحيانًا تُوانِي سَيْـ ... ـرَها ساكِنَةَ الظِّلِّ
ولِلْمَوْجِ حَوَالَيْهَا ... زَئِيرُ اللَّيْثِ ذي الشِّبْلِ
رَكِبْناهَا ونارُ الشَّو ... قِ في أحشائِنا تَغْلي
فيا لله حَتَّى السُّفْـ ... ـنُ مِثْلِي ما لَها مُسْلِ
فَلَا تَعْجَبْ إذا أعْجَـ ... ـبُ مِنْ أطوارِهَا مِثْلِي
فَمَا أعرِفُ مَرْكوباً ... سِوى الأفراسِ والإبِلِ

وَمَا أَعلمُ قَبلَ الآ نِ أَنَّ الطَّردَ نَاقَ لي

تركنا « غادةَ الشرقِ » إلى « لبنانَ » ذي الفضلِ

فَمِن وطنٍ إلى وطنٍ ، وَمِن أهلٍ إلى أهلِ



يا صَاح !..

يَا صَاحِ كَمْ تُفَّاحَةٍ غَضَّةٍ
يَحْمِلُها في الرَّوْضِ غُصْنٌ رَطِيبْ

نَاضِجَةٍ تَرْتَجُّ في جَوِّهَا
مثلَ ارْتِجَاجِ الشَّمْسِ عندَ المَغِيبْ

حَرَّضَكَ الوَجْدُ عَلَى قَطْفِهَا
لَمَّا غَفَا الوَاشِي وَنَامَ الرَّقِيبْ

لكنْ لِأَمْرٍ أَنْتَ أَدْرَى بِهِ
رَجِعْتَ عَنْهَا رَجْعَةَ المُسْتَرِيبْ

تَقولُ لِلنَّفسِ الطَّموحِ اقْصِري
ما سرْقَةُ التُّفَّاحِ شَأْنَ الأَرِيبْ

• • •

وَرُبَّ صَفْرَاءَ كَلَوْنِ الضُّحَى
يَنْفِي بِهَا أَهْلُ الكُرُوبِ الكُرُوبْ

دَارَتْ عَلَى الشَّرْبِ بِهَـا غَادَةٌ
كَأَنَّهَا ظَبْيُ الكِنَاسِ الرَّبِيبْ

فِي طَرْفِكَ السَّاجِي هُيَامٌ بِهَـا
وَبَيْنَ أَحْشَائِكَ شَوْقٌ مُـذِيبْ

لَكِنْ لِأَمْرٍ أَنْتَ أَدْرَى بِهِ
رَجَعْتَ عَنْهـا رَجْعَةَ المُسْتَرِيبْ

تقولُ لِلنَّفسِ الطَّمُـوحِ اقْصِرِي
ما غَرَّ بالصَّهْبَـاءِ يَوْمًا لَبِيبْ

إِيَّـاكِ إِيَّاكِ وأَكوابَهَـا
أُختُ الخَنَا هذي وأُمُّ الذُّنوبْ

• • •

وَكَمْ شِفَاهٍ أُرْجُوَانِيَّـةٍ
كَأَنَّهَا مَخْضُوبَـةٌ بِاللَّهِيبْ

سَاعَدَكَ الدَّهرُ عَلَى لَثْمِهَا

وَرَشْفِ ما خلّفَ اللّهيبِ العَجيبْ

لكِنْ لأمرٍ أنتَ أدرَى بِـهِ

رَجَعْتَ عَنهَا رَجْعةَ المُسْتَرِيبْ

تُعَنِّفُ القَلْبَ عَلَى غَيِّـهِ

وتَعْذُلُ العَيْنَ التي لا تُنيبْ

قَتَلْتَ نَزَعَاتِكَ في مَهْدِهَا

وَلَمْ تُطِعْ في الحُبِّ حتَّى الحَبيبْ

● ● ●

والآنَ لَمَّا انجابَ عَنكَ الصِّبَى

ولاحَ في المَفْرِقِ ثَلْجُ المَشِيبْ

واسْتَسْلَمَ القَلْبُ كما اسْتَسْلَمَتْ

نَفْسُكَ لليأسِ المَخُوفِ الرَّهِيبْ

أرَاكَ لِلحَسْرَةِ تَبكي كَمَا

يَبْكِي عَلَى النَّائي الغَرِيبِ القَرِيبْ

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ الصِّبَى عَائِدٌ
هَيْهَاتَ قَدْ مَرَّ الزَّمانُ القَشِيبْ

•

خَلِّ البُكَا يَا صاحِبِي والأَسَى
اللَّيْلُ لاَ يُقْصِيهِ عَنْكَ النَّحِيبْ
لا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ انْقَضَى وَقْتُهُ
ما لِقَتِيلٍ حاجَةٌ بالطَّبِيبْ !!!



بلادٌ أُم نعمة

أُحبُّ مُعانَقَةَ النرْجسِ
لِعَيْنَيكِ يا ابنَةَ كُولَمْبُسِ

وأَهوى الشَّقِيقَ ولَثمَ العَقيقِ
لِخدِّكِ والثغرِ الأَلعَسِ

أَعِندَكِ إنْ غِبتِ عنْ ناظري
مَشَيْتُ من الصُّبحِ في حِندِسِ

وأَنَّ الظَّلامَ على هَولِهِ
إذا جئتِ حالَ الى مُشمِسِ

وفي الصَّدْرِ قلباً ولا كالقُلوبِ
مَتى شِئتِ يَسعَدِ أوْ يَتعَسِ

وَدِدتُ الإِفاضةَ قبلَ اللِّقاء
فلمَّا أتيتُكِ لم أنبِسِ

وبتّ وإيّاكِ في منزلٍ

كأنّي وإيّاكِ في مجلسِ

ولو أنّ مابيَ بالطّودِ ذلّ

وبالأسدِ الوردِ لم يفرسِ

همَمتُ فأنكرني مقوَلي

وشاءَ الغرامُ فلم أهجسِ

كأنّيَ لستُ أميرَ الكلامِ

ولا صاحبَ المنطقِ الأنفسِ

جلالكِ ، والليلُ في صمتِهِ

فلا غروَ أن رُحتُ كالأخرسِ

• • •

ومرّتْ بنا ساعةٌ خلتُنا

خلعنا الجسومَ عن الأنفسِ

وأنّا مِنَ الرّوضِ في جنّةٍ

وأنّا مِنَ العشبِ في سندسِ

كَذَاكَ الهوَى فِعلُهُ في النُفُوسِ
كَفِعْلِ المُدَامَـةِ في الأرْؤُسِ

تَنَبَّهَ فيها و فيَّ الهـوَى
فَلَوْ نَعِسَ النَّجْمُ لَمْ نَنعَسِ

وكلُّ فُؤَادٍ شَديدُ العُرَامِ
إذَا رِضْتَهُ بالهَوَى يَسْلَسِ

فَمالَتْ فَطَوَّقَها ساعِـدِي
مُنَعَّمَـةً بَضَّـةَ المَلْمَسِ

وإنَّ العَفَـافَ لَفي بُرْدِها
وإنَّ الإِباءَ لَفي مِعْطَسي

وقلتُ وكَفِّيَ في كفِّهـا
أَلا صرِّحي لِيَ أو فاهْمِسِي

بَلَاءٌ هُوَ الحُبُّ أَم نعمـةٌ
أجابَتْ : تَجَلَّدْ ولاَ تَيْأَسِ

* *
*

الخلود

غَلِطَ القَـائِلُ إنَّا خَالِدُونْ

كُلُّنَا بَعدَ الرَّدَى هَيُّ بْنُ بَيّْ (١)

●

لَوْ عَرَفْنَا ما الَّذي قَبلَ الوُجودْ

لَعَرَفْنا ما الَّذي بعدَ الفَنَـاءْ

نَحنُ لَو كُنَّا «كما قالوا» نَعُودْ

لَم تَخَفْ أَنفُسُنَـا رَيْبَ القَضَا.

إِنَّمـا القَوْلُ بأَنَّا لِلخُـلُودْ

فِكرَةٌ أَوْجَدَها حُبُّ البَقَـا.

نَعشَقُ البُقْيَـا لأَنَّا زَائِـلونْ

والأَمانِي حيَّةٌ في كُلِّ حَيّ

●

---

(١) هي بن بي : كناية عمن لا يعرف ولا يعرف أبوه – القاموس –

زُعَمُوا الأَرْواحَ تَبقَى سَرمدا
خَدَعُونا ... نَحنُ والشَّمْعُ سَوَاء

يَلْبَثُ النُّورُ بهـا مُتَّقِـدَا
فإذَا مـا احتَرَقَتْ بادَ الضِيَـاء

أَينَ كانَ النُّورُ ؟ أَنَّى وُجِدَا ؟
كيفَ ولَّى عِندَمَا زَالَ البِنَاء ؟

شَمْعَتي فيهَـا لِطُلَّابِ اليَقِين
آيةٌ تَدفَعُ عَنهُم كلَّ غيّ

●

لَيسَتِ الرُّوحُ سِوَى هذَا الجَسَدْ
مَعَهُ جاءَتْ وَمَعَـهُ تَرجِـعُ

لَمْ تَـكُنْ مَوجُودَةً قَبلَ وُجِـدْ
ولِهَـذَا حِيْنَ يَمْضِي تَتْبَـعُ

فَمِنَ الزُّورِ المُوَشَّى والفَنَـدْ
قَولُنَـا : الأَرْوَاحُ لَيسَتْ تُصرَعُ

تَلبَثُ الأَفْيَاءُ مَا دَامَ الغُصُونْ
فإذَا مَا ذَهَبتْ لَمْ يَبْقَ فِي

لَوْ تَكُونُ الرُّوحُ مَالَا يَضْمَحِلْ
ما جَزِعْنَا كُلَّمَا جِسْمٌ هَمَدْ

لَوْ تَكُونُ الرُّوحُ جِسْماً مُسْتَقِلْ
لَرَآها مَنْ يَرى هَذَا الجَسَدْ

كلُّ ما في الأرْضِ مِنْ عَيْنٍ وظِلْ
سوْفَ يَنحَلُّ كما انْحَلَّ الزَّبَدْ

وَلَئِنْ صَحَّ بأَنَا مُنشَرُونْ
جازَ أَنْ يَعْقُبَ ذَاكَ النَّشْرَ طَيْ

●

لَيتَ مَنْ قالُوا بأَنَّا كالزُّهورْ
خَبَّرُونا أَينَ تَمْضِي الرَّائِحَهْ ؟

أَتُرى تَبْقَى كأَلحَانِ الدُّهورْ ؟
أَمْ تَلاشَى مِثْلَ صَوتِ النَّائِحَهْ ؟

لَيتَ شِعْري أَيُّ خُلْدٍ للبُذُورْ
بَعدَ أَنْ تُلقَى بِنَارٍ لافِحَهْ ؟

قُلْ لِمَنْ يَخْبِطُ في لَيلِ الظُّنُونْ
لَيسَ بَعدَ المَوتِ للظَّامِىء ريْ

مِثْلَمَا يَذْهَبُ لَوْنُ الوَرَقَـهْ
عِندما تَيْبَسُ في الأَرْضِ الأُصول
مثلَمَا يُفْقَـدُ نُورُ الحَدَقَـهْ
حينَ أَقضي... هَكَذَا نَفسي تزُول
كتَلَاشِي الشَّمْعَةِ المُحتَرِقَـهْ
تَتَلَاشَى بَـيْنَ ضِحْكٍ وعَويلْ
أنا بَعدَ الموتِ شيْئًا لاأَكونْ
حيثُ أني لمْ أَكُنْ من قبلُ شَيْ !

●

إيهِ أَبناءَ الثَّرى نَسْلَ القُرُودْ
عَلِّلُوا أَنفُسَكُمْ بالتُّرهَـاتْ (١)
البَسُوا في صَحْوِكُمْ ثوبَ الجُمُودْ
واحْلَمُـوا في نَوْمِكُمْ بالمعجِزَاتْ
فَسَيأْتي زَمَنٌ غَـيْرُ بَعيـدْ
تَتَهَادى بَيْنَكُمْ فيـه أَيَاةٌ !!
ويَحِـلُّ اللهُ في مَاءٍ وطينْ
فَيَراهُ الشَّيْخُ والشَّابُ الأَحيَ !(٢)

---

(١) اشارة الى نظرية «داروين» في ان أصل الانسان قرد — زهير —
(٢) لعلها صيغة تفضيل من الاكثر حياة — زهير —

عيناكِ

عَيْنَاكِ والسِّحْرُ الذي فيهِمَا
صَيَّرَتاني شَاعِراً سَاحِرَا

عَلَّمْتِني الحُبَّ وعَلَّمْتُهُ
بَدْرَ الدُّجى والغُصْنَ والطَّائِرا

إنْ غِبْتِ عنْ عَيْني وَجَنَّ الدُّجى
سَأَلْتُ عَنْكِ القَمَرَ الزَّاهِرَا

وأَطْرُقُ الرَّوْضَةَ عِنْدَ الضُّحى
كَيْما أُنَاجي البُلْبُلَ الشَّاعِرَا

وَأَنْشَقُ الوَرْدَةَ في كُمِّهَا
لأَنَّ فيهَا أَرَجاً عَاطِرا

يُذَكِّرُ الصَّبَّ بذَاكَ الشَّذَى
هلْ تَذْكُرِينَ العَاشِقَ الذَّاكِرا ؟

كمْ نائمٍ في وَكْرِه هانيء
نَبَّهتِهِ مِنْ وَكرِهِ باكرا

أصبحَ مِثلي تائهاً حائِراً
لَّما رآني في الرُّبى حائرا

وَرَاحَ يَشكُو لي وأشكو لَهُ
بَطشَ الهَوى والهَجْرَ والهاجِرا

وَكوْكبٍ أسْمَعْتُهُ زَفرَتي
فَبَاتَ مِثلي سَاهِياً سَاهِرا

زَجرتِ حتَّى النَّومَ عَنْ مُقلَتي
ولَم أبالِ اللائمَ الزَّاجِرا

يَا لَيْتَ أني مَثَلٌ سَائِرٌ
كيْما تقُولي المَثَلَ السَّائِرا

* *
*

١٩٣١

لِيَطْرَبَ (١) مَنْ شَاءَ أَنْ يَطْرَبَا
فَلَسْتُ بِمُسْتَمْطِرٍ خُلَّبَا

عَرَفْتُ الزَّمانَ قَرِيبَ الأَذَى
فَصِرْتُ إلى خَوْفِهِ أَقْرَبَا

وَهذا الجَديدُ أَبوهُ القَديمُ
وَلَا تَلِدُ الحَيَّةُ الأَرْنَبَا

أَرَى الكَوْنَ يَرْمُقُهُ ضاحِكاً
كَمَنْ رَاءَ في تِيهِهِ كَوكَبَا

وَلَو عَلِمَ الخَلْقُ مَا عِنْدَهُ
أَهَلُّوا إلى اللهِ كَيْ يَغْرُبَا

وَلَوْ عَلِمَ العِيدُ مَا عِنْدَهُمْ
أَبَى أَنْ يُمَزِّقَ عَنْهُ الخِبَا

(١) فتحت على الاتباع : والاصل فيها السكون جزماً بلام الامر. —زهير—

أَلا لاَ يَغُرُّكَ تَهليلُـهُمْ
وَقولَتُهمْ لَـكَ يَا مَرْحَبَـا

فَقَـدْ لَبَسُوكَ لِكي يَخْلَعُوكَ
كما تَخْلَعُ القَـدَمُ الجَورَبا

وَلُوعونَ بالغَـدْرِ مِنْ طَبْعِهِمْ
فَمَنْ لَمْ يَـكُنْ غَادِراً جرَّبا

وَكائِنْ فَـتىً هَزَّني قولُهُ
أَنا خِـدْنُكَ الصَّادِقُ المُجْتَبى

أُرَافِقُ مِنْ شكلِهِ ضَيْغَماً
يُرَافِقُ مِنْ نَفسِـهِ ثَعْلَبَـا

هُمُ القَوْمُ أَصْحَبُهم مُكرَهاً
كما يَصْحَبُ القَمَرُ الغَيْهَبَـا

أُرانيَ أَوْحَـدَ مِنْ ناسِكٍ
عَلى أَنني في عِـدَادِ الدَّبى

وَأَمرَحُ في بَلَدٍ عَـامِرٍ
وأَحسَبُـني قاطِناً سَبْسَبـا

وقالَ خليلي : الهَنـاءُ القُصورُ
وَكَيفَ وَقدْ مُلئتْ أذْؤبَا

أَلِفتُ الهُمومَ فَـلَو أنَّـني
قَـدَرْتُ تَمَنَّعْتُ أنْ أطْرَبَا

كأنَّ الجِبالَ عَلى كاهِـلي
كأنَّ سُرُوري أنْ أغضَبـا

وكيفَ ارْتِياحُ أخي غُرْبةٍ
يُصَاحِبُ مِنْ هَمِّـهِ عَقْرَبَا

عَتِبتُ عَلى الدَّهرِ لوْ أنَّـني
أمِنتُ فُؤَادِيَ أنْ يَعْتَبَـا

• • •

وَجَدْتُكَ والشَّيبُ في مَفرِقي
وَوَدَّعَـني وأخُـوكَ الصِّبَى

فلَيسَ بُكائِيَ عاماً خَـلا
ولكنْ شَبَابي الّذي غُيِّبَـا

فيا فرحاً بمجيء السنين

تجيء السنون لكي تذهبا

عجيب مشيبي قبل الأوان

وأعجب أن لا أرى أشيبا

فإن نوائب عاركتها

ترد فتى العشر محدودبا

ويا بنت «كولب» كم تضحكين

كأنك أبصرت مستغربا

أليس البياض الذي تكرهين

يحببني ثغرك الأشنبا

فمن كان يكره إشراقه

فإني أكره أن يخضبا

أحبك يا أيها المستنير

وإن تك أشمت بي الربربا

وأهوى لأجلك لمع البروق

وأعشق فيك أقاح الربى

● ●

وَيَا عَامُ هَلْ جِئْتَنا مُحْرِماً
فَنَرْجوكَ أَمْ جِئْتَنَـا مُحْرِبَا

تَوَلَّى أَخُوكَ وَقَـدْ هَاجَهـا
أَقَلُّ سِلَاحِ بَنِيهَـا الظُّبَى

يُجَنْدِلُ فِيهَا الخَمِيسُ الخَمِيسَ
وَيَصْطَرِعُ المِقْنَبُ المِقْنَبـــا

إِذَا ارْتَفَعَ الطَّرْفُ فِي جَوِّهَـا
رَأَى مِنْ عَجَاجَتِهَا هَيْـدَبَا

وَجَيَّاشَةٍ بَرْقُهـا رَعْـدُهَـا
تَدُكُّ مِنَ الشَّاهِقِ المَنْكِبَا

يَسِيرُ بِهَـا الجُنْدُ مَحْمُولَةً
قَضَـاءً عَلَى عَجَلٍ رُكِّبَا

يَوَدُّ الفَتَى أَنَّـهُ هَـارِبٌ
وَيَمْنَعُـهُ الخَوْفُ أَنْ يَهْرُبَا

وَكَيْفَ النَّجَاةُ وَمَقْذُوفُهـا
يَطُولُ مِنَ الشَّرْقِ مَنْ غَرَّبَا ؟

وَلَو أَنهُ في ثَنَـايا النُّيُوم
لَمَا أَمِنَ الغَيمُ أَنْ يُطلَبَـا

تَسُـحُّ فَلَوْ أَنَّ تَهتَانَهَـا
حَياً أَنْبَتَ القَاحِلَ المُجْدِبا

فَمَا المَنجَنِيقُ وأَحجَارُهُ
وَمَا المَاضِيَاتُ الرقاقُ الشَّبا ؟

● ● ●

أإنْ شَكَتِ الأَرْضُ حَرَّ الصَّدَى
سَقَاهَا النَّجِيعَ الوَرَى صَيِّبَـا

فَيَـا الحُرُوبِ وَأَهوَالِهـا
أَمَا حَانَ يا قَومُ أَنْ تُشجَبَـا

هُوَ المَوتُ آتٍ عَلَى رَغمِكُمْ
فَأَلقُوا المُسَدَّسَ والأَشْطَبَـا

وَلِلخَالِقِ المُلكُ والمَالِكُونَ
فَلَا تَتْبَعُوا فِيكُم أَشعَبَـا

●

وَلَمْ أنسَ مَصْرَعَ « تيتَانِكِ »

وَمَصْرَعَنَا يَوْمَ طَارَ النَّبَا

فَمِنْ شِدَّةِ الهَوْلِ في صِدْقِهِ

رَغِبْنَا إلى « البَرْقِ » أنْ يَكذِبَا

لَيَالِيَ لاَ نَستَطِيبُ الكرَى

وَلاَ نَجِدُ الماءَ مُستَعْذَبَا

وَبَاتَ فُؤَادي ، بِهِ صَدْعُهَا

وَبِتُّ أُحَاذِرُ أَنْ يرأبَا

وَلي نَاظِرٌ غَرِقٌ مِثْلُهَا

مِنَ الدَّمعِ بالبَحْرِ مُسْتَوْثِبَا

إذَا ما تَذَكّرْتُها هِجْتُ بي

أسىً تَتَّقِيهِ الحَشَا مِخْلَبَا

فَأُمْسِي عَلَى كَبِدي رَاحَتي

أخَافُ مَعَ الدّمعِ أنْ تُسْرَبَا

خُطُوبٌ يَرَاهَا الوَرَى مِثْلَهَا

لِذَلِكَ أُشْفِقُ أنْ تُرْكَبَا

●

لقد نكب الشَّرقَ نكباتِه
وحاولَ أنْ ينكبَ المَغربا

وأشقى نُفوسَ بني آدمٍ
ليُرضي السَّراحينَ والأعقُبا(١)

ولو جازَ بينَ الضُّحى والدُّجى
لقاتلَ فيهِ الضُّحى الغَيهَبا

لعلّكَ تمحو جناياتِهِ
فتنسى بكَ الذَّنبَ والمُذنِبا

إذا كنتَ لا تستطيعُ الخُلود
فعِشْ بيننا أثراً طيِّبا

فإنَّكَ في إثرِهِ راحلٌ
مشَيتَ السِّواكَ أو الهَيدَبى!

(١) السراحين : واحدها : السرحان : وهو الذئب . والاعقب : جمع مفرده عقاب وهو الطائر الجارح المعروف.



بــــلادي

تَرَكْتَ النَّجْمَ مِثْلَكَ مُسْتَهامَا
فإِنْ تَسْهُ سَهَا أو نِمْتَ نَامَا

بِنَفْسِكَ لَوْعَةٌ لَوْ في الفُؤادِي
لَصَارَتْ كُلُّ مَاطِرَةٍ جِهَامَــا

وَفيكَ صَبابَةٌ لَوْ في جَمَادٍ
لأَشْبَهَ دَمعكَ الجَارِي انسِجَاما

هَوىً بِكَ في العِظَامِ لَهُ دَبِيبٌ
أَشَابَكَ وَهْوَ لَمْ يَبْرَحْ غُلاَما

يَظُنُّ اللَّيْلُ يَحْوِي فِيكَ شَخْصاً
وَما يَحْوِي الدُّجَى إِلاَّ عِظَامَا

نَفَيْتَ الغَمْضَ عَنْ جَفْنَيْكَ يَأْتي
كَأَنَّكَ وَاصِلٌ فيهِ المَلاَمَــا

أتأرقُ ثُمَّ ترجو الطَّيفَ يأتي
شَكاكَ الطَّيفُ لَوْ ملكَ الكلاما

شَجتْكَ النائحاتُ بجُنحِ لَيلٍ
فَبتَّ تُساجِلُ النَّوحَ الحماما

أكِدتَ تُعلِّمُ الطَّيرَ القَوافي
وكِدتَ تُعلِّمُ اللَّيلَ الغَراما

إذا ذُكِرَ الشَّآمُ بَكَيتَ وَجداً
وَما تَنفكُّ تَذكُرُ الشَّآما

وكنتَ سَلوتَهُ إلاَّ قليلا
وكنتَ هجرتَهُ إلاَّ لِماما

● ● ●

رُوَيدَكَ أيُّها اللاَّحي رُوَيداً
لَكَ الوَيلاتُ لَيتَ سِواكَ لاما

أأرقُدُ والخُطوبُ تَطوفُ حَولي
وأقعُدُ بعدما الثَّقلانِ قاما

ويَشقى مَوطِني وأنامُ عَنهُ
إذاً مَن يَدفَعُ الخَطَرَ الجُساما ؟

بِلَادي ! لَا عَرا شَرٌّ بِلَادي
ولَا بلَغَ العِدَى منهَا مَرَامـا

لَبِسْتُ اللَّيلَ إشْفاقاً عَلَيْهَـا
وإنْ شَاءتْ لَبِسْتُ لها القَتَاما

وَقفتُ لهَـا اليَراعَ أَذُبُّ عنهَـا
فإنْ يَكفِهمْ وقفتُ لَها الحُسَاما

سَقَى قُطرَ الشَّآمِ القَطْرُ عـني
وحَيَّا أَهلَهُ الصِيدَ الكِراما

دَوَتْ صَيْحَاتُهمْ في كلِّ صقـعٍ
فـكادَتْ تَنشُرُ المَوْتى الرِماما

وَتطْبَعُ في المُحيَّا الجَهْمِ بِشْراً
وتَـأْلقُ في فَمِ الثَّكلَى ابتِسَاما

فَحَوَّلَتِ القُنُـوطَ إلى رَجاءٍ
وَصيَّرَتِ الوَنى فِينا اعتِزَامـا

غَدَوْنا كلَّمَا ذُكِرُوا طَرِبْنَا
كأنَّ بِنَا المُعتَّقَةَ المُدامـا

وَلَمْ أَرَ كالضَّميرِ الحُرِّ فَخْراً
وَلَمْ أَرَ كالضَّميرِ العَبْدِ ذَاما

إذَا غابَ الذَّليلُ النَّفسِ عَني
نَظَرْتُ إلى الذي حَمَلَ الوِساما

إذا جَلَبَ الكَلَامُ عليَّ عاراً
هَجَرْتُ النُّطْقَ أَحْسَبُهُ حَراما

وأَجْفُو القَصْرَ يُلزِمُني هَوَاناً
وأَهْوَى العِزَّ يُلزِمُني الحِمَاما

● ● ●

رِجالَ التُّرْكِ مَا نَبغِي انْتِقَاضاً
لَعَمْرُكُمُ ولا نَبْغِي انْتِقَاما

ولكنَّا نُطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ
ونَكْرَهُ مَنْ يُريدُ لَنَا اهْتِضَاما

حَمَلْنَا نِيرَ ظُلْمِكُمُ قُرونَا
فأَبلَاها وأَبلَانا وَدَاما

رَعَيْتُمْ أَرْضَنَا فتَرَكتُمُوهَا
إذَا وَقَعَ الجَرادُ رَعَى الرُّغَاما

فَباتَ الذِئبُ يَشكوكُمْ عُواءً
وبَات الظَّبْيُ يَشكوكُم بُغامــا

جَرَيْتُم (بالهِلالِ) إلى مَحــاقٍ
وَلَولا جَهلُكمْ بَلَغَ التَّمامَا

وكُنـــتُم كلَّما زِدْنا لِيــانًا
لِنَسبِرَ غَورَكُمْ زِدْتُم عَراما

فَمَـــا راقَبــتُمُ فِينَا جِوَاراً
ولا حَفِظَتْ لَنا يَدُكُمْ ذِماما

أثَرْتُمْ بَينَنَــا الأحقَادَ حتَّى
لِيَقْتُلُ بَعضُنا بَعضاً خِصَامــا

وشَاءَ اللهُ كَيدَكُمُ فَبِتْنَــا
كَمِثْلِ المــاءِ والخَمْرِ التِئامــا

فَجَهْلاً تَبْعَثُونَ الرُّسلَ فِينَــا
تَدِيفُ لَنَا معَ الأَرْيِ السَّمَاما

سَنَرْمُقُهُم إذا طَلَعُــوا علَيْنَــا
كأنَّا نَرْمُقُ الدَّاءَ العُقَامــا

فإنْ عُرَى شَدَدْناهـا وثاقاً
نَمُوتُ ولَا نَطِيقُ لَها انْفِصَاما

خَفِ التُرْكِيَّ يَخافُ بالَمثـاني
وَخِفْهُ كلَّمـا صلّى وَصامـا

ومَنْ يَسْتَنزِلِ الأَتْرَاكَ خَيْراً
كَمَنْ يَستَقْبِسُ الَمـاءَ الضِرَاما

هُمُ نَزَعُوا لِوَاءَ الُملكِ مِنَّـا
ونَازَعَنـا طَغَـامُهُمُ الطَّعَامـا

وَقالُوا : نَحْنُ للإِسـلَامِ سُورٌ
وإِنَّ بِنَا الِخلَافَةَ (والإِمَاما)

فَهَلْ في دِينِ أَحمَدَ أنْ يَجُورُوا
وهلْ في دينِ أَحمَدَ أَنْ نُضَامَا ؟

إلى كَمْ يَحْصُرُون الُحكْمَ فيهمْ
وَكَمْ ذَا يَبْتَغُونَ بنا احْتِكاما

أَلَسنا نَحْنُ أَكثَرُهُمْ رِجالاً
إذا عُدّوا وأَرْفَعَهَمْ مَقَامـا

إِذا طَلَعتْ ذُكاءُ فليسَ تُخفَى
ولوْ حاكُوا الظَّلامَ لَهـا لِثامـا

• • •

مُخوِّفَنـا المُثقَّفَـةَ العَوالي
لَقَدْ هَدَّدْتَ بالجَمْرِ النَّعـاما

سَتُوقِدُهـا تُعيرُ الشَّمْسَ نَاراً
وَيُعيِي أمرُهَا الجَيْشَ اللُّهاما

وَعِلْمُ المَرْءِ أنَّ المَوْتَ آتٍ
يُهَوِّنُ عِنْدَهُ المَوْتَ الزُّؤامَا



البلبل السجين

يا رُبَّ لَيلٍ بِلاَ مَنَامِ
كأنّما بَدْرُهُ يَتيمْ
مَشى بِهِ اليأسُ في الرَّجاءِ
كأنّهُ النَّارُ والهَشِيمُ

●

لَيتَ الدُّجى رَقَّ للمُحِبِّ أو لَيتَ لي مُهجَةً حَجَرْ
أقَضَّ هذا الفِراشُ جَنبي كأنَّ في مَضجِعي الأبَرْ
هلْ بكَ يا نَجمُ مِثلُ كَرْبي؟ أم أنتَ من طَبعِكَ السَّهَرْ؟

سَهِرتَ شَوْقاً إلى ذُكاءِ؟
أمْ عِندَكَ المُقعِدُ المُقيمُ؟

أبكي وتَصغِي إلى بُكائي
يارَبُّ! هَلْ تَعشَقُ النُّجوم؟

●

قَدْ نَالَ فُرْطُ السُّهَادِ مني		واشْتَاقَ طَرْفِي إلى الْهُجُوعِ
وَقَرَّحَ الجَفْنَ مَاءُ جَفْنِي		في الْحُبِّ مَا فاضَ من دُموعي
وَشَابَ رأسِي منَ التَجَنِّي		يا لَيْتَ ذا الشَّيْبَ في الوَأْوعِ

لَعَلَّ في سَلْوَتي شِفَائِي
هَيْهَاتَ . داءُ الهَوى قَديمُ
ما يَحْسَبُ النَّاسُ في رِدَائِي ؟
في بُرْدَتي هَيْكَلٌ رَمِيمُ !

●

قَد طَالَ يا لَيْلُ فِيكَ صَبْرِي		وأشْبَهَتْ سَاعُكَ القُرُونا
فَقُل لهذي النُّجُومِ تَسْرِي		أو فَاسأَلِ الصُّبْحَ أن يَبِينَا
وإنْ تَشَأْ أَنْ تَكُونَ قَبْرِي		فَكُن كَمَا شِئْتَ أن تَكُونَا

فَبِي سُكُونٌ الى البَلاَءِ
قَدْ يأْلَفُ العِلَّةَ السَّقِيمُ
مَنْ كَانَ في قَبْضَةِ الهَوَاءِ
هَانَ عَلَى نَفْسِهِ النَّسِيمُ !

●

قَرُبَ بَيْنَ الضَّنَى وَجِسْمِي ما أَبْعَدَ النَّوْمَ عَنْ جُفُونِي
يا لَيْلُ فيكَ الرُّقادُ خَصْمِي يا لَيْلُ ما فيكَ مِنْ مُعِينِ
سِوَى شَجٍ هَمُّهُ كَهَمِّي يُنْشِدُ واللَّيْلُ في سُكُونِ!

أَيَمْرَحُ البُومُ في الخَلاء
وَتُمْسِكُ البُلْبُلَ الهُمُومُ ؟
هَذا ضَلالٌ من القَضاء
فَلا تَلُمْني . . إذاً أَلُومُ

●

يا سَيِّدَ المُنْشِدِينَ طُرّاً وَصاحِبَ المَنْطِقِ المُبِينِ
لَوْ كُنْتَ يَوْماً أَوْ كُنْتَ نَسْراً ما بِتَّ في أَسْرِكَ المَهِينِ
خُلِقْتَ لمّا خُلِقْتَ ، حُرّاً فَزَجَّكَ الحُسْنُ في السُّجُونِ

وأُطْلِقَ البُومُ في الفَضاء
زَعْمَ الوَرَى أَنَّهُ دَمِيمُ
وَأَنَّهُ غَيْرُ ذِي رُواء
وَلا لَهُ صَوْتُكَ الرَّخِيمُ !

●

تَيَّمَكَ الرَّوضُ فيهِ حتّى   تخِذتَ باحاتِهِ مقاما
رأيتَ فيهِ النَّعيمَ بحتاً   ولمْ ترَ عندَهُ الأنَامَا
مدُّوا الأحابيلَ فيهِ شتّى   أقلُّها يجلبُ الحِمامَا

لوْ كُنتَ كالبومِ في الجفاءِ
ما صادَكَ المنظرُ الوسيمُ
أصبحتَ تبكي منَ الشقاءِ
ليضحكَ الآسِرُ المُضيمُ !

●

والمرءُ وحشٌ فإنْ ترقّى   أصبحَ شراً منَ الوحوشِ
فخفهُ حرّاً وخفهُ رقّاً   وخفهُ ملكاً على العروشِ
فالشرُّ في النّاسِ كانَ خلقاً   وأيُّ طيرٍ بغيرِ ريشٍ ؟

ما قامَ فيهمْ أخو وفاءِ
يحفظُ عهداً ولا رحيمُ
فكلُّ مستضعفٍ مُرائي
وكلُّ ذي قوّةٍ غشومُ !

●

إنْ كَانَ لِلوَحْشِ مِنْ نُيُوبِ فَالنَّاسُ أنيابُهُمْ حَـدِيدُ
مَا كَانَ ، وَاللهِ ، للحُرُوبِ لَوْلا بَنُو آدَمٍ وُجُـودُ
لَوِ امَّحَى عَالَمُ الخُطُوبِ لَقَامَ مِنهُمْ لهَـا مُعِيدُ

قَـدْ نَسَبُوا الظُّـلمَ للسَّمَاء
وَكُـلُّهُمْ جَائِرٌ ظَـلُومُ
لَمْ يَخْـلُ مِنْهُ أخُو الثَّراء
وَلاَ الفَتَى البَـائِسُ العَـدِيمُ

●

أعْجَبُ مَـا في بَني التُّرابِ قِتَالُهمْ فَوقَـهُ عَلَيْـهِ
قَدْ صَيَّرُوا الأرْضَ كالكِتَابِ وانحَـشَرُوا بَيْنَ دَفَّتَيْهِ
واسْتَعْجَلُوا المَوْتَ بالعَذَابِ وَكُلُّهمْ صَائِرٌ إلَيْـهِ

مَا خَابَ دَاعٍ إلى العَـدَاء
وَلَمْ يَفُزْ نَاصِحٌ حَكِـيمُ
مَا رَغِبَ النَّاسُ في الفَنَـاء
لـكِنَّمَا ضَاعَتْ الحُلُومُ ! ! (١)

●

(١) الحلوم : جمع مفرده الحلم – بكسر الحاء – وهو العقل .

أَوَلَمْ يَكُ الظُّلْمُ فِي الطَّبَائِعْ مَا اسْتَنْصَرَ العَاجِزُ العَدَالَهْ

أَوْ عَدَلَت فِيهِمُ الشَّرائِع مَا اسْتَحْدَثُوا لِلقِتَالِ آلَه

عَجِبْتُ لِلقَاتِلِ الْمُدَافِعْ جَزاؤهُ الْموتُ لا مَحَالَهْ

لَكِنَّمَا سَافِكُو الدِّمَاء

يَومَ الوَغَى قَادَةٌ قُرومُ

وَهَكَذَا الْمُجْرِمُ الفِدائِي

فِي عُرْفِهِمْ فَاتِحٌ عَظِيمُ !

●

أَقْبَحُ مِنْ هَذِهِ الضَّلَالَهْ أَنْ يَحْكُمَ الوَاحِدُ الأُلُوفَا

وَيَدَّعِي الفَضْلَ وَالنَّبَالَهْ مَنْ يَسْلُبُ العَامِلَ الرَّغِيفَا

يَاقَومُ مَا هَذِهِ الجَهَالَهْ قَدْ حَانَ أَنْ تُنصِفُوا الضَّعِيفَا

فَرَاقِبُوا ذِمَّةَ الإِخَاء

وَلْتَنسَ أَحْقَادَهَا الْخُصُومُ !

لا تَتْبَعُوا سُنَّةَ البَقَاء

فَإِنَّهَا سُنَّةٌ ظَلُومُ !

*

* *

أنتِ ...

مَهبِطَ الوَحيِ مَطلَعَ الأنبياء
كيفَ أمسيتِ مَهبِطَ الأرزَاء ؟

في عُيُونِ الأنامِ عنكِ نُبوٌّ
لم يكُنْ في العُيُونِ لو لَمْ تُساني

أنتِ كالحُرَّة التي انقلَبَ الدَّهْ
رُ عَليها فأصبحتْ في الإمَاء

أنتِ كالبُرْدةِ المُوَشَّاةِ أبلَى الـ
طَّيُّ والنَّشرُ ما بها مِن رُوَاء

أنتِ مِثلُ الخَميلَةِ الغَنَّاء
عُرِّيتْ مِنْ أورَاقها الخَضراء

أنتِ كاللَّيثِ قَلَّمَ الدَّهرُ ظُفرَيْـ
ـهِ وأخنَى عليهِ طولُ الثَّواء

أنتِ كالشَّاعرِ الذي أَلِفَ الوِحـ

ـدَةَ .. في مَحْفَلٍ مِنَ الغَوغَاء

أنتِ مِثلُ الجَبَّار يرسُفُ في الأَغـ

ـلال في مَشهَدٍ مِنَ الأَعداء

لَو تَشائين كنتِ أَرفهَ حالاً

أَوَلستِ قَـديرةً أَنْ تَشائي

أَنا مازلتُ ذا رَجاءٍ كثيرٍ

وَلئِنْ كنتُ لا أَرى ذَا رَجاءِ

قَد بَكى التارِكوكِ مِنكِ قُنوطاً

فَبَكى السَاكنوكِ خَوفَ التَنائي

كثُرَ النائِحونَ حولكِ حتَّى

خِلتُ أَني في حَاجةٍ للعَزاءِ

بَذلوا دَمعَهُمْ وصُنتُ دُموعي

إِنَّما اليائِسونَ أَهلُ البُكاءِ

لَو تُفيدُ الدُموعُ شيئاً لأَحيتْ

كلَّ عَافٍ مَدامِعُ الشُعَراءِ

أنتِ في حاجةٍ إلى مِثلِ (موسى)

لستِ في حاجةٍ إلى (أرمياء)

• • •

مُقلةَ الشّرقِ! كمْ عزيزٌ علينا

أنْ تكوني رَمِيّةَ الأقذاءِ

شرّدَتْ أهلَكِ النّوائبُ في الأرْ

ض وكانوا كأنجُمِ الجَوزاءِ

وإذا المرءُ ضاقَ بالعَيشِ ذرعاً

ركِبَ الموتَ في سَبيلِ البَقاءِ

لا يُبالي مُغرّبٌ في ذويهِ

أنْ يراهُ ذووه في الغُرباءِ

• • •

أرضَ آبائنا عليكِ سَلامٌ

وسقى اللهُ أنفُسَ الآباءِ

ما هَجرْناكِ إذ هَجرناكِ طَوعاً

لا تَظُنّي العُقوقَ في الأبناءِ

يسأمُ الخلدُ والحياةُ نعيمٌ
أفترضى الخلودَ في البأساءِ ؟

هذهِ أرضُنا بلاقعُ ، تمشي
فوقَها كلُّ عاصفٍ هوجاء

هـذه دورُنا منازلُ للبو
مِ وكانتْ منازلَ الورْقاءِ

بدّلتْها السنُونُ شوكاً مِنَ الزّهْـ
ـرِ وبالوحشِ مِن بَني حوّاءِ

ما طوت كارثاً يدُ الصُّبحِ إلاّ
نشرتْهُ لَنَا يَـدُ الإمساءِ

نحنُ في الأرضِ تائهونَ كأنّا
قومُ موسى في الليلةِ الليلاءِ

تترامى بِنَا الركائبُ في البيْـ
ـداءِ طوراً ، وتارةً في الماءِ

ضُعفاءُ مُحقَّرونَ كأنّا
منْ ظلامٍ والنّاسُ مِن لألاءِ

واغترابُ القويِّ عزٌّ وفخرٌ

واغترابُ الضَّعيفِ بَدءُ الفَنَاءِ

عابَنَا البيضُ أنَّنَـا غيرُ عُجْمٍ

والعِبدَى بالسِّحنةِ البَيْضَـاء

وَيحَ قومي قد أطمَعَ الدَّهرُ فيهم

كلَّ قومٍ حتى بني السَّوداء

فإذا فاتَـنَا عَـدُوٌّ تَجنَّى

فأرانا الأحبَابَ في الأعداء

أطرَبتْنَا الأقلامُ لَمّا تَغنَّتْ

بالمسَاواةِ بينَنَـا والإخاء

فَسَكِرْنا بِهَا فلَمَّا صَحَوْنا

مَا وَجدْنا منها سِوى أسماء!!

●

نحنُ في دَولةٍ تلاشَت قُواها

كالنُّضَارِ المدفونِ في الغَبراء

أو كمثلِ الجَنينِ ماتتْ به الحا

مِلُ حيًا يجولُ في الأحشاء

عَجَباً كيفَ أصبحَ الأَصلُ فرعاً
والضُّحى كيفَ حلَّ في الظَّلْماء

ما كَفَتْنا مَظالِمُ التُّرْكِ حتى
زَحفوا كالجَرادِ أو كالوَباء

طُرِدُوا من رُبوعِهِمْ فأَرادوا
طَرْدَنا من رُبوعِنا الحَسناء

ما لَنَا ، والخُطوبُ تأْخذُ مِنَّا
نَتَلَهَّى كأَنَّنا في رَخاء

ضِيمَ أَحرارُنا ورِيعَ حِمَانا
وسَكَتْنا ، والصَّمْتُ للجُبَناء

نَهضةً تَكشفُ المَذَلَّةَ عَنَّا
فلَقَدْ طالَ نَوْمُنا في الشَّقاء

نَهضةً تَلفِتُ العُيونَ إلينا
إنَّ خَوفَ البَلاءِ شَرُّ بَلاءِ

نَهضةً يَحملُ الأَثيرُ صَداها
للبَرايا في أَوَّلِ الأَنْباءِ

نَهضةٌ تَبلُغُ النُفوسُ مُناهــا

فهيَ مُشتاقَةٌ إلى الهَيجَــاءِ

إنّ ذا المُلكَ هيكَلٌ نَحنُ فِيه ال

قَلبُ والقلبُ سَيّدُ الأعضاءِ

زَعَمَ الخَائنونَ أنّا بِما نَبْغِـ

ـيه نبغي الوُصولَ للعَنقاءِ

سَوفَ يدرونَ أنما العُربُ قومٌ

لا يُبَالونَ غيرَ رَبِّ السَمَاءِ

يومَ لاتُنبتُ السُهولُ سِوى النَا

س وغَيرَ الأسِنَّةِ السَمراءِ

يومَ تَمشي عَلَى جِبـالٍ منَ الأشْ

لَاءِ تَمشي في أبحُرٍ من دِمَاءِ

يومَ يستشعِرُ المراؤونَ مِنَّــا

أنّمـا الخاسِرونَ أهلُ الرِّياءِ

❀

❀ ❀

معركة بورغاس

هذي الوَغى مشبوبة النيرانِ

مشدودة الأسبابِ والأقرانِ

شابَتْ مفارِقُها وكانَتْ طِفلَةً

عذراءَ منذُ دقائقٍ وثوانِ

طُوي السَّلامُ فَلَيسَ يُنشَرُ بعدَها

أو يُبعثَ الملحودُ في الأكفانِ

شقُّوا الطُّروسَ وحطِّمُوا أقلامكُمْ

أليومَ يَومُ شَواجِرِ المُرَّانِ

هانَت عَلى الصَّمصَامِ كلُّ يَراعَةٍ

ما لليَراعَةِ في الحُروبِ يَدانِ

يا صَاحِبي لَيسَ الوَغى مِن مَذهَبي

هاتيكَ وَسْوَسَةٌ منَ الشَّيطَانِ

فالنَّاسُ إخوانٌ وَلَيس مِنَ النُّهى

أنْ يَفتِكَ الإِخوانُ بالإِخوانِ

لو تعقِلُ الأَجنادُ أنَّ مُلوكَهـا

أعدَاؤها انْقَلَبَتْ عَلى التيجَـانِ

قَومٌ إذا شَاؤوا الصُّعُودَ لِمطْلَبٍ

تخِـذُوا مَرَاقِيَهمْ مِنَ الأَديانِ

أوَ إنْ كَرِهتَ الحربَ كُنتَ يَراعَةً

وإذا قَتَلتَ أخاكَ غَيرَ جَبَانِ ؟

إنْ كانَ قَتلُ النَّفسِ غيرَ مُحرَّمٍ

مَا الفرقُ بينَ المرءِ والحَيوانِ ؟

الحَربُ مَجلَبَةُ الشَّقاوةِ للوَرى

والحَربُ يَعشَقُها بَنُو الإِنسانِ

● ● ●

لِمَن الخَميسُ خَوافِقاً راياتُـهُ

مُـتَماسِكَ الأَجزاءِ كالبُنيـانِ

مُتألِّبٌ كاللّيـلِ جَنَّ سَوادُهُ

مُتحَفِّزٌ كالقِـدْرِ في الغَلَيانِ

مُتَدَفِّقٌ كالسَّيلِ في الغُـدرانِ
مُتَدَفِّـعٌ كالعَاصِفِ المِرنانِ

تَتَزلزلُ الأَطْوادُ مِنْ صَدَمَاتِهِ
وَتَظَـلُّ منهِ الأَرضُ في رَجَفَانِ

عَجْلانَ يَكتَسِحُ البِلَادَ وأَهلَهَا
إنَّ الشَّقِيَّ العَـاجِزُ المُتَواني

في كلِّ سَرجٍ ضَيغَـمٌ مُتَحَفِّزٌ
في كَـفِّهِ مَاضِي الشَّبَاةِ يَمانِ

سَمحٌ إذا ضَنَّ الجَبَانُ بِرُوحِـهِ
فَـكَأنَّمَـا في جِسْمِهِ رُوحَانِ

مَا صَانَ مُهجَتَهُ التي في صَدرِهِ
إلاَّ لِيَبذُلَهَـا بِيَومِ طِعَانِ

لا شَيءَ، يَومَ الرَّوْعِ، أَجمَلُ عِندَهُ
مِنْ أن يُرَى والقِرْنَ يَصطَرِعَـانِ

● ● ●

يَارُبَّ مَعرَكَـةٍ تَراكَمَ نَقعُهَـا
حَتَّى اختَفَى في ظِلِّهَا الجَيشَانِ

باتَتْ صِقَالُ الهندِ في أفيائها
كالبرقِ يسطعُ مِنْ خِلالِ دُخانِ

والخيلُ طائرةٌ على أرْسانِهَا
تَهوَى لوِ انعتقَتْ مِنَ الأرْسانِ

دوّتِ المدافعُ كالرّعودِ قواصفاً
نَطقَ الحديدُ فعيَّ كلُّ لِسانِ

تَرْمي بأشْباهِ الرُّجُومِ تخالُها
حمراءَ قدْ صِيغتْ مِنَ المرْجانِ

ما إنْ تَطِيشُ وإنْ نأتْ أغراضُها
ولكمْ تطيشُ قذائفُ البُرْكانِ

صخّابةٌ تذرُ الحُصُونَ بلاقِعاً
وتَدُكُّها دكّاً إلى الأرْكانِ

تنقَضُّ والفُرْسانُ في آثارِهَا
تنقَضُّ مِثْلَ كَواسِرِ العِقْبانِ

هيَ وقْعةٌ ضجّتْ لها الدُّنيا كما
ضجّتْ وضجَّ النّاسُ في « سيدانِ »

مُشْتِ المَنَايَا حَاسِرَاتٍ عِنْدَهَا
تَتَطَلَّبُ الأَرْوَاحَ في الأَبْدَانِ

فَعَلَى أَدِيمِ الجَوِّ ثَوْبٌ أَسْوَدُ
وَعَلَى أَدِيمِ الأَرْضِ ثَوْبٌ قَانِ

وإِذا نَظَرْتَ إلى الجُسُومِ عَلَى الثَّرى
أَبصَرتَ كُثبَاناً عَلَى كُثبَانِ

لَمَّا رَأَوْا (بُورْغاس) ضَرَّةَ مَكْدنٍ
حَمَلُوا عَلَيهَا حَمْلَةَ اليابانِ

وَقَدِ انْجَلَتْ فإِذا الهِلَالُ مُنَكَّسٌ
عَلَمٌ طَوَتْهُ رَايَةُ الصُّلْبَانِ

رَجَحَتْ قِوَاهُمْ أَيَّمَا رُجْحَانِ
فِيهَا وَشَالَ التُّرك في المِيزانِ

نَفَرُوا كَالحُمُرِ التي رَوَّعَتْهَا
بابْنِ الشَّرى المُتَجَهِّمِ الغَضْبَانِ

وَقُلُوبُهُمْ قَدْ أَسْرَعَتْ ضَرَبَاتُهَا
وَتَظُنُّهَا وَقَفَتْ عَنِ الخَفَقَانِ

مُتَلَفِّتِين إلى الوَرَاءِ بِأَعْيُنٍ
تَتَخَيَّلُ الأَعْداءَ في الأَجْفَانِ

يَتَلَمَّسُونَ مِنَ المَنِيَّةِ مَهْرَباً
هَيهَاتَ إنَّ المَوْتَ كُلَّ مَكَانِ

وَاللهِ مَا يَنجُونَ مِنْ أَشْرَاكِهِ
وَلَو اسْتَعَارُوا أَرْجُلَ الغِزْلانِ

أَسْلَابُهُمْ للظَّافِرِينَ غَنِيمَةٌ
وَجُسُومُهُمْ للعَاجِلِ الغَرْثَانِ

إنْ يَأْمَنُوا وَقْعَ الأَسِنَّةِ والظُّبَى
فَالذُّعْرُ طَاعِنُهُم بِشَرِّ سِنَانِ

• • •

مَا أَنسَ لا أَنسَى عِصَابَةَ خُرَّدٍ
في اللهِ مَسْعَاهُنَّ والإِحسَانِ

هِجْنَ الوَثِيرَ إلى وَسَائِدَ قَضَّةٍ
وَنَزَحْنَ عَنْ أَهْلٍ ومَنْ أَوْطَانِ

وَوَقَفْنَ أَنفُسَهُنَّ في الدنيا عَلَى
تَأْمِينِ مُلتَاعٍ وَنُصْرَةِ عَانِ

يَحمِلنَ أَلويةَ السَّلامِ الى الأُلى

حَمَلوا لواءَ الشَرِّ والعُــدْوَانِ

كَمْ مِنْ جَريحٍ بالنَّجيعِ مُخَضَّبٍ

في الأَرْضِ لا يَحْنُو عَلَيهِ حانِ

مَا رَاعَهُ طَيفُ المَنيَّةِ مِثْلَمَــا

رَاعَتْ حَشَاهُ فُرقَــةُ الخِلّانِ

فَلَهُ ، إذا ذَكَرَ الدِّيَارَ وأَهلَهُ ،

آهُ الغَرِيبِ وأنّــةُ الثَّــكْلَانِ

نَفَّسنَ مِنْ بُرَحَائِهِ ، وأَسونَــهُ

وأَعضْنَهُ مِنْ خَوفِــهِ بأَمَــانِ

ما حَبَّبَ الجَنَّاتِ عِندي أَنَّـها

مَثوى سَلامٍ ، مُستَقَرُّ حِسَانِ

لَوْلاَ حَنَانُ الغَانِياتِ وَعَطفُهــا

ما كانَت الدُّنيا سوَى أَحْزَانِ

● ● ●

من مُسْمِعُ الأَيامَ عَنّي نَبــأَةً

يَرتاعُ مِنهَا كُلُّ ذِي وِجدَانِ

إنَّ الأُلى جَبُنُوا أمامَ عُـداتِهِمْ
شَجُعُوا عَلَى الأَطفَالِ والنِّسْوَانِ

وَصَوَارِماً قدْ أُغمِدَتْ يَومَ الوَغى
شُهِرَتْ عَلَى الأَضْيَافِ والقُطَّانِ

أَكذا يُجازَى الآمِنُونَ بدُورِهِمْ
أوْ هَكَذا قَدْ جاءَ في القُرْآنِ ؟

● ● ●

أَخْنَى عَلَى الأَتْرَاكِ دَهرٌ حُوَّلٌ
أَخنَى عَلَى اليُونانِ والرُّومَانَ

وَطَوَى مَحاسِنَ«يَلدِزٍ» قَدَرٌ طَوَى
رَبَّ السَّديرِ وَصَاحِبَ الإيوانِ

فاليَومَ لا أَسْتَانةٌ أَسْتَانَـةٌ
تَزهو ولا السُّلطَـانُ بالسُّلطَانِ

دَارَتْ دَوَائِرُهُ عَلَيهَـا مِثلَمَـا
دَارَت دَوَائِرُهُ عَلَى « طَهْرانِ »

أَمُنَبِّهِي الأَضغَان كَيفَ هَجَعتُمُ
لمَّا تَنَبَّـهَ نائِـمُ الأَضغَانِ

وحُكُومَةُ الأشياخِ ويحكَ ما الذي
خالفتِ فيهِ عُصْبَةَ الفتيانِ
قالوا : لَنَا المُلْكُ العَرِيضُ وجاهُهُ
كذبوا فإنَّ المُلْكَ للرَّحمنِ
ما بَالُ قومي كلَّما استصرختُهُمْ
وَضَعُوا أصابِعَهُمْ على الآذانِ
أبناءَ سوريَّا الفتاةِ تضافروا
وخُذُوا مَثَالَتَكُمْ عن البلقانِ
ما التُّركُ أهلٌ أنْ يسودُوا فيكُمُ
أو تحكمُ الآسادُ بالظلمانِ
هُمْ ألبَسُوا الشرقيَّ ثوبَ غضاضةٍ
وسقوهُ كأسَيْ ذِلَّةٍ وهوانِ
فإذا جرى ذِكرُ الشُّعوبِ بمَوْضِعٍ
شمخت ، وطأطأ رأسَهُ العثماني !.



خير شيء

ذَهبتُ مُسائلاً عنْ خيرِ شيءٍ
لأعرفَ كُنْهَ أخلاقِ البريَّهْ
فقالتْ لي الكنيسةُ خيرُ شيءٍ
هُوَ الزُّهدُ الذي يَمحُو الخطيَّهْ
وقالتْ لي الشريعةُ : خيرُ شيءٍ
شُمولُ العدلِ أبناءَ الرَّعيَّه
وقالَ الشهرةُ ، الجنديُّ خيرٌ
وإنْ كانتْ تقودُ إلى المنيَّه
وقالَ أخو الحصافةِ : خيرُ شيءٍ
هُوَ الحقُّ المبينُ بلا مريَّــه
وقالَ أخو الجهالةِ : خيرُ شيءٍ
سُرور النفسِ في الدُّنيا الدَّنيَّة

وَقَالَ لِيَ الفَتى وَصْلُ الصَّبَايا

وَقَالَتْ لي الهوَى البِنْتُ الصَّبِيَه

وَلَمَّا أَنْ خَلَوتُ سَأَلتُ نَفسي

لأَعرِفَ رَأْيَهَا في ذي القَضِيَّه

فَقَالَتْ لا أَرى خيراً وأَبْقَى

منَ الإحْسَانِ لِلنَّفْسِ الشَّقِيَّه

* * *

حكاية حال

أَلحَشْدُ مِلءُ الدّارِ لَكِنْ   لَمْ يَرَ أَحَداً سِواهَا
فَتّانَةٌ خَلاّبَةٌ   كالياسَمينَةِ في شَذاهَا
أَوفى عَلَيْهَا وهيَ تَخـطِرُ كالفَراشَةِ فاشْتَهاهَا
شَكَتِ الصَّبابَةَ مُقْلَتَا   هُ فَجاوَبَتْهُ مُقْلَتَاهَا
حَتّى إِذا مَا اخْتارَ كُلُّ «م» فَتىً رفيقَتَهُ اصطَفاهَا
وَرَأَتْ بِهِ مَنْ تَبْتَغي   وَكَما رَأَتْهُ كَذا رَآهَا
وَتَقَدَّمَا لِلرَّقْصِ يَتـرأ ناظِرَيهِ ناظِراهَا
مُتَلاصِقي الجِسْمَينِ يَسْـنُدُ سَاعِدَيْهِ سَاعِداهَا
وَتَكادُ لولا الخَوفُ تَلْـمِسُ وَجْنَتَيهِ وَجْنَتاهَا
مُتَدافِعَينِ كَمَوجَتَيْـنِ، خُطَاهُ تَتْبَعُهَا خُطَاهَا
يَمْشِي فَتَمْشي وَهيَ تَحْـسَبُهُ يَسيرُ عَلى حَشَاهَا
هيَ في لِثامٍ كالدُّجى   مُحْلَوْلِكٍ وَكَذا فَتَاهَا

لكنما الأَلحاظُ تخترقُ السُّتورَ وَما وراهـا
فَاضَ الغَرَامُ فقَالَ آهِ وَقَالَتِ الحَسْنَاء آها
فانْسَلَّ مِن أصحَابِـهِ سِرّاً ، وأغْضَتْ جارَتَاهَا
وَمَشَى بِهَا في رَوضَةٍ قدْ نامَ عَنهَا حارِسَاهَا
حتَّى إذَا أمِنَا الوَرَى وَشَكَا الهَوى وشَكَت هواها
طَارَتْ بِبُرقُعِهَا وَبُرْقُعِهِ عَلَى عَجَلٍ يَدَاهَا
كَيْمَا تُقَبِّل ثَغرَهُ وَيُقَبِّل المَعْشُوقُ فاهَا
فَرأَى المُتَيَّمُ بِنْتَـهُ وَرَأَت مَليحَتُنَا أَبَاهَا

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

شكوى

نَسِيَتْ عَهدِي ، فَلَمَّا جِئتُهَا
زَعَمَتْ أَنِّيَ تَنَاسَيتُ العُهُود
وَادَّعَتْ أَنِّيَ خِلْوٌ زاهِدٌ ،
أَنَا لَوْ كُنتُ كَذَا كُنتُ سَعِيد

رَغِبَتْ فِي الصَّدِّ عَنِّي بَعدَمَا
بِتُّ لا يُحزِنُنِي مِثلُ الصُّدُود
مِثلَمَا أَنكَرَ ثَغرِي خَدَّهَا
أَنكَرَتْ فاتِنَتِي تِلكَ الوُعُودْ

يا شُهُودِي عِندَمَا كُنَّا مَعًا
ذَكِّروها . . أَينَ أَنتُم يا شُهُود ؟
سَكَتَ البَدرُ الَّذِي راقَبَنَا
وذَوَتْ فِي الرَّوضِ هاتِيكَ الوُرُودْ

وَمَشَتْ رِيحُ الصَّبَا حائِرَةً
في المَغَاني حَيْرَةَ الصَّبِّ العَمِيدْ

يا هَواهَا قُلْ مَتى تَترُكُني
قالَ أَو تَصْفَرَّ هاتيكَ الخُدُودْ

أنا لا أَدعُو عَلَيهَا بالضَّنَى
أَتَّقِي أَنْ يَشْمَتَ القَالي الحَسُود . .

بائعة الورود

مِنَ الفَرَنسيس قَيدَ العَيْن صُورَتها
عَذرَاء قد مُلِئَتْ أجفَانُها حَوَرا

كأَنَّما وَهَبتها الشَّمسُ صَفحَتَهَا
وَجهاً وَحاكَت لها أسلاكُهَا شَعَرا

يدُ المَنِيَّةِ طاحَتْ غِبَّ مولدِها
بأُمِّها ، وأبوها مَاتَ مُنتَحِرا

في قَريةٍ منْ قُرى باريسَ ما صَغُرَتْ
عَن الفَتاةِ ولكنْ هَمُّها كَبُرا

والنَّفسُ تَعشَقُ في الأهلينَ مَوطنَهَا
وليسَ تَعشَقُهُ يَحويهمُ حُفَرا

وتَعظُمُ الأرضُ في عَينَيْكَ مُحترَماً
ولَيسَ تَعظُمُ في عَينيكَ مُحتَقَرا

فغادرتها وما في نفسها أثرٌ

منها ولا تركت في أهلها أثرا

إلى التي تفتن الدنيا محاسنها

وحسن من سكنوها يفتن البشرا

إلى التي تجمع الأضداد دارتها

ويحرس الأمن في أرجائها الخطرا

إذا رآها تقيٌّ ظنها «عدناً»

وإن رآها شقيٌّ ظنها «سقرا»

تودُّ شمس الضحى لو أنها فلكٌ

والأفق لو طلعت في أوجه قمرا

والغرب لو كان عوداً في منابرها

والشرق لو كان في جدرانها حجرا

في كل قلبٍ هوىً منها كأنَّ له

في أهلها صاحباً ، في أرضها وطرا

(باريس) أعجوبة الدنيا وجنتها

وربَّة الحسن مطروقاً ومبتكرا

● ● ●

حلّتْ عليها فلمْ تُنكِرْ زخارفها
فطالما أبصرتْ أشباهها صورا

ولا خلائقَ أهليها وزيّهمُ
فطالما قرأتْ أخلاقهمْ سِيرا

وإنّما أنكرتْ في الأرضِ وحدتَها
كذلكَ الطيرُ إما فارقَ الوكرا

يتيمةٌ مالها أمٌّ تلوذُ بِها
ولا أبٌ إنْ دعتهُ نحوَها حضرا

غريبةٌ يقتفيها البؤسُ كيفَ مشتْ
ما عزَّ في أرضِ «باريسِ» من افتقرا

مرّتْ عليها ليالٍ وهيَ في شُغُلٍ
عن سالفِ الهمِّ بالهمِّ الّذي ظهرا

حتّى إذا عضّها نابُ الطّوى نفرت
تستنزلُ الرزقَ فيها الفردَ والنّفرا

تجني اللّجينَ ويجني الباذلوهُ لها
مِنْ كفّها الوردَ منظوماً ومنتثِرا

لا تَتَّقي اللهَ فيهِ وهُوَ في يَدِهَا

وتَتَّقي فيهِ فوقَ الوَجْنةِ النَّظَرا

تَغَارُ حتّى مِنَ الأرواحِ سارِيَةً

فلو تَمرّ قَبُولٌ أطرَقتْ خفرا

أذالتِ الوَرْدَ قانيهِ وأَصفرَهُ

كيما تَصونَ الذي في خدِّها نَضَرا

حمتهُ عَنْ كلِّ طرفٍ فاسِقٍ غزِلٍ

لو استطاعتْ حمتهُ الوَهمَ والفِكرا

تُضاحِكُ الخلقَ لا زَهْواً ولا لَعِباً

وتَجحدُ الفقرَ لا كِبْراً ولا أشرا

فإنْ خلَتْ هاجتِ الذِكرى لواعِجَها

فاستَنفدَتْ طرفُهَا الدَّمعَ الذي اذخَرا

●

تعلَّقتْهُ فتىً كالغُصنِ قامتُهُ

حلوَ اللِّسانِ أغرَّ الوجهِ مُزدَهِرا

وَهامَ فيهَا تُريهِ الشَّمسَ غرَّتُها

والفَجرَ مرتصِفاً في ثغرِهَا دُرَرا

إذا دنا رغبتْ أنْ لا يفارِقـها

وإن نأى أصبحتْ تشتاقُ لو ذُكرا

تُغالِبُ الوَجدَ فيهِ وهُوَ مُقتربٌ

وتهجرُ الغمْضَ فيهِ كُلّما هَجرا

كانتْ توقّى الهوى إذ لا يخامرُها

فأصبحتْ تتوقّى في الهوى الحَذرا

قد عرّضتْ نفسَها للحُبِّ واهيَــةً

فنالَ منها الهوى الجبّارُ مقتدِرا

والحبُّ كاللِّصِ لا يدريكَ موعِدَهُ

لكنّهُ قلّما ، كالسارقِ ، استترا

●

وليلَةٍ منْ ليالي الصّيفِ مُقمِرَةٍ

لا تسأمُ العَيْنُ فيها الانجُـمَ الزُّهرا

تلاقيا فشكاها الوجدَ فاضطربتْ

ثمّ استمرَّ فباتتْ كالذي سُحِرا

شكا فحرّكَ بالشكوى عواطِفَهـا

كما تُحرِّكُ كفُّ العازفِ الوَترا

وزادَ حتَّى تمنَّتْ كلُّ جارحةٍ

لو أصبحتْ مَسْمَعاً أو أصبحتْ بَصَرا

رانَ الهيامُ عَلَى الصَّبَّيْنِ فاعْتنقَا

لا يملكانِ النُّهى ورْداً ولا صَدرا

« وكانَ ما كانَ مِما لستُ أذكُرُهُ »

تكفي الإشارةُ أهلَ الفِطْنَةِ الخُبَرا

●

هامَتْ بهِ وهْيَ لاتدري لِشقْوتِها

بأنها قَدْ أحبَّتْ أرقماً ذَكَرا

رأتهُ خَشِفاً فأدنتْهُ فَراءَ بهـا

شاةً فـأنشبَ فيهـا نابَهُ غمَرا

ما زالَ يُؤمِنُ فيها غيرَ مكترثٍ

بالعاذلينَ فلمّا آمنتْ كَفَرا

جَنَى عليها الَّذي تخشَى ، وقاطعها

كأنَّمـا قدْ جنتْ ما لَيسَ مُغتفَرا

كانتْ وكانَ يرى في خدِّها صَعَراً

عنهُ فباتتْ ترى في خدِّهِ صَعرا

فَكُلَّمَا استعطفتهُ ازْوَرَّ مُحتَدِماً

وكُلَّمَا ابتَسَمَتْ في وَجهِهِ كَشَرا

طَالَ النِّفَارُ و«فِرجيني» عَلَى مَضَضٍ

تَجرَّعُ الأنقعَيْنِ : الصَّابَ والصَّبِرا

●

قالَتْ ، وقدْ زارَها يوماً ، مُعرِّضَةً

مَتى ، لَعَمرُكَ ، يجني الغَارِسُ الثَّمَرا ؟

كَمْ ذَا الصُّدودُ ولا ذَنْبٌ جَنَتْهُ يَدي

أَرجُو بكَ الصَّفوَ لا أرجُو بكَ الكَدَرا

تَركتَني لا أذوقُ الماءَ مِن وَلَهي

كما تَركتَ جُفُوني لا تَذوقُ كَرى

أَشفِقْ عَليَّ ولا تَنسَ وُدادَكَ لي

فإنَّ ما بيَ لَوْ بالصَّخرِ لانفَطَرا

أطالَتِ العَتبَ ترجُو أنْ يَرِقَّ لها

فُؤادُهُ فأطالَ الصَّمتَ مُختَصِرا

وأحرَجَتهُ لأنَّ الهَمَّ أحرَجَها

وكُلَّمَا أحرَجَتهُ راغَ مُعتَذِرا

وَضاقَ ذَرعاً بما يُخفي فَقالَ لَهـا

إلى مَ أَلزمُ فيكِ العيَّ والحصرا

أَهواكِ صاحِبَةً ... أَمّا اقترانُكِ بي

فلَيسَ يَخطُرُ في بالي وَلا خَطَرا

أَهوى رِضاكِ ولكِنْ إنْ سَعَيتُ لهُ

أَغضَبتُ نفسيَ والدَّيَّانَ والبَشَرا

عَنيتُ مالِيَ مِنْ قلبَيْن في جَسَدي

وليسَ قلبي إلى قسمَيْن مُنشَطِرا

تُطَالِبيني فُؤادي وَهوَ مرتَهنٌ

في كفِّ غَيرِكِ، رُمتِ المَطلَبَ العَسِرا

يَكفيكِ أَنيَ فيكِ خُنتُ إمرأَتي!

ولمْ يَخُنْ قَلبُهَا عَهدي ولا خَفَرا

قدْ كانَ طَيشاً هِيامي فيكِ بَلْ نَزَقاً

وكانَ حُبُّكِ ضَعفاً منكِ بَلْ خَوَرا

قالَتْ متى صِرتَ بَعلًا؟ قالَ مِن أَمدٍ

لا أَحسبُ العُمرَ إلاّهُ وإنْ قَصُرا

يا هَولَ ما أبصَرَتْ يا هَولَ ما سمعَتْ
كادَتْ تُكَذِّبُ فيهِ السَّمعَ والبَصَرا

لولا بَقِيَّةُ صَبْرٍ في جوانِبِهَا
طَارَتْ لَهُ نَفسُها مِنْ وَقعِهِ شَذَرا

يَا للخِيَانَةِ ! صَاحَتْ وهْيَ هَائِجَةٌ
كما تَهَيَّجَ لَيثٌ بابْنِهِ وُتِرا

الآنَ أيقَنتُ أنِّي كُنتُ واهِمَةً
وأنَّ ما كُلُّ برْقٍ يَصْحَبُ المطَرَا

وَهَبتَ قَلبَكَ غَيْري وهوَ مِلكُ يدي
ما خِفتَ شَرعاً ولا باليتَ مُزْدَجرا

لَيسَتْ شَرائعُ هَذي الأرضِ عَادِلةً
كانَ الضَّعيفُ ولا يَنفَكُّ محتَقَرا

قَدْ كُنتُ أَخشَى يَدَ الاقدارِ تَصدَمُنَا
وكانَ أجدَرَ أَنْ أخشَاكَ لاَ القَدَرا

وَصَلْتَني مِثلَ شَمسِ الأُفقِ ناصِعَةً
وَعِفتَني مِثلَ جُنحِ اللَّيلِ مُعتَكِرا

كما تعافُ السُراةُ الثوبَ قد بَلِيَتْ
خُيوطُهُ والرُّواةُ المَوردَ القَذِرا

خِفتَ الأقاويلَ بي قد نامَ قائلُها
هَلاّ خَشيتَ انتِقامي وهوَ قد سَهِرا

يا سالِبي عِفّتي من قَبلِ تَهجُرَني(١)
أرْدُدْ عليَّ عَفافي وارْدُدِ الطُّهرا

هَيهاتَ هَيهاتَ ما مِنْ عِفّتي عِوَضٌ
لاحَ الرَّشادُ وبانَ الغيُّ وانحَسَرا..

●

وأقبَلَتْ نَحوَهُ تَغلي مَراجِلُها
كأنّها بُركانُ ثارَ وانفَجَرا

في صدرِها النّارُ، نارُ الحِقدِ، مُضرَمَةً
لكنّما مُقلَتاها تَقذِفُ الشّرَرا

وأبصَرَ النّصلَ تُخفيهِ أنامِلُها
فراحَ يركُضُ نحوَ البابِ منذَعِرا

لكنّها عاجَلَتْهُ غيرَ وانِيَةٍ
بطَعنَةٍ فجّرتْ في صَدرِهِ نَهرا

(١) التقدير: من قبل أن تهجرني.

فخرَّ في الأرضِ جسماً لاحراكَ بهِ

لكنَّ «فرجيزَ» ما ماتتْ قبلما احتُضِرا

جُنّت من الرُّعبِ والأحزان فانتحرت

ما هابتِ الموتَ لكنْ خافت الوَضَرا

●

كانتْ قُبيلَ الرّدى مَنسيّةً فغدَت

بَعدَ الحِمامِ حديثَ القَوم والسّمَرا

تَتلو الفتاةُ عِظاتٍ في حكايتِها

كما يُطالِعُ فيها النّاشيءُ العِبَرا

❋ ❋
❋

١٩١٤

طُويَ العَامُ كَما يُطوى الرَّقيمْ وَهوى في لُجة الماضي البَعيد

• •

لمْ يكُنْ .. بلْ كانَ لكن ذهَبا

وانقَضَى حتّي كأنْ لمْ يكُنِ

لَو دَرى حِينَ أتى المُنقَلَبا

لَتمَنّى أنّهُ لَمْ يَبِنِ

أيُّ نجمٍ شارِقٍ ما غَرَبا

أَيُّ قلبٍ خافِقٍ لمْ يسْكُنِ

جاهِلٌ منْ حسِبَ الآتي يدومْ أحمَقٌ مَنْ حسِبَ الماضي يعودْ

•

مالَنا يأخذُ منّا الطَّرَبُ
كُلَّما عامٌ تلاشى واضمَحَلْ
أفرِحنا أنّنا نقتربُ
من غدٍ؟ إنّ غداً فيهِ الأجل
عجبٌ هذا ومنهُ أعجبُ
إنّنا نفنَى ولا يفنَى الأملْ
فكأنّا ما سمِعنا بالحُتُومْ أو كأنّا قد نعِمنا بالوُجود

• •

يا رَعاهُ الله مِن عامٍ خلا
فلقد كانَ سلاماً وأمانْ
صافحَ الجحفلُ فيهِ الجحفلا
واستراحَ السيفُ فيهِ والسِّنانْ
ما انجلَى حتى رأى النَّقعَ انجلَى
وخبَتْ نارُ الوَغى في «البلقانْ»
لستُ أنسى نهضةَ الشعبِ النَّؤوم إنّ فيها عِبرةً للمُستفيدْ

• •

والتقى البَحْران فيـهِ بعدمَـا

مرَّتِ الأجيالُ لا يلتقيـان

أَصبَحَ السَّدُّ الذي بينَهمـا

تُرعَةً يزخَرُ فيهَـا الأزرَقانْ

فلتَـدُمْ (آميركا) ما التطمَا

ما لِهذا الفَتحِ في التَّاريخِ ثانْ

وَلتعِشْ رايَتُها ذاتُ النُّجوم أَجَلُ الرّاياتِ أَولى بالخُلود!

● ●

واعتَلى النَّاسُ بـهِ مَتْنَ الهواءْ

فهُمُ حولَ الدَّراري يَمرَحُونْ

يَمخُرُ المِنطادُ فيهم في الفَضَاءْ

مثلَمَـا يَمخُرُ في البَحرِ السَّفينْ

معجِزاتٍ ما أَتاهَـا الأنبيَـاءْ

لا وَلمْ يطمَحْ اليهـا الأقدَمونْ

سَخَّرَ العِلمْ لهمْ حتّى الغُيومْ فهُمُ، مِثلُهُمُ، فوقَ الصَّعيدْ

● ●

حلّق الغربيّ فوق السّموات

ولبثنا نندبُ الرّسمَ المحيلْ (١)

فاذا ماقالَ أهلُ المكرُماتْ

ما وجدنا ، وأبيكُمْ ، ما نقولْ

لو فقهنــا مثلهم معنى الحياةْ

ما أضعناها بُبكاء في الطّلولْ

ألفتْ أنفُسُنا الضّيمَ المقيمْ مثلَمَا يستعذبُ الظّلمُ العبيدْ !..

• •

أدركتْ غاياتِها كلُّ الشّعوب

نهضَ الصّيني وما زِلنَا نيــامْ

عبثت فينا الرّزايا والخطوبْ

مثلَمَــا يعبثُ بالحرِّ اللّئــام

صودرَ الكاتِبَ منّا والخطيبْ

منعتْ ألسُنُنا حتّى الكلامْ

نحنُ في الغفلةِ أصحابُ الرّقيم(٢) نحنُ في الذّلة إخوانُ اليهود

---

(١) اشارة من الشاعر الى قصائد العرب في بكاء الديار وأخصها هذا البيت الفرد :

عوجوا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حزام

(٢) يشير الى « أهل الكهف » الذين « لبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا والذين » نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا » .

—زهير—

ليت أنّا حين مـاتَ الشّمَمْ

لحقَتْ أرواحُنـا بالغـابرينْ

مـا تمرَّدنا على من ظَلَمُوا

لا ولمْ نفكُكْ وثاقاً عن سجينْ

لَيسَ يمحُو عـارَنا إلاّ الدّمُ

فالى كَمْ نذرفُ الدّمعَ السّخينْ؟

قامَ فينا ألفُ جَبّارٍ غشومْ غيرَ أنّا لمْ يمتْ مِنّا شَهيد

◆ ◆

يالَقومي بلَـغ السَّيلُ الزُّبَى

واستَطَالَ البَغيُ واستشرى الفَسَادْ

فاجعَلوا أقلامَـكُم بيضَ الظُّبَى

واستعيروا مِنْ دَم البَاغي المدادْ

كتَبَ السّيفُ .. اقرأوا ما كتبا

لا يُنَالُ المَجـدُ إلاّ بالجِهَـادْ

أيْ رجالَ الشّرقِ أبنَاءَ القُرومْ لا تَنَاموا . آفَةُ الماءِ الرُّكودْ !!!

❋ ❋

❋

بنت الدوالي

هاتَ اسقِني بالقدحِ الكبيرِ
صَفراءَ لَونَ الذّهبِ المصهُور
كأنَّها في أكؤسِ البلُّور   شُعلةُ نارٍ في بَقايا نُور

•

عَجِبتُ للكأسِ التي تحويهَا
كيفَ استقرّتْ والحياةُ فيها
لَوْ لمْ يُدِرْها بيننا سَاقيهــا   دارَتْ عَلى القَومِ بِلَا مُدير

•

هَاتَ اسقِنيها مِثلَ عَينِ الديكِ
صافِيَــةً تَنهضُ بالصُّعلوكِ
حتَّى يَرى التِّيهَ عَلى المُلوكِ   ولا يُبالي سَطوَةَ الأمير

•

بِنت الدَّوالي ضَرَّةُ الرُّضابِ

أُختَ التَّصافي زَوجَةَ السَّحابِ

أَنتِ، وإِنْ لامَ الوَرَى شَرابي   في الخالِدَيْن : القَرِّ والهَجيرِ

●

أَشرَبُها بَلْ أَشربُ الإِكسيرا

تَخلُقُ في شارِبِها السُّرورا

فقُـل لمَنْ يَحسَبُها غرورا   ما العَيشُ إِلاَّ ساعَةُ الغُرورِ

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

الطيران

لو رأى «آدمٌ» فتاهُ زالَ الـحقدُ مِن قلبِهِ عَلى حَوَّاء
صَيَّرَ الأرضَ جنَّةً دونها الجنَّـةُ في الحُسنِ وَالبَهَا والرُّواء
مَا أَظنُّ النَّعيمَ فيهِ الذي في الـأرضِ مِنْ بَهجَةٍ ومن لألاء
كلُّ مَا في الوجودِ للمرءِ عَبدٌ وهُوَ عَبدُ الشَّهواتِ والأهواء
كائِنٌ كلُّ كائِنٍ حار فيـهِ فهوَ حُلوٌ مُرٌّ ودانٍ ناء
وهُوَ طوراً يكونُ نصفَ إِلَهٍ وهُوَ طوراً أدنى مِنَ العَجماء
عَجَباً كيفَ طَاعَهُ الطِّينُ وَالمَا ءُ ومَا كانَ غيرَ طِينٍ ومَاء ؟
سَادَ في الكَونِ مثلَمَا سَادَ فيهِ خالِقُ الكونِ مُبدِعُ الأَشيَاء
فهوَ في الماءِ سَابِحٌ وَعَلَى الغَبـراءِ مَاشٍ وَطَائِرٌ في الفَضَاء
تَخِذَ الجَوَّ مَلعَباً ثمَّ أمسَى راكِضاً في الهوَاءِ ركضَ الهواء
فهوَفوقَ السَّحَابِ يَحكيهِ في مَـرَاهُ لكِنَّهُ أخو خُيَلاء

وهوَ بينَ الطُّيورِ تحسَبُهُ العَنقـ ـاءُ لولا اْستِحالةُ العَنقاءِ

أبصرَتْهُ فاكبرَتْ أنْ ترى في الـ ـجوِّ صيَّادَها على الغبراءِ

فاستوى في قلوبِها الذُّعرُ حتى كادَ يَحكي البَلاءَ خوفُ البَلاءِ

وتناجتْ تبغي النَّجاةَ فِراراً أينَ أينَ المفرُّ مِنْ ذا القضاءِ

وَيحَ هذي الطُّيورِ تجنى على المَوْ تى وترجو سلماً مِن الأحياءِ

إهبطي أو فحلِّقي أو فسيري إنّما المُنتهى إلى الأرزاءِ!

● ● ●

وهوَ بينَ النُّجومِ يسترقُ السَّمـ ـعَ ولا يتَّقي رُجومَ السَّماءِ

مشهدٌ روَّعَ الدَّراري فباتتْ حائراتٍ في القُبَّةِ الزَّرقاءِ

نافراتٍ كأنَّها ظَبَياتٌ رأتِ القانصينَ في البيداءِ

سائلاتٍ إذا رسولُ سَلامٍ مِن بني الأرضِ أم نَذيرُ فَناءِ؟

هالَها أنْ ترى مِن الإنسِ قوماً يتهادَوْنَ مِثلَها في الفضاءِ

فرأيتَ الجوزاءَ تشكو الثُّريَّا والثُّريَّا تشكو إلى الجوزاءِ

لا تُراعي ياشُهبُ مِنَّا فإنَّا ما حمَلنا إليكِ غيرَ الولاءِ

قد كرِهنا المقامَ في الأرضِ لمّا قيلَ إنَّ السَّما مَقرُّ الهَناءِ

إنّما شوقُنا إليكِ الذي أسـ ـرى بنَا لا الهيامُ في الإسراءِ

فصِلينا نزددْ غراماً ووَجداً غيرُ مُستحسَنٍ كثيرُ الإباءِ

نحنُ يا شُهبُ في حمَى الضيوف وَجَميلٌ رعَايَــةُ الغُرَباء

أَكرِمي ذلِكَ المخلَّقَ فوقَ السُّحـب يُثني عَلَيـكِ خيرَ ثنـاء

وأَنيري طريقَهُ إن دَجا اللَّيـــلُ وَدبَّتْ عَقـاربُ الظَّلماء

صاغَكِ اللهُ شُعلةً من ضياء وبَرا المرءَ شُعلَةً مِنْ ذكاء

تخذيه أخاً يكنْ لكِ عوناً كلُّ نفسٍ محتاجَةٌ للإخاء

لا تُفاخرْ بالوَاخداتِ وَلا بالخـيلِ من أدهمٍ ومن شهباء

هانَ عصرُ النِّياقِ وَالوَاكبيها عندَ عصرِ البُخار والكَهرباء!

❖
❖ ❖

أهلها عرب

أَقاحٌ ذَاكَ أم شَنبُ … وريقٌ ذاكَ أم ضَرَبُ

ووَجهٌ ذاكَ أمْ قمرٌ … وخَدٌّ ذاكَ أم ذَهبُ

جمالٌ غيرُ مُكتسَبٍ … وبعضُ الحُسنِ يُكتَسَبُ

تَكِلتِ الطَّرفَ ، عاذلتي … أهذا الحُسنُ يُجتَنَبُ ؟

عَددْتِ لها العيوبَ وليـــسَ إلاّ الظَّرفُ والأَدبُ

فتاةٌ بَين مَبسَمِها … وبينَ عُقودِهَا نَسَبُ

لوَاحِظُها نمتها الهِندُ … لكنْ أهلُها عَرَبُ

مُرنّحةٌ إذا خطَرَتْ … رأيتَ الغُصنَ يضطَرِبُ

مَشَتْ ووَنَتْ رَوادِفُها … فكَادَ الخَصْرُ يَنقَضِبُ

يُسَرُّ العَاذلونَ إذا … نأَتْ ويعودُني الوَصَبُ

وَيَصطَخِبُونَ إنْ قَرُبَتْ وَعِندي يَحسُنُ الطَّرَبُ
فأبكي كلَّما ضَحِكوا وأَضحَكُ كُلَّما غَضِبوا !

* *
*

صاحبُ القلم

أشقى البَرِيَّةِ نفساً صاحِبُ الهِمَم
وأتعَسُ الخلقِ حظاً صاحِبُ القَلَمِ

عافَ الزَّمانُ بني الدُّنيا وقيَّدَهُ
والطَّيرُ يُحبَسُ مِنها جَيِّدُ النَّغَمِ

وحكَّمَتْ يدُهُ الأقلامَ في دَمِهِ
فلَمْ تَصُنهُ ولمْ يَعدِلْ إلى حَكَمِ

فيا لَه عاشِقاً طابَ الحِمامُ لهُ
إنَّ المحِبَّ لمجنونٌ فلا تَلُمِ

لِكلِّ ذي هِمَّةٍ في دَهرِهِ أَمَلٌ
وكلُّ ذي أمَلٍ في الدَّهرِ ذو أَلَمِ

وَيلُ اللَّيالي لقدْ قلَّدنَني ذَرِباً
أدنى إلى مُهجَتي من مُهجَةِ الخَصمِ

مـا حدّثتنيَ نفسي أن أُحطِّمَهُ
إلاّ خشيتُ عَلى نَفسي من النَدَمِ

فكُلَّما قلتُ زُهدي طاردٌ كلَفي
رَجعتُ والوَجدُ فيهِ طاردٌ سَأمي

يأبى الشقاء الذي يَدعونَـهُ أدباً
أن يضحكَ الطِرسُ إلاّ إنْ سفكتُ دمي

لَقدْ صَحِبتُ شَبابي واليراعَ مَعاً
أودى شَبابي . . فهل أُبقي عَلى قلَمِ

كأنَّما الشَعراتُ البيضُ طالِعةً
في مَفرِقي، أنجمٌ أشرَقنَ في الظُلَمِ

تَضاحَكَ الشَيبُ في رأسي فعَرَّضَ بي
ذو الشَيبِ عندَ الغَواني موضِعُ التُهَمِ

فكلُّ بَيضاءَ عندَ الغيدِ فاحِمَةٌ
وكلُّ بيضاءَ عِندي ثَغرُ مُبتَسِمِ

قلْ للَّتي ضَحِكتْ من لِمَّتي عَجَباً
هلْ كانَ ثَمَّ شَبابٌ غيرَ مُنصَرِمِ

أصبحتُ أنحلَ مِن طَيفٍ، وأحير من

ضَيفٍ، وأسهَرَ مِنْ راعٍ عَلى غنَمِ

وَلَيلةٍ بِتُّ أجني من كواكبِها

عِقداً كأنّي أنالُ الشُّهبَ مِنْ أَمَمِ

لاذاقَ جَفني الكَرى حتَّى تَنالَ يَدي

مالا يَفوزُ بهِ غيري مِنَ الحُلُمِ

لَيسَ الوُقوفُ عَلى الأَطلالِ مِن خُلُقي

ولا البُكاءُ عَلى ما فاتَ مِنْ شِيَمي

لكنَّ (مصراً)، ومَا نفسي بناسيَةٍ

مليكةَ الشَّرقِ ذاتَ النِّيلِ والهَرَمِ

صَرَفتُ شَطرَ الصِّبا فيها فَما خَشِيتْ

نفسي العِثارَ، ولا نَفسي مِنَ الوَصَمِ

في فِتيَةٍ كالنُّجومِ الزُّهرِ أَوجُهُهُمْ

مافيهمُ غَيرُ مَطبوعٍ على الكَرمِ

لا يقبِضونَ مَعَ اللَّأْوَاءِ أيديَهُمْ

وقلّما جادَ ذو وَفرٍ معَ الأزَمِ

حسبي من الوجد همٌّ ما يخامرني
إلاّ وأشرقني بالبـاردِ الشَبِمِ

في ذمّةِ القربِ مشتاقٌ ينازعُـهُ
شوقٌ إلى مهبطِ الآياتِ والحِكَمِ

ما تغربُ الشمسُ إلاّ أدمعي شفقٌ
تنسى العيونُ لديه حمرةَ العَنَمِ

وما سرتْ نسماتٌ نحوها سَحَراً
إلاّ وددتُ لو انني كنتُ في النَسَمِ

ما حالُ تلكَ المغاني بعدَ عاشقها
فانّني بعـدَها للهمِّ والسَّقَمِ

جادَ الـكِنانَةَ عنّي وابلٌ غدقٌ
وإن يكُ النّيلُ يغنيها عن الدِّيَمِ

الشّرقُ تاجٌ ، ومصرٌ منهُ درّتُهُ
والشّرقُ جيشٌ ، ومصرٌ حاملُ العَلَمِ

هيهاتَ تطرفُ فيها عينُ زائرهـا
بغيرِ ذي أدَبٍ أو غيرِ ذي شَمَمِ

أحنى عَلَى الْحرّ من أمٍّ على وَلدٍ

فالْحرُّ في مِصرَ كالوَرقَاءِ في الْحَرَمِ

ما زلتُ والدَّهرُ تَنبو عن يَدي يَدُهُ

حتَّى نَبتْ ضِلَّةً عن أرضِها قَدمي

أصبحتُ في مَعشَرٍ تقذى العُيونُ بهِمْ

شَرٍّ مِنَ الدَّاءِ في الأحشاءِ والتُّخَمِ

ما عزَّ قدرُ الأديبِ الْحرّ بينَهُمُ

إلاّ كما عزَّ قدرُ الحيّ في الرِّمَمِ

مِنْ كلِّ فَظٍّ يُريكَ القِردَ محتَشِماً

ويَضحَكُ القِردُ مِنهُ غيرَ محتَشِمِ

إذا بَصُرتَ بهِ لا فاتَهُ كدَرٌ

رأيتَ أسمَجَ خَلقِ اللهِ كُلِّهِمِ

مِنَ الأعاربِ لكنْ حينَ أُنشِدُهُ

جواهِرَ الشِّعرِ أُلقاهُ مِنَ العَجَمِ

ما إنْ تُحرِّكُهُ هَمّاً ولا طَرباً

كأنَّما أنا أتلوها عَلَى صَنَمِ

لا عَيبَ في مَنطِقِي لـكِنْ بِهِ صَمَمٌ

إنَّ الصَّوادِحَ خُرسٌ عِندَذي الصَّمَمِ

حَجَبتُ عَنْ كلِّ مَعدومِ النُّهى دُرَري

إني أضِنُّ عَلَى الأنعَامِ بالنِّعَمِ

قَومٌ أرَى الجهلَ فيهمْ لا يَزالُ فَتىً

في عُنفُوانِ الصِّبا والعِلمُ كالهَرِمِ

إلى الله راجعون

بَيني وَبَيـنَ العُيونِ سِرٌّ

اللهَ في السِّرِ والعُيونْ

إذا عَصَتْ فكرتي القوافي أوحَتْ لِنفسي بها الجفونْ

●

هَاتِ اسقِني الخمرَ جَهراً

ولا تُبالِ بِما يكونْ

إنْ كانَ خيرٌ أو كانَ شرٌّ إنّا الى اللهِ راجِعونْ !!

❋ ❋

❋

نزوة ألم

دعي لومي وقاكِ الله مالي
فغيرُ الحرّ أولى بالعتابِ
إلى كم تعجبينَ من انفرادي
وكم ذا تعذُلينَ على اكتئابي
وإنكِ لو خبرتِ الخلقَ خُبْري
زهدتِ الخلقَ زُهدَ أبي تُرابِ
همو إمّا غبيٌّ ليسَ يدري
وذو علمٍ ولوعٌ بالتغابي
لهمْ صُورُ الملائكِ والأناسي
وأخلاقُ الأبالسِ والذئابِ
أعاذلُ، رُبّما مرّتْ برأسي
خطوبٌ لا يمرُّ بها حسابي

أَبتْ نَفسي النُّزولَ إلى الدَّنايا
وَقلبي أنْ يَميلَ إلى التَّصابي

فما دانَيتُ أقداحَ الحُمَيَّا
وَلم أهمِمْ بغانيةٍ كَعابِ

وَما مَنعَ الزَّهادةَ فيَّ أنِّي
حَديدُ ناظري ، غَضُّ إهابي

وَما كانَ الشَّبابُ ليَزدَهيني
لأنّي مَا أمِنتُ عَلى شَبابي

أضِنُّ بهِ عَلى الشَّهواتِ ضَنِّي
عَلى «هِندٍ» بشِعري «والرَّبابِ»

رَبيعُ العُمرِ إنْ يَذهبْ جُزافاً
أكُنْ مِن بَعدهِ صِفرَ الوِطابِ

ذَريني أضطَربْ في الأرض ، إنِّي
رأيتُ السَّيفَ يَصدأُ في القِرابِ

وَما أنا بالغريبِ الدَّارِ وَحدي
فَكُلُّ النَّاسِ عندي في اغترابِ

أفكرُ كيف جئتُ، وكيفَ أمضي
عَلى رغمي، فأعيا بالجوابِ

أتيتُ ولم أكُن أدري مَجيئي
وأذهبُ غيرَ دارٍ بالإيابِ

إذا كانَ المصيرُ إلى التَلاشي
فلِمْ جِئنا وكنَّا في حِجابِ

وإنْ كانَ المصيرُ إلى خُلودٍ
فما مَعنى المنيَّةِ والتَّبابِ

أُمورٌ لا يُحيطُ بهنَّ فِكرٌ
ولو أمسى يُحيطُ بكلِّ بابِ

أرِقتُ لها وأصحابي هجُودٌ
بليلٍ مِثلِ خافيَةِ الغُرابِ

سَجا فازْوَرَّتِ الأقمارُ ذُعراً
كَما رُعتَ الحَمائمَ بالعُقابِ

فبِتُّ أبُثُّها همّي وبَاتَت
مُسَهَّدَةً كأنَّ بِها مُصابي

وألحظُها زهوراً في رياضٍ
وأقرأُها حروفًا في كتابِ

ومـا همّي سوى شعبٍ تعيسٍ
شتيتِ الشملِ جمِّ الاضطرابِ

يحاولُ رزقَهُ في المُدنِ آنـاً
وآنًا في السَّباسبِ والهضابِ

ولو عرفَ السَّحابَ يدُرُّ مالاً
لأصبحَ راكباً متنَ السَّحابِ

رَمتهُ الحادثاتُ بكلِّ سهمٍ
وخدَّشهُ الزَّمانُ بكلِّ نابِ

فراحَ كأنَّما هو شعبُ موسى
غداةَ التيهِ في القفرِ اليبابِ

نأى عن أرضِ مصرَ حذارَ ضيمٍ
ففرَّ من العذابِ إلى العذابِ

● ●

بليّتُنـا صحـافيٌّ مُراءٍ
يُداجينـا ومـاليٌّ مُرابي

وصُحفٍ لستُ أدعوها بصُحْفٍ

فما هيَ بالقُشُورِ ولا اللُّبابِ

أرى أنهارَهَا فأَظُنُّ ماءً

كذاكَ العَينُ تُخدَعُ بالسَّرابِ

فلمْ أعثرْ على لفظٍ سليمٍ

ولَمْ أظفرْ بمعنىً مُستَطَابِ

ولا حُسنٌ هُناكَ ولا رُواءٌ

وأنّى الحُسنُ للطَّلَلِ الخَرابِ

فإنْ تشكو منَ القُرّاءِ عابًا

شكا القُرّاءُ منها ألفَ عابِ

• •

ذوي الأقلامِ إنّا في احتياجٍ

إلى غيرِ الشّتائمِ والسِّبابِ

فهلْ منْ قائدٍ فيكُمْ حكيمٍ

يَسيرُ بنا إلى القصدِ الصَّوابِ

فنظفَرَ بالرَّجاءِ على يديهِ

ويَظفرَ بالأماني والثَّوابِ !

*

الكأسان

كانَ عَلى خِوانِ ربِّ المالِ
كأسانِ: منْ خمرٍ ومن زُلالِ

هاتيكَ في الحمرةِ مثلُ العَندَمِ
وتلكَ في بياضِها كالدِّرهَمِ

فقالَتِ السُّلافَةُ الثرثارهْ
عندي حديثٌ فاسمَعي ياجارهْ

أنا التي تخضعُ لي الرُّؤوسُ
أنا التي يَعبُدُني المجوسُ

كَمْ قائدٍ أضحَكتُ مِنهُ جندَهْ
وسَيِّدٍ حكّمتُ فيهِ عبدَهْ!

ومَلِكٍ أسقطتُ عنهُ التّاجا
وساكنٍ هيَّجتُهُ فهاجا

وزَوجةٍ عَلَّمتُهـا الخِيـانَه

ووالدٍ أنسَيتُـهُ الأَمانَـهْ

وَحدَثٍ خَدَعتُـهُ فانخَـدَعـا

حتّى إذا ماشَبَّ عَضَّ الإصبَعا

إنَّ الغِنَى والصِّيتَ والذَّكاء

مَتي أُرد صَيَّرتُهـا هَبـاء

تَسمعَ الماءُ فهَـاجَ غَضَبـا

وَقالَ: مَهلًا، بَلَغَ السَّيلُ الزُّبَى(١)

إنْ تَفخَري، يا جارَتي، بالشَّرِّ

فإنَّ بالفعـلِ الجميلِ فخري

أَنا الذي تُغسلُ بي الكُـلومُ

ويرتَوي الظَّـامِئُ والمَحمُومُ

يُحِبُّني المـالِـكُ والمَملوكُ

والسَّيدُ المُطـاعُ والصُّعلوكُ

حيثُ أكونُ جارِياً يكونُ

الوَردُ والأَقَـاحُ والنِّسرينُ

---

(١) يقال: بلغ السيل الزبى: أي اشتد الأمر.

إنَّ المروجَ الخضرَ لا يُحييهـا
غير وُجودي حولَهـا وفيهـا
كَمْ سرتُ في الوادي وفي الغدير
عَلى شبيهِ الدُّرِّ والكافور
وَجلَسَ العُشَّاقُ حولي في السَّحَرْ
عَلى بساطِ العُشبِ في ضوءِ القَمَرْ
كَم اشتهوا ، إذ سَمِعوا خريري ،
لو أنني أسيرُ في الصُّدور
أنا الذي لولاهُ مـاتَ النَّاسُ
والطَّيرُ والأسماكُ والأغراسُ
يا خمرُ كَمْ ذا تَدَّعينَ الفَضلَا
وبالمِيـاهِ تُقتَلـينَ قَتلَا
وَأُمّكِ الكَرْمَـةُ يا صهبَاءُ
مَا وُجِدَتْ في الأرض لَولا الماءُ!

●●●● ●●●●

أقوى من الشيب والهرم

مَـا زِلتُ أحسبُ أنَّ الحبَّ زايَلَني
حتّى نَظَرتُ إليهـا وهْيَ تَبتَسِمُ

فَاهْتَزَّ قلبي كَـما تَهتَزُّ نـابتَةٌ
في القَفرِ مَرَّ عليهـا النُورُ والنَّسَمُ

يا حُبَّها لا تخَـف شَيبـاً وَلا هَرَماً
فلَيسَ يَقوى عَلَيـكَ الشيبُ والهَرَمُ

لأرفعن للسّما احتجاجي

جاءَ الشّتاءُ جيئةَ المُفاجي

كأنّما قد كانَ في الرتاجِ

فجمدَ السائلُ في الزّجاجِ

واكتَسَت الأرضُ بمثلِ العاجِ

فامتنعَ المرعى على النعاجِ

وامتنعَ الحَبُّ على الدّجاجِ

وامتنعَ السّيرُ على النّواجي

رُبَّ جوادٍ لاحقٍ هملاجِ

مُعوَّدِ الإلجامِ والإسراجِ

والوَخدِ والذّميلِ والإهمَاجِ (١)

أصبحَ مثلَ العِرقِ في اختلاجِ

مُنعرِجاً في غيرِ ذي انعراجِ

(١) الوخد والذميل والاهماج : ضروب من عدو الابل .

لو هاجهُ الرَّاكبُ بالكُرباج

لما مشى بهِ سوى اعوجاجِ

لولا الجليدُ طارَ بالمهتاج

مِثلَ البُراقِ بِفتى المِعراجِ

وحطَّهُ والشمس في الأبراجِ

لكنَّهُ مِنهُ على ازْدِجاجِ

● ●

وأمسكَ النَّاسُ عن اللَّجاج

أَمَا ترى نداءَهُمْ تَنَاجِي

كأنما الجموعُ في الملاجي

على « مِنى » مواكبُ الحجَّاج

ورَغِبَ الثري عَن الدِّيباجِ

إلى اللِّباسِ الخشِنِ النِّساجِ

وكان أنْ جيءَ لهُ بالتَّاجِ

أعرَضَ عنهُ وارمَ الأوداجِ

● ●

وانقبَضَ النَّهرُ عنِ الهِياجِ

وكانَ مِثْلَ الزَّاخِرِ العجَّاجِ

يُصارِعُ الأمواجَ بالأمواجِ
يا مَسبَحَ الإوَزِّ والدُّرّاجِ
كيفَ غدوتَ مَوطِىءَ الأحداجِ
ومَعبرَ الخَلقِ إلى الخَراجِ

• •

ماليَ والصُّبحُ عَلى انبلاجِ
أخبِطُ كالعَشواءَ في الدَّياجي
إذا أردتُ السَّيرَ في مِنهاجي
طالَ عِثاري فيه وانزِلاجي
كأنني أمشي عَلى زجاجِ
محتَذِياً بالزِّئبقِ الرَّجراجِ
خُيِّلَ لي ، لِشِدَّةِ ارتِجاجي
أنَّ دَمي يرتَجُّ في أوشاجي
أرى الدُّنى ضَيِّقةَ الفِجاجِ
ولم تَضِقْ ، لكِنَّما احتياجي
إلى طريقٍ واضِحِ الشِّجاجِ
أسلُكُ فيهِ غيرَ ما انزِعاجِ

وَحاجتي بالكوكبِ الوَهَّاجِ

كَحَاجةِ الأعمى الى سراجِ !

إنْ لَجَّ هذا القرُّ في إحراجي

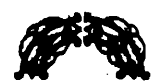
لأرْفَعَنْ للسّما احتِجَاجي !



أنتم معي

في المنزلِ المهجورِ أذكرُكُم
فأخالُني في جنةِ الخلدِ

أنتم معي في كلّ آونةٍ
والناسُ تحسبُ أنني وحدي !



الحرب العظمى[1]

لو أستطيعُ كتبتُ بالنيرانِ
فلقد عييتُ ببكمِ وعيَّ بياني

ولكدتُ أستحيي القريضَ وأتقي
أنْ يستريبَ يراعتي وجناني

أمسى يعاصيني لما جشّمتُهُ
فيكمْ وكنتُ وكان طوعَ بناني

يشكو إليَّ وأشتكي إعراضَكمْ
اللهَ في عانٍ يلوذُ بعانِ

عاهدتُهُ أنْ لا أُثيرَ شجونَهُ
أو يستثيرَ كوامنَ الأشجانِ

ياطالما استبكيتُهُ فبكى لكمْ
لولا الرجاءُ بكيتُهُ وبكاني

كَمْ ليلةٍ أحييْتُهـا مُتَمَلمِلاً

طرفي وَطَرْفُ النَّجمِ مُلتَقِيانِ

تَحنُو عَلى قَلْبي يميني والدُّجى

حانٍ عَلى الفَتَياتِ والفِتيانِ

أجلو عَرانِسهُ لَكُمْ وأَزُفُّها

مَا بَينَ بِكرٍ كاعِبٍ وَعَوانِ

مُتَألمًا فيكُمْ وَفي أبنائِكُمْ

وَهُمُ وأنتُم نازِحو الأحزان

مَا غَالَ نَومي حبُّ مَعسولِ اللَّمَى

ممنوعِهِ ، لكنْ هَوى الأوطانِ

أنفقْتُ أيَّامَ الشَّبابِ عَلَيكُمُ

في ذِمَّةِ الماضي الشَّبابُ الفاني

● ●

كَمْ تَسأَلوني أنْ أُعيدَ زَمانَه

ياقَومُ ، مَرَّ زَمـانُهُ وزَماني

هَانَ اليَراعُ عَلى البَواتِرِ والقَنَا

مَا تَصنَعُ الأقلامُ بالمُرَّانِ

لَيس الــكَلَامُ بنافعٍ أو تَفتَدي

حُمرُ المَضَاربِ خَلفَ كُلِّ لِسانِ

وَالشَعبُ لَيسَ بِمدرِكٍ آمالَهُ

حَتَّى يسيرَ عَلَى النَجيعِ القَاني!..

● ●

صَلَّ(١) الحديدُ وَشَمَّرت عَن ساقِها

وَتَنَكَّرَ الإِخوانُ للإِخوانِ

فَالخَيــلُ غَاضِبَةٌ عَلى أرسَانِهــا

والبيضُ غَاضِبَةٌ عَلى الأَجفَــانِ

والموتُ مِنْ قُدّامِهِمْ وَوَرائِهِمْ

والهولُ كُلَّ ثَنِيَّةٍ وَمَكَانِ

بَسَطَت جَنَاحَيها وَمَدَّتْ ظِلَّهَا

فإذا جَنَاحَا السِّلمِ مَقصوصَــانِ

تَغشَى مَواكِبُها ثَلاثَ غَيَاهِبٍ

مِنْ قَسطَلٍ وَدُجُنَّــةٍ وَدُخَانِ

ويَرُدُّ عَنها كُلَّ خائِضٍ لُجَّــةٍ

سَيلَانِ: مِنْ مَاءٍ وَمِنْ نيرانِ

---

(١) صل: كصلصل: صوت.

أنى التفتَّ رأيتَ رأساً طائراً

أو مُهجَةً مطعونَةً بسِنانِ

يمشي الرَّدَى في إثرِ كلِّ قذيفةٍ

فكأنّما تقتادُهُ بعِنانِ

فالجوُّ مِمّا فاضَ مِن أرواحِهِم

لا تَستَبِينُ نُجومَهُ عينانِ

والنَّهرُ مِمّا سالَ مِن مُهجاتِهِمْ

يجري على أرضٍ مِنَ المرجانِ

والأرضُ حمراءُ الأديمِ كأنّها

خدُّ الحَيِيَّةِ أو خضيبُ بنانِ

كم مِن مُبيحٍ للضُّيوفِ طعامَهُ

أمسى طعامَ الأجدَلِ الغَرثانِ

ومُقاتِلٍ ناشَ الكتيبَةَ، ناشَهُ

ظُفرُ العُقابِ ومِخلَبُ السَّرحانِ

ومُعلَّقٍ بينَ المجرَّةِ والسُّها

صعدَ الحِمامُ إليهِ في الطَّيرانِ

وَمُشَيَّدٍ وَقَفَ الزَّمانُ حيَالَهُ
مُتَحَيِّراً بِجَمالِهِ الفَتَّانِ

أَخنَى عَلى ذِكرِ «الخَوَرنَق» ذِكرُهُ
وَسَما عَلَى «الحمراءِ» وَ «الإِيوَانِ»

وَقضَى العُصورَ النّاسُ في تَشيِيدِهِ
أَودَتْ بِهِ مَقذُوفَةٌ وَثوانِ

وَمَدينَةٍ زَهراءَ آمِنَةِ الحِمَى
هُدِمَتْ مَنازِلُها عَلى السُّكّانِ

خَرِسَتْ بَلَابِلُها الشَّوادِي في الضُّحَى
وَعَلا صِيَاحُ البُومِ والغِربَانِ

وَتَعطَّلَتْ جَنَّاتُها وَقُصُورُهَا
وَلَقَدْ تَكونُ بِغِبطَةٍ وَأَمَانِ

حَربٌ أَذَلَّ بِها التَّمَدُّنَ أَهلُهُ
وَجَنَى الشُّيُوخُ بهَا عَلَى الشُّبَّانِ

سَحَقَ القَوِيُّ بِها الضَّعيفَ وَدَاسَهُ
وَمَشَى عَلَى أَرضٍ مِنَ الأَبدَانِ

بئسَ الوَغى يجني الجُنودُ حُتوفَهُم

في سَاحِهـا وَالفَخرُ للتيجـانِ

مَا أقبحَ الإنسانَ يَقتُـلُ جارَهُ

وَيَقولُ هَـذي سُنَّةُ العمرانِ

بَلِيَ الزَّمانُ وأنتَ مثلكَ قبله

يا شِرْعَةً قَـد سَنَّهـا الجدْانِ

فالقَاتِلُ الآلافِ فَازٍ فَـاتِحٌ

وَالقَاتِلُ الجـاني أثِيمٌ جَانْ

لاحقَّ إلاَّ مَـا تُؤَيِّدُهُ الظُّبى

مَادامَ حُبُّ الظُّلمِ في الإنسان

لَو خُيِّرَ الضُّعفَاءُ لاختاروا الرَّدى

لَـكِنْ عَيشَ الأَكثَرينَ أمَاني

● ●

مَا بَالُ قَومي نَائمِينَ عَنِ العُـلَى

وَلَقَـد تَنَبَّـهَ للعُلى الثَّقَـلانِ

تُبَّاعُ أحمدَ وَالمَسيحَ ، هَوادَةً

مَا العَهدُ أنْ يَتَنَـكَّرَ الأَخوانِ

اللهُ ربُّ الشِرعَتينِ وَرَبُّكُمْ

فإلى متى في الدِّينِ تختصِمانِ

مَهما يَكُنْ مِن فارقٍ فكلاكُما

يُنمى إلى قحطانَ أو غسّانِ

فخُذُوا بأسبابِ الوِفاقِ وَطَهِّروا

أكبادَكُم مِن أوثةِ الأضغانِ

في ما يُحيقُ بارضِكُمْ ونُفوسِكُمْ

شُغلٌ لمشتغِلٍ عَنِ الأديانِ

نِمتُم وقد سَهِرَ الأعادي حولَكُم

وسَكَنتُمُ والأرضُ في جَيشانِ

لا رأيَ يجمَعُكم إذا اختلَفَ القَنا

وَتَلاقَتِ الفرسانُ بالفرسانِ

لا رايةٌ لَكمُ يُدافِعُ دونَها

مُرْدُ العَوارضِ ، والحُتوفُ دَواني

لا ذنبَ للأقدارِ في إذلالِكم

هذا جزاءُ الغافِلِ المُتواني

أوَ لَم يَعِزَّ الجهلُ بَينَ رُبوعِكُم
مَا هَانَ جمعُكمُ عَلى الحدَثانِ

المرءُ ، قيمَتُهُ المَعارِفُ والنُّهى
مَا نفعُ باصِرَةٍ بِلا إنسَان

مَا بَالكم لا تَغضَبونَ لِمجدِكُم
غَضَبَاتِ مَلطُومِ الجبينِ مُهَانْ

أوَلَستُمُ كالنَّاسِ أهلَ حفائظٍ
أم أنتُمُ لَستُمْ منَ الحَيوانِ ؟

أبناؤكم ، لهفي عَلى أبنائِكم
يَلهُو بهم أبناءُ جنكيزَ خانِ

النَّازعونَ المُلكَ مِن أيديكمُ
العَابثونَ بِكُمْ وبالقرآنِ

أوَ كُلَّما طَلَعَتْ عَليهمْ أزمَةٌ
هَاجوا ضَغائِنَكُم عَلى الصُّلبَانِ

لا تخدَعَنَّكُمُ السِّياسَةُ إنَّها
شَتَّى الوُجوهِ كثيرةُ الألوانِ

لَو تعقِلونَ عَمِلتُمُ لِخلاصِكُم

مِنْ دَولةِ القَينَاتِ والخِصيانِ

عَارٌ عَلى نَسلِ المُلوكِ بني العُلى

أن يَستَذِلّهمُ بنُو الرُّعيانِ

ثُوروا عَليهمْ وَاطلُبُوا استِقلَالَكمْ

وَتَشَبَّهوا بالصِربِ واليونَانِ

مَاذا يَروعُ نُفُوسَكمْ ، مَا فيكمُ

وُكُلٌ وَلاَ في التُرك غَيرُ جَبَانِ

وَهَبُوهُمُ الرُّومَانَ في غُلوَائِهم

أفَما غلَبتُمْ أُمّةَ الرُّومَانِ

مَا المَوتُ مَا أعيا النُطاسِي رَدّهُ

مَوتُ الذّليلِ وَعَيشُهُ سِيَّانِ

* * *

دموع وتنهدات

أَلا لَيتَ قَلباً بَين جَنبيَّ دَامِيَـا
أَصابَ سُلُوّاً أو أَصابَ الأَمَانيا

أَجِنُّ الأَسى حتى إذا ضَاقَ بالأَسى
تَدفَّقَ من عَيني أحمرَ قَانِيـا

تَهيجُ بِيَ الذِكرَى البُروقُ ضَواحِكاً
وتُغري بِيَ الوَجدَ الطُيورُ شَوَادِيا

فأبكي لِما بي مِن جَوىً وَصَبابَةٍ
وأَبكي إذا أبصرتُ في الأَرضِ باكيا

فَلا تحسَباني أَذرِفُ الدَّمعَ عَادَةً
وَلا تحسَبَاني أُنشِدُ الشِعرَ لاهِيَـا

ولكنَّها نفسِي إذا جَاشَ جَأشُهَـا
وَفَاضَ عَليها الهَمُّ فَاضَت قَوَافِيَا

يَشُقُّ عَلَى الإنسانِ خَدْعُ فُؤادِهِ

وإنْ خادعَ الدُّنيا وَداجى المدَاجيا

طَلَبتُ عَلَى البَلوَى مُعيناً فَفاتَني

يُواسيكَ مَنْ يَحتاجُ فيكَ مُواسِيا

وَمَنْ لمْ تُضَرِّسهُ الخُطُوبُ بِنابِهَا

يَظُنُّ شِكاياتِ النُّفوسِ تَشاكِيَا

رُميتُ مِنَ الدُّنيا بِما لَو قَليلُهُ

رَمَيتُ بهِ الأيَّامَ صارَتْ لَيالِيا

فَلَا يَشتَكِ غَيري البُؤسَ فإنَّني

ضَمِنتُ الرَّزَايا وَاحتَكَرتُ العَوادِيا

تَمرُّ اللَّيالي لَيلَةً إثرَ لَيلَةٍ

وَأحزَانُ قَلبي باقِياتٍ كَما هِيَا

وَلَو أنَّ مَا بي الخَمرُ أوْ باردُ اللَّمى

سَلَوتُ ، وَلكنْ أُمّتي وَبِلَادِيَا

إذَا خَطرَتْ مِن جانبِ الشَّرقِ نَفحَةٌ

طَربتُ فَألقَى مَنكِبايَ رِدَائِيَا

أحِنُّ إلى تلكَ المَغاني وأهلِهـا

وأشتاقُ من يشتاقُ تلكَ المَغانِيـا

وَمَا سَرّني أنَّ المَلاهِيَ كثيرةٌ

وفي الشَّرقِ قومٌ يجهَلونَ المَلاهِيا

إذا مثّلوا والنومُ يأخُذُ مقلَتي

بأهدابِها أمسَيتُ وَسْنانَ صاحِيا

وكيفَ اغتِباطُ المرءِ لا أهلَ حولَهُ

ولا هوَ مَن يستَعذِبُ الصَّفوَ نائيا

● ●

تَبدَّلتِ الدُّنيا مِنَ السِّلمِ بالوَغى

وصارَ بَنوهَا العاقِلُـونَ ضَوارِيا

فما تُنبِتُ الغَبراءُ غيرَ مَصائبٍ

وما تُمطِرُ الأفلاكُ إلاّ دَواهِيـا

ومَاكرِ حتّى اللّيلُ زُهرَ نجومِهِ

ومَاءِ الخِضَمِّ المُنشآتِ الجَوارِيا

وبَاتَ سَبيلٌ كانَ يسري بهِ الفتى

بلا حارسٍ، يَمشي بهِ الجيشُ خاشِيا

تَقَطَّعَتِ الأَسبَابُ بَيني وَبَينَهُم
فَلَيسَ لَهُم نَحوِي وُصولٌ وَلا لِيَا

وَكَانَ لَنَا في الكُتبِ عَونٌ عَلَى الأَسى
وَفي (البَرقِ) مَا يُدني المَدَى المُترَامِيَا

فَلَم تَأمَنِ الأَسرارُ في (السِّلكِ) سَارِقاً
وَلَم تَأمَنِ الأَخبَارُ في الطِّرسِ مَاحِيَا

إِذا قيلَ هَــذا مُخبِرٌ مِلتُ نَحوَهُ
بِسَمعي وَلَو كَانَ المُحدِّثُ وَاشِيَــا

وَتَعلَمُ نَفسي أَنَّــهُ غَيرُ عَالِمٍ
وَلَـكِنَّني أَستَدفِعُ اليَأسَ رَاجِيَــا

سَرَى الشَّكُّ حَتَّى مَا نُصَدِّقُ رَاوِياً
وَطَالَ فَبِتْنَا مَــا نُكَذِّبُ رَاوِيَا

أُقَضِّي نَهَاري طَائِرَ النَّفسِ حَائِراً
وَأَقطَعُ لَيلي كَاسِفَ البَالِ سَاهِيَا

فَمَا هُم بِأَموَاتٍ فَنَبكي عَلَيهِمُ
وَلا هُم بِأَحيَاءٍ فَنَرجُو التَّلاقِيَا

• •

كأنّي بهم قد أخرجوا من بُيُوتهم
حُفَـاةً عُراةً جائعينَ صَوادِيا

كأنّيَ بالغوغاء ثارتْ عليهمُ
وَبالجندِ تُعطي الثّائرين المواضيَـا

كأنّي بهمْ قدْ أعمِلُ السّيفُ فيهمُ
كأنَّ الدّمَ القاني يَسيلُ سَواقِيا

كأنّيَ بالدُّورِ الحِسَـانِ خرائبٌ
كأنّيَ بالجَنّاتِ صارتْ فيافِيَـا

مشاهِدُ لاحتْ لي فَهزّتْ فرائصي
كما ذُعِرَ الملسُوعُ راءٍ الأفاعِيا

فبتُّ كأنّ السّهمَ بينَ أضالِعي
كأنّي أُقِلُّ الشّاهقاتِ الرّواسِيا

ولو أجنبيٌّ لاتّقينا سِهامَهُ
ولكنّما الإخوانُ صاروا أعادِيَا

أطاعوا طُغاةَ التُّركِ فينا وطالمـا
عصَا فيهم التُّركي وَفينا النّواهِيا

وَكَم رَاغَ مَا بَيْنَ المسيحِ وأحمدٍ

وَحارَبَ« باسُّوري »أخاهُ «اليمَانِيا »

فإنْ يَنسَ « حَوْرانٌ » فَتَاهُ وَجارهُ

فإنَّ رُبَى حَوْرَانَ لم تَنسَ (سَاميا)

ألاَ لَيتَ مَن بَاعُوا عَلَى الغَبْنِ ودَّنا

مِنَ التُّرْكِ بَاعُوا ذلِكَ الودَّ غَالِيا

وَيا لَيتَ مَن بَاعَ البِلَادَ وأَهلَهَا

« بفلكين »لم يَختَرْ لها البُؤسَ شَارِيا

• •

فَيا أُمّةٌ قد طَـالَ عَهدُ سُبَاتِها

مَتى يَـكشفُ الإِصبَاحُ عَنكِ الدَّياجِيا

إلى كَم تَوَدّينَ البَقَاءَ لِمعشرٍ

بَقَاؤُهُمُ يُدني إلَيكِ التَّلَاشِيا

ثَلاثَــةُ أجيــالٍ تَقَضَّتْ وَأنتُمُ

تُسَامونَ منهم مَا تُسَامُ المَوَاشِيا

أمَا آنَ أن يَسترجِعَ التَّاجَ أهلُهُ

وَيستَرجِعَ التّاجُ المَهَابَةَ ثانيــا

مَتى كَانَ (جنكيزُ) «لقحطانَ» سَيِّداً
فَيُمسي بَنُو هَذَا لِذَاكَ مَوَاليا ؟ .

• •

وَيا عُقَلاءَ العُربِ هَذا زَمانُكُمْ
فَكونُوا لِمَنْ ضَلَّ المَحَجَّةَ، هَادِيا

إذَا عَذَرَ الأَعمَى الوَرَى في ضَلَالِهِ
فَلَا يَعذرُونَ النَّاظِرَ المُتَعَامِيا

أَرَى ظُلُمَاتٍ مُطبِقَاتٍ حَوَالِكاً
فإنْ تَطلُعُوا فيهَا رَأيتَ الدَّرَارِيا

غَدا يَنشُرُ التَّاريخُ عَنكم حَديثَهُ
وَيَتلُو الذي يَتلُوهُ مَا كانَ خَافِيا

فإنْ شِئتُمُ أَمسَى عَلَيكُمْ مَحَامِداً
وإن شِئتمُ أَمسَى عَليكُمْ مَسَاوِيا

• •

وَيا أَيُّهَا الجَالونَ إنَّ بِلَادَكُمْ
تُنَادِيكُمُ لَو تَسمَعونَ مُنَادِيَا

لَقَد عقَدَتْ فيهَا الخُطُوبُ مَجَاجَةً
وَسَاقَ عَلَيهَا جَيشَهُ الجوعُ غَازِيا

وَباتَ ذَوُوكُم يَجهَلُونَ مَصيرَهُمْ
كَأَنهُمُ مَاء أَضاعَ المَجارِيا

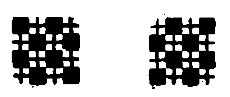
مِنَ العَارِ أن يَغشى الرُّقَادُ جُفُونَكم
عَلَى حينَ يَغشى الدَّمعُ تِلكَ المآقِيا

مِنَ العَارِ أن يَكسو الحَريرُ جُسُومَكُمْ
وَلَم تُبقِ منهُمْ شِدَّةُ الضَّنكِ كاسِيا

مِنَ العَارِ أن يَبقَى عَلَيكمْ جُمودُكُم
وَقد بلَغَتْ تِلكَ النُّفوسُ التراقِيا

إذا المَالُ لَمْ يُنفِقهُ في الخَيرِ رَبُّهُ
رَآهُ عَليهِ العَالمونَ مَخَازِيا

إذا المَرء لَمْ يَسعَ لِخَيرِ بِلَادِهِ
يَكُنْ كالَّذي في ضَرِّها بَاتَ سَاعِيا



أختُ البلابلِ

يَا لَوعَةً حارَ النُّطاسِي فيكِ

كَمْ يَشتَكي غيري وَكَم أُخفيكِ

إنْ بُحتُ بالشَكوَى فغَايَةُ مُجهَدٍ

لَم تُبقِي لي كَبداً فأَستَبقيكِ

أَجِنايَةَ الطَّرفِ الكَحيلِ عَلى الحَشَا

اللهُ حَسْبي في الدَّمِ المَسفوكِ

مَا في الشَّرائعِ لاَ ولاَ في أَهلِهَا

مَن يَستَحِلُّ الأَخذَ مِن جانيكِ

يَا هَذهِ كَم تَشحَذينَ غِرارَهُ

أَوَ مَا خَشيتِ حَدَّهُ يُؤذيكِ

يَا أُختَ ظَبيِ القَاعِ لَو أَعطيتِهِ

لحظَيكِ صادَ الصَّائديهِ أَخوكِ

رُوحي فِدى عَينَيكِ مَهمَا جارتَا
في مُهجَتي وأَبي فِـداءُ أبيكِ
رَمتَـا فَـكُلُّ مُصَمِّمٍ وَمُقَوِّمٍ
نَابٍ وَكُـلُّ مُسَرَّدٍ وَحَبيكِ
اللهَ في قَتلي جُفُونـكِ إنَّهُمْ
ظَلَمُوا نُفُوسَهُمُ وَمَا ظَلَمُوكِ
إنْ تُبصِريني أتّقي فَتـكَاتِهَـا
فَلَقَدْ أَصُولُ عَلى القَنَـا المَشبُوكِ
كَمْ تجحَدينَ دَمي وَقَدْ أبصَرتِهِ
وَرْداً عَلى خَدَّيكِ غيرَ مَشُوكِ
رُدِّي حَياتي إنّهَـا في نَظرَةٍ
أو زَورَةٍ أو رَشْفَةٍ مِن فِيـكِ
لَو تَنظُرينَ إلى قَتيلِكِ في الدُّجى
يَرعى كَوَاكِبَهُ وَيَسترعيـكِ
وَاللّيلُ مِن هَمِّ الصّبَاحِ وَضَوئِـهِ
حَيرَانُ حَيرَةَ عَاشِقٍ مَهتُـوكِ

أَعجِبْتِ مِن زورِ الوُشاةِ وإفكِهِمْ
وَمِنَ الذي قَاسَيْتُ في حُبِّيكِ

حولي إذا أرخى الظَّلامُ سُجُوفَهُ
لَيْلانِ : لَيلُ دُجى وَلَيلُ شُكُوكِ

تمتدُّ فيهِ بيَ الكآبةُ والأسى
مِثلَ امتِدَادِ العَرفِ بالتَّحريكِ

مالي إذا شِئتُ السُّلُوَّ عَنِ الهوَى
وَقَدرتُ أنْ أسلُوكِ لا أسلُوكِ

فكِّي إسَاري إنَّ خلفي أُمَّـةً
مَضنُوكةً في عَالَمٍ مَضنُوكِ

وَأحِبَّـةً سَدَّ القُنُوطُ عَليهِمُ
وَالخَوفُ كلَّ مُعبَّدٍ مَسلُوكِ

لا تَسألِيني كَيفَ أَصبَحَ حَالُهُمْ
إنِّي أخافُ حَدِيثَهُم يُشجِيكِ

باتوا بِرَغمِهِم كَما شاءَ العِـدَى
لا حُزنُهُمْ وَاهٍ وَلا بِرَكيكِ

لايملكون سوى التحسّر إنّه
جهدُ الضعيفِ الواجدِ المفلوكِ
تترقرقُ العَبراتُ فوقَ خدودِهم
يا مَنْ رأى دُرّاً بغيرِ سُلوكِ
أخذَ العزيزَ الذلُّ مِنْ أطواقِه
والجوعُ يأخذُ مهجةَ الصعلوكِ
قلْ للمُبذِّرِ في الملاهي مالَهُ
ماذا تركتَ لذي الأسى المتروكِ
أيبيتُ يشربُ مِنْ مَعينِ دموعِه
وتبيتُ تحسوها كعينِ الديكِ؟
ويروحُ في أطمارِهِ وتميسُ في
ثوبٍ لأيامِ الهناءِ محوكِ
إنْ كنتَ تأبى أنْ تشارِكَهُ سوى
نُعمى الحياةِ فأنتَ غيرُ شريكِ
ياضرّةَ البلجيكِ في أحزانِها
تبكيكِ حتّى أمّةُ البلجيكِ

حمِلتُ ما يعيي الشّواهِقَ حملُهُ

يا ليتَ ما حُملتِ في شانيكِ

مَلَّ البُغاةُ عليكِ حمرَ سيوفِهم

لا أنتِ جانيةٌ ولا أهلوكِ

جنَّ القضاءُ فقالَ حسنكِ قبحُهُ

وأذلَّ أبناءِ الطّغامِ بنيكِ

لا أشتكي الدُّنيا ولا أحداثَها

هذي مشيئةُ ذي المشيئةِ فيكِ

أو أملكُ الأقدارَ أو تصريفَها

لأمرْتُها فجرَتْ بما يُرضيكِ

ولو انَّها تدري وتعقلُ لانثنَتْ

ترمي بأسهُمِها الّذي يرميكِ

إنْ يفتديكِ أخو الغِنى بنُضارِهِ

فبدرهَمي وبمهجتي أفديكِ

ومنازِلُ البؤساءِ أوْلى بالنّدى

ولأنتِ أولاها بمالِ ذويكِ

● ●

يَاأُمَّةً في الغَربِ يَنعَمُ شَطرُهَا

رِفقاً بشَطرٍ بائسٍ مَنهُوكِ

جَادَتْ عَليكمْ، قبلَمَا كُنتُم، بكمْ

جُودُوا ببَعضِ العَسْجَدِ المسبوكِ !!!



بين الضحك واللعب

أعطَيْتُ مَن أعشقُها وَردَةً
مِن بَعدِ أنْ أوْدَعْتُهَا قلبي
فَجعلَتْ تنثُرُ أوراقَهَا
بأنْمُلٍ كالعَنَمِ الرَّطبِ
لا تَسألوا العَاشِقَ عَنْ قلبِهِ
قَدْ ضَاعَ بينَ الضِحكِ واللعِبِ

●

لَمْ أقطِفِ الوَردَةَ مِن غُصنِها
لَو لَم تَكنْ كالخَدِّ في الإتِقَادْ
وَلَمْ تُمزِّقْ هِندُ أوراقَهَا
لَولا اشْتِباهٌ بَينَهَا وَالفؤاد ! ..

❊ ❊

أُمّةٌ تفنى وأنتم تلعبون

أَعلى عيني مِنَ الدمع غِشاءْ
أمْ على الشمسِ حجابٌ مِن غمامْ
غاضَ نورُ الطَّرفِ أم غارتْ ذُكاءْ
لستُ أدري غيرَ أني في ظلامْ

● ●

ما لنفسي لا تُبالي الطَّرَبا | أينَ ذاكَ الزَّهوُ ، أينَ الكلَفُ؟
عجباً ماذا دهاها عجَبا | فهي لا تشكو ولا تستعطِفُ
ليتَها ما عرفتْ ذاكَ النَّبا | فالسَّعيدُ العيشِ مَنْ لا يعرِفُ

لا ابتِسامُ الغيدِ ، لا رقصُ الطِّلاءْ
يتَصبّاها ولا شدوُ الحمامْ
بالكرى عني وبي عنهُ جفاءْ
أنا وحدي .. أم كذا كلُّ الأنامْ؟

● ●

لا أرَى لي مِن هُمُومي مَهرَبَا فَهيَ في هَذا وَذَيَّاكَ الطَّرِيقْ

في الرُّبَى فَوقَ الرُّبَى تحتَ الرُّبَى في الفَضَاءِ الرَّحبِ، في الرَّوضِ الأنيقْ

في اهتِزَازِ الغُصنِ في نَفحِ الصَّبَا في انسِجَامِ الغَيثِ في لمحِ البُروقْ

كُلَّما أومَضَ بَرقٌ أو أضَاءْ
بِتُّ أشكُو في الدُّجى وَقْعَ السِّهَامْ
في ابتِسَامِ الفَجرِ لِلمَرضَى شِفَاءْ
وَابتِسَامُ الفَجرِ فيهِ لي سَقَامْ

• •

تَعتَرِيني هِزَّةٌ كالكَهرُبَا كُلَّما حَنَّ مَشُوقٌ لِمَشُوقْ

عَلَّمَتْ عَيني السُّهَادَ الكَوكَبَا وَفُؤادي عَلَّمَ البَرقَ الخُفُوقْ

مَا دَعَوتُ الدَّمعَ إلاَّ انسَكَبَا يا دُمُوعي أنتِ لي أوفَى صَدِيقْ

لَمْ أرَ كاليَأسِ يُغرِي بالبُكاءْ
لا وَلا كالدَّمعِ يَشفِي المُستَهَامْ
فاستَعِينُوا بالبُكا يا تُعَسَاءْ
كُلَّما اشتَدَّتْ بِكُمْ نَارُ الهُيَامْ

• •

خِلتُ قلبي بالأسى منفردَا وأنا وحدي صريعُ المحَنِ
وتوهمتُ الأسى لن يجِدَا سكناً في غيرِ قلبي المثخَنِ
وظننتُ الدهرَ مهما حقدَا سوفَ لا يُفجِعني في وطني

فإذا تلكَ المغاني في شقاء
وإذا كلُّ فؤادٍ في ضِرامْ
ذهبَتْ كلُّ ظنوني في الهواءْ
وتولَّتْ مثلَ أضغاثِ المنامْ

● ●

لا تلمني إنْ أنا لمتُ القضَا ولُمِ الدهرَ الذي أخنَى علَى
لمْ تدَعْ فيَّ الليالي غرَضا والضنى لمْ يُبقِ مني غيرَ فيْ
لا تسلني: أيّ خطبٍ عرَضا في الحشا وجدٌ وفي المقولِ عِيّْ

فلَّ عزمي سالبُ السيفِ المضاءْ
والشذى الزهرةَ والعقدَ النظامْ
وإذا ما غلبَ اليأسُ الرجاءْ
هانتِ الشكوى ولمْ يُجدِ الكلامْ

صِرتُ لكن مِثلَمَا شاءَ الكَمَدْ   شاعِراً مِن مُقلتي أرتجلُ
صدَّ مَا كانَ بنفسِي عَنهُ صدْ   وتجافاني الكلامُ المُرسَلُ
عقَّدَ الحُزنُ لِساني فانعقَدْ   أيُّ سَيفٍ مَا اعتَراهُ الفَلَلُ؟

لي هُمومٌ كُلَّما لاحَ الضِياءْ
ضَربَتْ فوقَ عُيوني بِلِثَامْ
وشُجونٌ كُلَّما جنَّ المَساءْ
قطَعَتْ بَينَ جُفُوني والمَنَامْ

• •

لا أرَى غيرَ خيالاتٍ تسيرْ   مُهطِعَاتٍ عَن يَساري واليمين
فوقَ أرضٍ مِن دِماءٍ وسَعيرْ   في فضاءٍ مِنْ هُمومٍ وشُجونْ
عَجَباً ... أينَ ابتِسَامَاتُ الثُغُورْ   مَالِقَومي كُلُّهُمْ باكٍ حَزينْ

كلُّ مَا أسمعُ نوحٌ وبُكاءْ
كلُّ مَا أبصِرُ « صَرعَى ورِمَامْ »
زُلزِلَتْ زِلزالَهَا هَذي السّماءْ
أمْ تُرى فُضَّتْ عَنِ المَوتَى الرِّجامْ

• •

وَقَعَ الأَمرُ الَّذي لا يُدفَعُ   وَجَنَى الجَاني عَلى تِلكَ الرُّبوعْ
واحتَوَاهَا نَهِمٌ لا يَشبَعُ   فاحتَوَى سُكَّانَهَا خَوفٌ وَجوعْ
فهِيَ إمَّا دِمْنَةٌ أو بَلقَعُ   وَهمُ إمَّا قَتِيلٌ أو صَرِيعْ

إنْ شَكَتْ قَالَتْ عَلَى الدُّنيا العَفَاءْ
أو شَكَوا قَالوا عَلَى النَّاسِ السَّلَامْ

عَبِثَ الإنسَانُ فيهَا وَالقَضَاءْ
آهِ مِن جَورِ اللَّيَالي وَالطَّغَامْ

• •

رُبَّ طِفلٍ طَاهِرٍ مَا أثِمَا   مَاتَ مَوتَ الآثِمِ المُجتَرِمِ
كانَ مِمَّن يُرتَجَى لو سَلِمَا   لِلعُلَى لَكِنَّهُ لم يَسلَمِ
كَوكَبٌ مَا كادَ يَبدُو في السَّمَا   طَالِعاً حَتَّى اختَفَى كالحُلُمِ

غَاضَ مِثلَ المَاءِ في الأرضِ العَرَاءْ
مَا عَهِدْتُ البَدرَ مَثوَاهُ الرُّغَامْ

هكذا أودَتْ بِهِ رِيحُ الشِّتَاءْ
زَهرَةٌ لم تَنفَتِحْ عَنهَا الكِمَامْ

• •

رُبَّ شيخٍ أقعدَتْهُ الحادِثاتْ وَمَشى « الأبيضُ » في لِمَّتِهِ
وَثَنَاهُ الضعفُ عن حَملِ القَنَاةْ وعنِ السّابِقِ في حلبَتِهِ
كانَ مِن قبلِ حلولِ الكارثاتْ آمِنًا كالنّسرِ في وُكْنَتِهِ

لاهِيًا يذكرُ أيّامَ الصِّبَا
ولياليهِ وفي الثّغرِ ابتِسَامْ
حكمَ العاتي عليهِ بالفَنَاءْ
وأبى المَقدورُ إلاّ أن يُضَامْ

● ●

وفتىً كالغُصنِ ريّانٌ نَضيرْ تحلمُ الخُودُ بِهِ إذ تحلَمُ
وتَراهُ للهوَى بَينَ البُدورْ فتراهُ فوقَهُنَّ الأنجمُ
ألمعيُّ الذِّهنِ والقَّابِ الكبيرْ مَلَكٌ في بُردَتَيهِ ضيغَمُ

باتَ لا يَقوى على حَملِ الرداءْ
منكِبَاهُ وهو في العِشرينَ هَام
مابِهِ عجزٌ ولا داءٌ عَيَاءْ
غيرَ أنَّ الجُوعَ قد هدَّ العِظَامْ

● ●

وَصِغَارٍ مِثْلِ أَفْرَاخِ القَطَا يَتَضَاغَونَ مِنَ الجُوعِ الشَّدِيدْ

وَهَنَتْ أَعْصَابُهُمْ لَمَّا سَطَا وَالطَّوَى يُوهِنُ عَزَمَاتِ الأُسُودْ

أَرَأَيْتَ العِقْدَ إِمَّا انْفَرَطَا هَكَذَا دَمْعُهُمُ فَوْقَ الخُدُودْ

زُهِقَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي شَكْلِ مَاءْ

لِلأَسَى ، للهِ مَا أَقْسَى الحِمَامْ

يَا رَعَى اللهُ نُفُوسَ الشُّهَدَاءْ

وَسَقَى أَجْدَاثَهُمْ صَوْبُ الغَمَامْ

● ●

أَيُّهَا الجَالُونَ عَنْ ذَاكَ الحِمَى إِنَّ فِي ذَاكَ الحِمَى مَا تَعْلَمُونْ

ضِيمَ فِي أَحْرَارِهِ وَاهْتُضِمَا وَوَقَفْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ تَنْظُرُونْ

لاَ ؛ وَمَنْ شَاءَ لَنَا أَنْ نَنْعَمَا مَا كَذَا يَجْزِي الأَبُ البَرُّ البَنُونْ

كُلُّكُمْ يَاقَوْمُ فِي البَلْوَى سَوَاءْ

لاَ أَرَى فِي الرُّزْءِ لُبْنَانًا وَشَامْ

فِي رُبَى لُبْنَانَ قَوْمِي الأَصْفِيَاءْ

وَبِأَرْضِ الشَّامِ أَحْبَابِي الكِرَامْ

● ●

اللَّيـالي غادِيَاتٌ رَائِحـهْ بالدَّواهي وَأَرَاكُم تَضحَكون

مَا اتَّعظتُم بالسِّنينَ البَارِحـهْ لاَ وَلا أَنتُم غداً مُتَّعِظُونْ

يَا لَهولِ الخَطْبِ! . . يا للفَادِحَهْ أُمـةٌ تَفنَى وَأَنتُم تَلعَبُونْ

فادفِنُوا أَضغَانَكُم يا زُعَماءْ

يَبعَثُ اللهُ مِنَ القَبرِ الوِئام

وَابسُطُوا أَيدِيَكُمْ يا أَغنِيَاءْ

أَبَعَضُ السُّحبِ إلى الصَّادي الجَهامْ!



في الليل

جلستُ وقد هجع الغافلونْ
أفكرُ في أمسنا والغدِ
وكيف استبدَّ بنا الظالمونْ
وجاروا على الشيخ والأمردِ
فخلت اللواعج بين الجفون ،
وأنَّ جهنم في مرقدي

وضاق الفؤادُ بما يكتم فأرسلت العينُ مدرارها

•

ذكرتُ الحروب وويلاتها
وما صنع السيفُ والمدفعُ
وكيف تجورُ على ذاتها
شعوبٌ لها الرتبةُ الأرفعُ

وتخضِبُ بالدَّمِ راياتِها
وكانتْ تذمُّ الذي تصنَعُ

فباتَت بما شَيَّدَتْ تهدِمُ صُروحَ العُلومِ وأسوارَها

●

نساءٌ تجودُ بأولادِها
علَى الموتَ، والموتُ لا يرْحمُ
وجُندٌ تذودُ بأكبادِها
عنِ الأرضِ،والأرضُ لا تعلَمُ
وتغذُو الطُّيورُ بأجسادِها
فإنْ عطِشَت، فالشرابُ الدَّمُ

وفي كلِّ منزِلةٍ مأتمُ تَشقُّ بهِ الغيدُ أزرارَها

●

لقَد شبِعَ الذِّئبُ والأجدَلُ
وأقفَرتِ الدُّورُ والأرْبُعُ
فكَم يقتُلُ الجحفَلَ الجحفَلُ
ويَفتِكُ بالأروَعِ الأروَعُ

وَلَن يُرجِعَ القتلُ مَن قُتِلوا

ولَن يَستَعيدُوا الَّذي ضُيِّموا

فَبِئسَ الأُلى بالوَغَى عَلَّمُوا وَبِئسَ الأُلَى أَجَّجُوا نارَها

•

أَمِن أَجلِ أَن يَنعَمَ الواحِدُ

تُطَلُّ الدِّماءُ وتَفنَى الأُلوف؟

ويَزرَعُ أَولادَهُ الوالِدُ

لِتَحصِدَهُم شَفَراتُ السُّيوف؟

أُمورٌ يَحارُ بها النَّاقِدُ

وتُدمي فُؤادَ اللَّبيبِ الحَصيف

فَيالَيتَ شِعرِيَ، مَتى نَفهمُ مَعَاني الحَياةِ وأَسرارَهَا؟

•

وَحوَّلتُ طَرْفي إلى المَشرِقِ

فَلَم أَرَ غَيرَ جِبَالِ الغُيُومْ

تَحومُ عَلَى بَدرِهِ المُشرِقِ

كَما اجتَمَعَتْ حولَ نَفسِي الغُمُومْ

فَأَسْنَدْتُ رَأْسي إلى مِرفَقِي
وَقُلتُ وَقَـد غَلَبَتْني الهُمُوم

يرَبِّـك ، أيَّتُها الأنجمُ ، مَتى تَضَعُ الحَربُ أوزارَها ؟

•

كَمَا يُقتَـلُ الطَّيرُ في الجَنَّةِ
ويُقتَنَصُ الظَّبيُ في السَّبسَبِ
كَذَلِكَ يُجنَى عَلى أُمَّتِي
بِـلا سَبَبٍ وَبِـلا مُوجِبِ
فَحَتَّـامَ تُؤخَـذُ بالقُوَّةِ
وَيُقتَصُّ مِنها وَلَمْ تُذنِبِ ؟

وكَمْ تَستَكِينُ وتَستَسلِمُ ، وَقَد بَلَغَ السَّيلُ زُبَارَهَا ؟

•

وَسِيقَتْ إلى القِطعِ سَوقَ النَّعَمْ
مَغَاوِيرُهَا ورِجالُ الأدَبْ
وكُلُّ امرِئٍ لَم يَمُتْ بالجُذَامْ
فَقَـد قَتَلُوهُ بِسَيفِ الشَّغَبْ

فما حرّكَ الضَّيْمُ فيهَا الشَّمَمْ
وَلا رُؤْيَةُ الدَّمِ فيهَا الغَضَبْ

تَبَدَّلَتِ النَّاسُ وَالأَنجمُ وَلما تُبَدِّل أَطوارَهَـا

•

أَرَى اللَّيثَ يَدفَعُ عَن غَيضَتِهْ
بِأَنيَابِـهِ وبِـأَظفَارِهِ
وَيَجتَمِعُ النَّملُ في قَريَتِهْ
إِذا خَشِيَ الغَدرَ مِن جَارِهِ
وَيَخشَى الهَزَارُ عَلَى وُكنَتِهْ
فيدفَـعُ عَنهـا بِمِنقَارِهِ

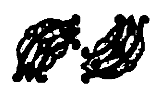
فَلا الـكَـاسِرَاتُ، ولا الضَّيغَمُ ولا الشَّاةُ تَمدَحُ جَزَّارَهـا

•

عَجِبتُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ
وَأَهلُوهُ بَينَ القَنَا وَالسُّيوفْ
يَبِيتُونَ في وَجَلٍ نَاصِبِ
فَإِنْ أَصبَحُوا لَجأُوا للكُهوفْ

وَمِمَّنْ يُصَفِّقُ للضَّارِبِ
وَأَحبابُهُ يجرَعُونَ الحُتُوفْ

مَتى يَذكُرُ الوَطَنَ النُّوَّمُ كَمَا تَذكُرُ الطَّيرُ أَوكارَهَا ؟



سقوط ارضروم

أعِدْ حَديثَكَ عِندي أيُّها الرَّجُلُ

وَقُلْ كما قالتِ الأنباءُ والرُّسُلُ

قَدْ هَاجَ مَا نَقَلَ الرَّاوُونَ بي طَرَبَاً

ما أجملَ الرُّسْلَ في عَيني وَمَا نَقَلُوا

فاجمعْ رِوَايَاتِهِمْ وَاملأْ بِها أُذُني

حَتى تَراني كأنّي شاربٌ ثَمِلُ

دَعْ زُخْرُفَ القَولِ فيما أنتَ ناقلُهُ

إنَّ المَليحَةَ لا يُزري بهَا العَطَلُ

فَكُلُّ سَمْعٍ إذا قلتَ «السُّلافَ» فَمٌ

وَكُلُّ قَولٍ إليهم يَنتَهي عَسَلُ

لا تَسقِني الرَّاحَ إلّا عِندَ ذِكرِهِمُ

أو ذِكرِ قائدِهِمْ أو ذِكرِ مَا فعلُوا

هُمُ المَسَاميحُ يحيي الأرضَ جُودُهُمُ
إذا تَنَكَّبَ عنهَا العَارِضُ الهَطِلُ

هُمُ المَصَابيحُ تَستَهدي العُيُونُ بهَا
إذا اكفهَرَّ الدُّجى واحتَارَتِ المُقَلُ

هُمُ الغُزاةُ بَنُو الصِّيدِ الغُزاةِ، بهم
وَبَطشِهم بالأعادي، يُضرَبُ المَثَلُ

قَومٌ يَبيتُ الضَّعيفُ المستَجِيرُ بهم
مِنْ حَولِهِ الجُنـدُ وَالعسَّالَةُ الذُّبُلُ

فَما يُلِـمُّ بمَنْ صَافَاهُمُ أَلَـمٌ
وَلا يَدُومُ لمَنْ عَادَاهُمُ أَمَـلُ

تَدري العُلُوجُ إذا هَزُّوا صَوارِمَهُم
أيّ الدِّمَاءِ بهَا في الأَرضِ تَنهَمِلُ

• •

أَيطلُبُ التُّركُ أن تَعلو أهِلَّتُهُمْ
... ...

«وَللفَرَنْدَقِ» رأيٌ مِثلُ صَارِمه
يَزِلُّ عَن صَفحَتَيهِ الحَادِثُ الجَلَلُ

أُلْمقبِلُ الصَّدْرِ ، وَالأَبطَالُ نَاكِصَةٌ
تَحتَ العَجَاجَةِ لا يَبدُو لَهَا قُبُلُ
وَالبَاسِمُ الثَّغرِ ، وَالأَشْلَاءُ طَائِرَةٌ
عَن جَانِبَيهِ وَحَرُّ الطَّعْنِ مُتَّصِلُ
سَعدُ السُّعُودِ عَلَى السُّؤالِ طَالِعُهُ
لَكِنَّهُ في مَيَادِينِ الوَغَى زُحَلُ
في كُلِّ سَيفٍ سِوَى بَتَّارِهِ فَلَلٌ
وَكُلُّ رَأْيٍ سِوَى آرائِهِ زَلَلُ

● ●

يَاابنَ المُلُوكِ الأُلى قَد شَادَ وَاحِدُهُمْ
مَالَم تُشَيِّدْهُ أَمْلَاكٌ وَلا دُوَلُ
وَقَائِد الجَيشِ مَا لِلرِيحِ مُنفَرَجٌ
فِيهِ ، وَلَكِن لَهَا مِنْ حَولِهَا زَجَلُ
تَوَهَّمَ التُّركُ لَمَّا حَانَ حَينُهُمُ
أَنَّ الأُلَى وَتَرُوا آبَاءَهُمْ غَفَلُوا
حَتَّى طَلَعتَ مِنَ « القُوقَاسِ » في لَجِبٍ
تَضِيقُ عَنْهُ فِجَاجُ الأَرضِ وَالسُّبُلُ

فأدركوا أنهم ناموا على غررٍ
وأنك البدرُ في الأفلاكِ تنتقلُ

يا يومَ صبّحتهمْ والنقعُ معتكرٌ
كأنهُ الليلُ فوقَ الأرضِ منسدلُ

ليلٌ يسيرُ على ضوءِ السيوفِ بهِ
ويهتدي بالصليلِ الفارسُ البطلُ

بكلِّ أروعَ ما في قلبِهِ خورٌ
عندَ الصدامِ، ولا في زندِهِ شللُ

وكلِّ منجردٍ في سرجِهِ أسدٌ
في كفِّهِ خذمٌ، في حدِّهِ الأجلُ

وكلِّ راعفةٍ بالموتِ هادرةٍ
كأنها الشاعرُ المطبوعُ يرتجلُ

سوداءَ تقذفُ من فوهاتِها حمماً
هي الصواعقُ إلا أنها شعلُ

لا تحفظُ الدرعُ منها جسمَ لابسِها
ولا ينجّي الحصونُ الصخرُ والرملُ

فالبيضُ تأخذُ منهمْ كيفما انفتلتْ
والدهرُ يمعِنُ فيهم كيفما انفتلوا

وكلما وصلوا ما انبتّ باغتهمْ
ليثٌ يقطّعُ بالقصالِ ما وصلوا

فأسلموا «أرضروماً» لا طواعيةً
لو كانَ في وسعهمْ إمساكُها بخلوا

كم حوطوها وكمْ شادوا الحصونَ بها
حتّى طلمتَ فلا حصنٌ ولا رجلُ

وفرّ قائدُهمْ لمّا عرضتَ لهُ
كما يفرُّ أمامَ القشعمِ الحجلُ

ومنْ يشكُّ بأنّ الوعلَ منهزمٌ
إذا التقى الأسدُ الضرغامُ والوعِلُ ؟

لمْ يقصرِ الرّمحُ عن إدراكِ مهجتِهِ
لكنْ حمى صدرَهُ وقعَ الظّبى، الكَفَلُ(١)

تعلّمَ الرّكضَ حتّى ليسَ تلحقُهُ
هوجُ الرّياحِ ولا خيلٌ ولا إبلُ

---

(١) المعنى أن الرمح لم يقصر عن ادراك صدر التركي لقتله ، ولكن التركي لم يستقبل الر بصدره وانما استقبله بظهره ... كناية عن الجبن والفرار .

يخالُ مِن رُعبِهِ الأَطوادَ راكِضَةً

معهُ وما ركضتْ قُدّامَهُ القُلَلُ

ويحسَبُ الأرضَ قد مادتْ مَناكِبُها

كذاكَ يمسَخُ عينَ الخائفِ الوَجِلُ

وباتَ « أنورُ » في « يلديزَ » مُختبِئاً

لأُمِّهِ وأبيهِ الثُّكلُ والهَبَلُ

يَطيرُ ، إن صرَّتِ الأبوابُ ، طائرُهُ

ويَصرخُ « الغوثَ » إمّا وَسوسَ القُفُلُ

في جَفنِهِ أرقٌ ، في نفسِهِ فرَقٌ

في جِسمِهِ سقَمٌ ، في عقلِهِ دَخَلُ

في وجهِهِ صُفرةٌ حارَ الطَّبيبُ بها

ما يصنعُ الطِّبُّ فيمَن داؤهُ الخَبَلُ ؟

لم يَبقَ فيهِ دمٌ كيما يُجمِّعَهُ

في وجهِهِ ، عِندَ ذكرِ الخيبةِ ، الخَجَلُ

يَطوفُ في القصرِ لا يَلوي على أحدٍ

كأنّهُ ناسكٌ في القفرِ مُعتزِلُ

لا بَهجَةُ المُلكِ تُنسِيهِ هَوَاجِسَه

ولا تُرَوِّحُ عَنهُ الأعينُ النُّجُلُ

يَزيدُ وحشَتَهُ إعراضُ عُوَّدِهِ

وَينكأُ الجرحَ في أحشَائهِ العَذَلُ

إذا تمَثَّلَ جَيشَ التُّركِ مُندَحِراً

ضَاقَت بهِ، مِثلَمَا ضَاقَت بذا، الحِيَلُ

● ●

يا كاشِفَ الضُّرِّ عَمَن طَالَ صَبرُهُمُ

عَلَى النَّوائِبِ، لا مَرَّت بِكَ العِلَلُ

أطلَقتَهُم مِن قُيودِ الظُّلمِ فانطَلَقُوا

وَكُلُّهُم ألسُنٌ تَدعُو وَتَبتَهِلُ

لو كانَ يَنشُرُ مَيتًا غَيرُ بَارِئِهِ

نَشَرتَ، بَعدَ الرَّدى، أرواحَ مَن قُتِلُوا

بَغَى عَلَيهِم عُلُوجُ التُّركِ بَغيَهُمُ

لم يَشحَذوا لِلوَغَى سَيفًا وَلا صَقَلُوا

خانُوهُمُ وأذاعُوا أنَّهُم نَفَرٌ

خَانُوا البِلَادَ بِمَا قالُوا وَمَا عَمِلُوا

يَا لَلعِلَّغَامِ ! وَيَابُهتَـانَ مَا زَعَمُوا
مَتَى أَسَاءَ إِلى ذي المِخلَبِ الحَمَلُ ؟
هَبُوا الرِّجَالَ لأَمرٍ أَحدَثُوا حَدَثاً
فَمَا الَّذِي جَنَتِ العَذراءُ والطِّفلُ ؟
أَجدُكُم ، كُلَّمَا جَوٌّ خَلَا ، « أَسَدٌ »
وَجَدُّكُم، كُلَّمَا شَبَّت وَغَى ، «ثُعَلُ» ؟
قَد جَاءَ مَن يَمنَعُ الضَّعفَى ويُرغِمُكُم
أَنْ تَحمِلُوا عَنهمُ التِّبرَ الذي حَمَلُوا
أَمِنتَ « أرمينيَـا » مِمَّـا تَحاذِرُهُ
فَلَن تَعيثَ بهَا الأَوغَادُ والسِّفَلُ

• •

ظَنُّوكَ في شُغُـلٍ حَتَّى دَهِمْتَهمْ
فَـأَصبَحُوا ولَهُمْ مَن ظَنِّهِمْ شُغُـلْ
مَزَّقتَ جَمعَهُمُ تَمزِيقَ مُقتَـدِرٍ
عَلَى المُهنَّدِ ، بَعدَ اللهِ، يتَّـكِلُ
فهمْ شَراذِمُ حَيرَى لا نِظَامَ لَهـا
كَأَنهمْ نَوَرُ الآفاقِ أَو هَمَلُ

أَلبَسْتَهمْ ثوبَ عَـارٍ لا تُطَهِّرُهُ

نَارُ الجحيم وَلَو في حرِّها اغْتَسَلُوا

«جاويدُ» فَوقَ فِراشِ الذُّلِّ مُضطَجِعٌ

وَ«طَلعَتٌ» برداءِ الخوفِ مُشتَمِلُ

أَتَستَقِرُّ جُنُوبٌ في مَضاجِعِهـا

وَفي مَضاجِعِها الأَرزاءُ والغِيَلُ ؟

وَتَعرِفُ الأَمنَ أَرواحٌ تُرَوِّعُها

ثلاثةٌ : أَنتَ والنِّيرانُ والأَسَلُ ؟

وَلَمْ تُقَاتِلْهُمْ بالجيشِ قَـاتَلَهمْ

جَيشٌ بغيرِ سِلاحٍ إِسمُهُ الوَهَلُ

أَجرَيتَ خوفَ المَنايا في عُروقِهِمُ

فَلَن يَعيشَ لهمْ نَسْلٌ إِذا نَسَلُوا

قدْ ماتَ كَهلُهُمُ مِن قبلِ مِيتَتِهِ

وَشَاخَ ناشِئُهمْ مِنْ قبلِ يَكتَهِلُ

وَقد ظَفِرتَ بهمْ والرَّأسُ مُشتَعِلٌ

كمـا ظَفِرتَ بهمْ والعُمْرُ مُقتَبِلُ

فتحٌ تهلّلتِ الدُّنيا بهِ فرحاً

فكلُّ رَبعٍ ، خلا «أستانةٍ» ، جذِلُ

الشعبُ مُبتهجٌ ، والعرشُ مُغتبطٌ

وروحُ جدِّكَ في الفِردوسِ تحتفِلُ . . ! . .

سبيل التوحيد

مَا كانَ أحوَجَ سُوريّا إلى بَطَلٍ
يَرُدُّ بالسَّيف عَنهَا كلَّ مُفترِسِ
وَلا يَزالُ بها والسَّيفُ في يَدهِ
حَتى يُطَهِّرَهَا مِن كلِّ ذي دَنَسِ
وَيجعَلُ الحُبَّ دينَ القَاطِنِينَ بهـا
دينٌ يُقرِّبُ بَينَ «البَيتِ» والقُدُسِ
حَتى أرى ضَاربَ النَّاقوسِ يُطرِبُهُ
صَوتُ الأذينِ ، وَهَذا رَنَّةُ الجَرَسِ

١٩١٦

كَمْ ، قبلَ هَذا الجيلِ ، وَلّى جيلُ

هَيهَاتَ ، لَيسَ إلى البَقَاءِ سَبيلُ

ضَحِكَ الشَّبَابُ من الكُهُولِ فأغرَقُوا

واستَيقَظُوا ، فإذا الشَّبَابُ كُهُولُ

نأتي ونمضي والزَّمَانُ مُخَلَّدٌ

الصُّبحُ صُبحٌ وَالأَصيلُ أصيلُ

حَرٌّ وَقَرٌّ يُبليَانِ جُسُومَنَا

لَيتَ الزَّمَانَ ، كَمَا نحولُ ، يَحُولُ

إنَّ التَّحَوُّلَ في الجَمَادِ تَقَلُّصٌ

في الحَيِّ مَوتٌ ، في النَّبَاتِ ذبولُ

قِفْ بالمقَابِرِ صَامِتاً مُتَأَمِّلاً

كَم غاب فيهَا صَامِتٌ وَسَؤولُ

وَسَلِ الكواكِبَ كَم رأتْ مِن قَبلِنَا
أُمماً ، وَكَم شَهِدَ النُجومَ قَبيلُ

تَتَبَدّلُ الدُّنيا تَبدُّلَ أهلِهَا
واللهُ لَيسَ لأَمرِهِ تَبديلُ

• •

يَا طَالِعاً لَفتَ العُيُونَ طُلُوعُهُ
بَعْدَ الطّلوعِ ، وإنْ جَهلتَ ، أُفولُ

عَطفاً وَرِفقاً بالقُلوبِ فإنما
حِقدُ القُلوب عَلَى أخيكَ طَويلُ

أُنظُرْ فوَجهُ الأرضِ أَغبرُ شاحِبٌ
واسمَعْ ! فأصواتُ الرِيَاحِ عَويلُ

ومِنَ الحَديدِ صَواعِقٌ ، ومِن العَجا
جِ غمَائِمٌ ، ومِنَ الدِّماء سُيُولُ

مَا كُنتُ أَعلَمُ قبلَمَا حَمِسَ الوَغى
أنَّ الضَّواري وَالأنَامَ شُكُولُ

يا أَرضَ أورُبَّا وَيا أبنَاءَهَا
في عُنقِ مَن هَذا الدَّمُ المطلولُ ؟

فِي كُلِّ يَومٍ مِنكُمُ أو عَنكُمُ
نَبَأٌ تَجيءُ بِهِ الرُّواةُ مَهُولُ
مَزَّقتُمُ أَقسَامَكُم وَعُهُودَكُمُ
وَلَقَدْ تَكُونُ كَأَنَّها التَّنزيلُ
وَبَعَثتُمُ الأَطمَاعَ فَهِيَ جَحَافِلٌ
مِن خَلفِهِنَّ جَحَافِلٌ وَخُيُولُ
وَنَشَرتُمُ الأَحقَادَ فَهيَ مَدافِعٌ
وَقَذائِفٌ وأَسِنَّةٌ ونُصُولُ
لو لَمْ تَكُن أَضغَانُكُم أَسيافَكُم
أَمسَى بِهَا، مِمَّا تُسَامُ، فُلُولُ
عَلَّمتُمُ «عِزرِيلَ» فِي هَذي الوَغَى
مَا كَانَ يَجهَلُ عِلمَهُ عِزرِيلُ
إن كَانَ هَذا مَا يُسَمَّى عِندَكُمْ
عِلمَاً، فَأَينَ الجَهلُ وَالتَّضلِيلُ
إنْ كَانَ هَذا مَا يُسَمَّى عِندَكُم
دِيناً فَأينَ الكُفرُ وَالتَّعطِيلُ

عوداً إلى عصرِ البداوةِ ، إنــهُ
عصرٌ جميــلٌ أن يُقال جميــلْ

قابيلُ ، يا جدَّ الورى ، نَمْ هانئاً
كُلُّ امرىءٍ في ثوبــهِ قابيلُ

لا تفخروا بعقولِــكُمْ ونتاجِهَــا
كانتْ لَــكُمْ ، قبلَ القِتالِ ، عُقُولُ

لا أنتُمُ أنتمْ ولا أربَاضُكُــمْ
تلكَ التي فيهَــا الهَنَاءُ يَقيلُ

لا تطلبوا بالمرهَفَاتِ ذُحولَــكُمْ
في نَيلِهَــا بالمرهَفَاتِ ذُحولُ

إنَّ الأنامَ عَلَى اختِلَافِ لُغَاتِهِم
وَصِفَاتِهِمْ ، لو تَذكرونَ ، قبيلُ

● ●

يا عامَنَا أهَل فيكَ ثمَّــةَ مَطمَــعٌ
بالسِلمِ أم هــذا الشَقَاءُ يَطُولُ

مرَّتْ عَلَيهَــا حِجّتَانِ ولم تَزَلْ
تتلو الفُصولَ مَشَاهِدٌ وفُصولُ

لمْ يَعشَقِ النَّاسُ الفَنَاءَ وإنَّما
فوقَ البَصَائرِ والعُقولِ سُدولُ

أنا إن بَسَمتُ ، وقد رأيتُكَ مُقبِلًا
فكَما يَهَشُّ لِعَائديهِ عَليلُ

وإذا سَكَنتُ إلى الهُمومِ فمِثلَمَا
رَضِيَ القُيُودَ الموثَقُ المكبُولُ

لا يَستَوي الرَّجلَانِ ، هَذا قلبُه
خالٍ وَهَذا قلبُهُ (لجهولُ)

لا يخدَعَنَّ العَارفونَ نُفُوسَهمْ
إنَّ المُخادعَ نَفسَهُ لَجهولُ

في الشَّرق قَومٌ لمْ يَسلُّوا صَارِماً
والسيفُ فَوقَ رؤوسِهم مَسلُولُ

جَهلُوا ولَم تجهل نُفُوسُهمُ الأَسى
أَشقَى الأَنامِ العَارفُ المَجهولُ

أكبَادُهمْ مَقروحَةٌ كَجُفُونِهمْ
وزفيرُهُمْ بأنينِهِمْ مَوصُولُ

أمّا الرّجاء ، وطالما عاشوا به
فالدّمع يشهد أنّه مقتول

واليأس موت غير أنّ صريعه
يبقى ، وأمّا نفسه فتزول

ربّاه ، قد بلغ الشّقاء أشدّه
رحماك إنّ الرّاحمين قليل

* *

في الله والوطن العزيز عصابة
نكبوا ، فذا عان وذاك قتيل

لو لم يمت شمم النّفوس بموتهم
ثار الشّآم ، لموتهم ، والنّيل

يا نازحين عن الشّآم تذكّروا
من في الشّآم وما يليه نزول

هم المالك في الجهاد ، وهمّكم
قال تسير به الطّروس وقيل

هبّوا ؛ اعملوا لبلادكم ولنسلكم
بئس الحياة سكينة وخمول

لا تقبضوا الأيدى فهذا يومكم

شر الورى جعد البنان بخيل

وعد الإله المحسنين ببره

وكما علمتم ، وعده تنويل



ما للكواكب

شَوقٌ يروحُ مَعَ الزّمانِ وَ يَغتدي
والشَّوقُ ، إنْ جدّدْتَهُ يتجدّدِ

دَعْ عنكَ نُصحي بالتَّبَلُّدِ ساعةً
يا صَاحِ ، قد ذَهَبَ الأسى بتَبَلُّدي

مَا زادَ في أسفِ الحَزينِ وشَجوهِ
شيءٌ كَقولِكَ للحَزينِ تَجلَّدِ

ما زلتُ أعصيهِ إلى أن هَاجَني
ذِكرُ الحِمَى فعَصَيتُ كلَّ مُفنّدَ

وَأطَارَ عن جَفنيَ الـكرى وَأطارَني
عن مَرقَدي مَشيُ الهُمومِ بمرقَدي

في جُنحِ ليلٍ مِثلِ حَظّي حالِكٍ
كالبَحرِ سَاجٍ .. مُقفِرٍ كالفَدفَدِ

أَقبلتُ أنظُرُ في النُّجومِ مُصَعِّداً
عيني بَينَ مُصوِّبٍ ومُصَعِّدِ
أو واجفٍ أو راجفٍ مُترجرجٍ
أو نافرٍ أو حائرٍ مُترَدِّدِ
يَمشِينَ في هذا الفَضاءِ وَفَوقَهُ
وَكأنَّما يمشِينَ فوقَ الأكبُدِ
وَالبَدرُ مُنبعِثُ الشُّعاعِ لَطيفُهُ
صافٍ كذِهنِ الشّاعِرِ المُتَوَقِّدِ
ما زالَ يَنفُذُ في الدُّجى حتّى استوى
فيهِ، فَيا لَكَ أبيَضاً في أسوَدِ
وَالشُّهبُ تَلمَعُ في الرَّقيعِ كأنَّها
أحلامُ أرواحِ الصِّغارِ الهُجَّدِ
يَنظُرنَ عن كَثَبٍ إليهِ خِلسَةً
نَظَرَ المِلاحِ إلى الغَريرِ الأمرَدِ
فَعَجِبتُ مِمَّنْ نامَ مِلءَ جُفونِهِ
والكَونُ يَشهَدُ مِثلَ هذا المَشهَدِ

وَرأيتُني فوقَ الغَمامِ مُحلِّقاً

في الأفقِ مابينَ السُّهَا وَالفرقدِ

فَسَمِعتُ صَوتاً مِن بَعيدٍ قائلًا

يَا أيُّها السَّاري مَكانُكَ مُحمَدِ

مَا دُمتَ في الدُّنيا فَلا تزهد بها

فأخو الزَّهادةِ مَيِّتٌ لم يُلحَدِ

لا تقنَطَنَّ مِنَ النَّجاحِ لِعثرةٍ

مَالا يُنالُ اليومَ يُدرِكُ في غَدِ

كمْ آكلٍ ثمراً سَقَاهُ غيرُهُ

دَمَهُ ، وَكَم مِنْ زارعٍ لمْ يحصُدِ

لو كانَ يحصُدُ زرعَهُ كلُّ امرىءٍ

لم تخلقِ الدُّنيا ولَمْ تتجدَّدِ

بالذِكرِ يَحيا المرءُ بَعدَ مَماتِهِ

فانهضْ إلى الذِكرِ الجميلِ وَخلِّدِ

فَلَئِنْ وُلِدتَ وَمُتَّ غيرَ مُخلِّدٍ

أثراً فأنتَ كأنَّما لم تُولَدِ

حَتّى مَ في لا شيء يَقتتِلُ الوَرى

إنّ الحِمَامَ عَلَى الجَميعِ بمَرْصَدِ

طاشت حُلومُ المالِكينَ ، فذاهِلٌ

لا يَستَفِيقُ ، وَحائِرٌ لا يَهتَدي

وأفقتُ ، إذ قَطَعَ الكَلامَ مُكلِّمي

فَنَظَرتُني فإذا أنا لم أصْعَدِ

• •

مَا للكَواكِبِ لا تَنَامُ ولا تَني

قد طَالَ سُهدُكِ يا كواكِبُ فارقُدي

كَم تَنظُرِينَ إلى الثّرى من حالِقٍ

مَا في الثّرى لأخي الأسى مِن مُسعِدِ

أوَ مَا تَريني عِندَمَا اشتَدّ الدُّجى

واشتَدّ دائِي نَامَ عَني عُوّدي

حَتّى لَقَد كادَ القَريضُ يَعقُّني

وَيَصُونُ عَنّي مَاءَهُ وأنا الصّدي

أمسي أهمُّ بهِ ويَظلَعُ خاطِري

فكأنّنا أنا ماتِحٌ مِن جَلمَدِ

لا تَسألِيني لِمْ سَهِدتُ فإنّني

لو كانَ في وسْعي الكرى لم أسْهَدِ

صَرفَتْ يَدُ البَلوى يَدي عَن أمرِهَا

مَاخِلتُ أمري قَطُّ يَخرُجُ مِن يَدي

في أضلُعي نارٌ أذابَتْ أضلُعِي

وَمَشَتْ إلى كَبِدي وَلَّما تَخمَدِ

أخشَى عَلَى الأحشاءِ مِن كِتمانِهَا

وأخَافُ أن أشكُو فَيشمَتَ حُسَّدي

• •

وَمَليحَةٍ لا هِندُ مِن أسمائِهَا

كَلّا، وَلَيسَتْ كالحِسَانِ الخُرَّدِ

نَشَزَ الجَواري وَالإمَاءُ تَمرَّدَتْ

وَوَنَتْ فَلَمْ تَنشُزْ وَلَم تَتَمَرَّدِ

في النَّفسِ مِنهَا مَا بِهَا مِنْ دَهرِهَا

أزكَى السَّلامِ عَلَيكِ أرضَ المَوعِدِ

يَا لَيتَ شِعري كَم أقولُ لها انْهَضِي

وَتَقولُ أحداثُ الزَّمانِ لها اقعُدي

لَيسَ الذي لاقَتهُ هَيناً إنَّمـا

حِملُ الأذى هَينٌ عَلى المُتَعوِّدِ !



الحاجة إلى الخرس

مَا كانَ أحوَجني يوماً إلى أذُنٍ
صمَّاءَ إلاّ عن المحبوبِ ذي الأُنسِ
كَي لا يُصدِّعَ رأسي صوتُ ناعقةٍ
ولا تُقطِّعَ قلبي أنَّةُ التَّعِسِ
ولا يُعزِّزَ نفسي الأدعياءُ ولا
ذمُّ الأفاضلِ مِن ذي خِسَّةٍ شرسِ
أقولُ هذا عسى حرٌّ يقولُ معي
مَا كانَ أحوجَ بعضَ النَّاسِ للخَرسِ

البغضاء

لا نُبغِضُ «الرُوسَ» لكنْ لانُحِبُّهُمُ

فَحَربُنَا حَربُ أقرانٍ لأقرانِ (*)

وَلا «الفَرَنسِيس» مَاهُم بالعُداةِ لَنَا

لكنَّهُمْ غيرُ أصحَابٍ وَإخوانِ

إنّــا نُبادِلُهمْ وَالنَّقعُ مُنسَدِلٌ

طَعنــاً بطَعنٍ وَنيرانــاً بنيرانِ

وَذي بَيارِقُنَا في «الفُوج» خَافِقَةٌ

وَجيشُنا ظَافِرٌ في كلِّ مَيدانِ

(*) هي القصيدة المشهورة التي نظمها الشاعر الالمــاني ارلست ليسوار في غضون الحرب فكان لهافي المانيا دوي ورنين ، وقد نال ناظمها من أمبراطوره وساماً عالياً من نوع «الصليب الحديدي» دلالة على الاستحسان والرضى . ولما كانت هذه القصيدة قد نقلت الى أكثر اللغات فقد اقترحت جريدة مرآة الغرب اليوميــة على صاحب الديوان أن ينقلهــا الى عالم الشعر العربي ففعل .

قُلُوبُنَا لَيسَ فيهَــا غَيرَ مَوجِدَة
ذو الشَّيبِ فيها وَفحمُ الشَّعر سِيَّانِ
نَهوى وَنَحنُ جُموعٌ لا عِدادَ لهــا
كَواحِدٍ وَكَــذا نَقلى كَإِنسَانِ
عَدوُّنا واحِدٌ ، الكلُّ يَعرِفهُ
ذاكَ الحَسُودُ الخَبيثُ الماكِرُ الشَّاني
تَرُدُّنا عَنهُ أَمواجٌ يَلُوذُ بِهــا
سَميكَةٌ كالنَّجيعِ اليابسِ القَاني
أَرى بِهِ ، وَهوَ في الطُّوفَانِ مُختَبِئٌ
طوفَانَ غَيظٍ تَوارى خَلفَ طُوفانِ
قد أَصبَحَ المــاءُ يَحميهِ وَيَمنَعُهُ
الوَيلُ للمَاءِ مِنَّــا إِنَّــهُ جَانِ
قِفُوا أَمَامَ القَضَاءِ العَدلِ كُــلكُمُ
وَلَيَحلِفَنَّ يَمينــاً كلُّ أَلمــاني
غَليظَةً كالحَديدِ الصّلبِ ، صَارِمَةً
كالموتِ ، تَبقَى لِأَدهارٍ وأَزمَانِ

أَنْ نَبغُضَ البغضَ لا تَبلى مَرائِرُهُ
وَلا يُقَاسُ وَلا يُحصَى بِميزانِ
وَأنْ نُرَدِّدَهُ في كلِّ نَاحِيَةٍ
وَأنْ نُكرِّرَهُ تَكريرَ ألحانِ
وَأَن نُعَلِّمَ مِنَّا كلَّ ذي كَبِدٍ
أنْ يَبغُضَ القَومَ في سِرٍّ وإِعْلانِ
بُغضَاً إلى نَسْلِنَا بالإِرثِ مُنتَقِلاً
إلى بَنِيهِمْ وَمِنْ جيلٍ إلى ثاني
عَدُوُّنا واحدٌ ، الكلُّ يعرِفُهُ
ذاكَ الحَسودُ الخَبيثُ الماكِرُ الشّاني
إنكِلترا ! !
ألا اسمَعُوا أيُّهَا الأَلمانُ واعتَبِروا
فَأَنتُمْ أَهـلُ ألبَـابٍ وأذهَانِ
... في مَحفَلٍ جَلَسَ القُوّادُ كُلُّهُمُ
كَمُحكَمِ العِقدِ أو مَرصُوصِ بُنيانِ
وَقَامَ وَاحِدُهُمْ وَالكَأسُ في يَدِهِ
كَأنّهَا قَبَسٌ أو عَينُ غَضبَانِ

فقال : يا قومُ « هذا سِرُّ يومِكُمُ »

ألا اشربوا ؛ إنَّ سِرَّ اليومِ سِرّانِ

مقالةٌ فطنتْ في الجمعِ فعلتَها

فأصبحوا وكأنَّ الواحدَ اثنانِ

ما ضربةُ السيفِ من ذي مرّةٍ بطلٍ

ومستطيرُ اللظى من قلبِ صَوّانِ

ولا السفينةُ في التيّارِ جاريةً

ولا الشهابُ هوى في إثرِ شيطانِ

أمضى وأنفذَ منها وهي خارجةً

من فيهِ كالسهمِ من أحشاءِ مِرنانِ

فضاءَ من كانَ في الكأسِ التي ارتفعتْ

ومن يريدُ ويعني القائلُ العاني ؟

إنكلترا ! !

بني بريطانيا نادوا جموعَكمُ

واستصرخوا الخلقَ من إنسٍ ومن جانِ

وابنوا المعاقلَ والأسوارَ من ذهبٍ

واستأجروا الجندَ من بيضٍ وعبدانِ

مُروا أَساطيلَكُم في البَحرِ تَرصُدنا
وَتَرصُدِ البَحرَ مِن مَوجٍ وَحيتانِ

تاللهِ لا ذي وَلا هَذي تَرُدُّ يَداً
إذا رَمَتْ دَكَّت البُنيانَ وَالباني

• •

لا نُبغِضُ الرُّوسَ لكن لا نُحِبُّهُمُ
فحَربُنَا حَربُ أقرانٍ لأقرانِ

وَلا الفَرَنسِيس، مَاهم بالعُداةِ لَنَا
لَكِنَّهمْ غيرُ أَصحَابٍ وإخوانِ

إِنَّا نُبَادِلهم والنَّقعُ مُنسَدِلٌ
طَعناً بطَعنٍ وَنيراناً بنيرانِ

نَأتي وَيَأتونَ وَالهَيجَاءُ قائِمَةٌ
بِكُلِّ مَاضٍ وَفَتَّاكٍ وَطَعَّانِ

لَكِنَّنا في غَدٍ يُرخِي السَّلامُ عَلَى
هَذي الوَغَى وَعَلَيهم سِترَ نسيَانِ

وَيَمْحي كلُّ بَغضٍ غَير بغضِكُمُ
فإِنَّهُ آمِنٌ مِن كُلِّ نُقصَانِ

حِقدُ القُلوبِ عَلَيكم لا يَزُولُ وَإنْ

زُلتم وَزُلنَا وزالَ العَالَمُ الفاني

في الأرضِ بغضكمُ والماءُ مِثلُها

وَالبُغضُ في الحُرِّ مِثلُ البُغضِ في العاني

الكوخُ يُبغِضُكم وَالقصرُ يُبغِضُكمْ

وَكلُّ ذي مُهجَةٍ منّا وَوِجدانِ

نَهوى ونَحنُ جموعٌ لا عِدادَ لها

كَواحِدٍ وَكذا نَقَلى كَإنسَانِ

عَدوُّنا واحدٌ، الكُلُّ يَعرِفُهُ

ذاكَ الحَسُودُ الخَبيثُ الماكرُ الشّاني

إنكلترا !!



حكاية قديمة

وَرُبَّتَ أمريكيَّةٍ خاتُ وِدِّهَا
يَدُومُ ، ولكنْ ما لِغَانِيَةٍ وِدُّ

صَبَوتُ إلى هِندٍ فَلَمَّا رأيتُهَا
سَلَوتُ بِهَا هِنداً وَمَا صَنَعَت هِندُ

وَأَوحَت لهَا عَيناي أَنَّ صَبَابَةً
تُلَجلِجُ في صَدرِي وأَحذَرُ أن تَبدو

فألقَتْ إلى أترَابِهَا وَتَبَسَّمَتْ
أهِيَ سُكوتُ الصَّبِّ أم صَمتُهُ عَمدُ؟

فقلتُ سَلَامُ اللهِ ، قَالَتْ وَبِرُّهُ ،
فقلتُ : أهَزلٌ ذلِكَ القَولُ أم جِدُّ

وَأمسَكتُ أنفَاسِي وَأرهَفتُ مِسمَعِي
فَفِي نَفسِي جَزرٌ وفي مِسمَعِي مَدُّ

فقالَتْ وَدِدْنا لو عَرفْنَـا مَن الفَتى
وَمَا يَبتَغيهِ ؟ قلتُ مَا يَبتَغِي العَبْدُ ؟

لَهُ كَبِدٌ حَرَّى ، وَقَلبٌ مُكلَّمٌ
غَلِطتُ ، فما للصَّبِّ قَلبٌ ولا كَبِدُ

قَتيلٌ وَلكنْ ثَوبُـهُ كَفَنٌ لهُ
وَكُلُّ مَكَانٍ يَستَريحُ بهِ لَحـدُ

فإنْ لم يَكن مِن نظرَةٍ تَرأَبُ الحَشَا
فَرُدِّي عَلَيهِ قَلبَهُ وَبِـهِ زُهدُ

فضَرَّجَ خَدَّيهَا احْمرارٌ كأنَّمَا
تَصاعَدَ مِن قَلبي إلى خَدِّهَا الوَجدُ

وَقَرَّبهَـا مِنّي وَقَرَّبَني الهوى
إلى أنْ ظَننَّا أنَّنَا واحِـدٌ فَردُ

وَكهرَبَ رُوحينا فَلَمَّـا تَنَهَّدَتْ
تَنَهَّدتُ حَتّى كادَ صَدْرِي يَنهَـدُّ

وَكانَ حَديثٌ خِلتُ أنّي حَفِظتُهُ
فَأَذهَلَني عَنهُ الّذي كانَ مِنْ بَعدُ

• •

أَمرتُ فؤادي أَن يُطيعَ فُؤادَهَا
فَيَبكي كما تَبكي وتَشدو كما تَشدو

وَقُلتُ لِنَفسي هــذه مُنتَهى المُنَى
وَهذا مجالَ الشُّكرِ إن فاتَكِ الحَمْدُ

فإنْ تَرغَبي عَنهَا ، وَفيكِ بَقِيَّةٌ ،
فما أَنتِ نَفسي إنَّمـا أنتِ لي ضِدُّ

وَمَرَّتْ لَيالٍ وَالمُنَى تجـذِبُ المُنَى
وَقَلبي ، كَمـا شَاءَتْ ، يَلِينُ وَيَشتَدُّ

نَروحُ وَنَغدو وَاللَّيالي كأَنَّهـا
وُقوفٌ لأَمرٍ لا تَروحُ وَلا تَغدو

وَمَا زِلتُ تَستَخفي عَليَّ عُيوبُهَا
إلى أَنْ تَوَلَّى الغَيُّ واتَّضَحَ الرُّشْدُ

رَأَى الدَّهرُ سَدّاً حَولَ قَلبي وَقَلبِهَا
فَـما زالَ حَتَّى صارَ بَينَهُما السَّدُّ

خُدِعْتُ بها وَالحُرُّ سَهلٌ خِداعُهُ
فَلا طَالِعي يُمنٌ وَلا كَوكَبي سَعْدُ

وكُنّا تَعاهدنا عَلى المَوتِ في الهَوى
فما لَبِثَتْ إلاّ كما يَلْبَثُ الوَرْدُ

كأنّيَ ما ألصَقْتُ ثغري بثغرِها
ولا باتَ زَندي وَهوَ في جيدِها عِقدُ

ولَمْ نَشْتَمِلْ بالليلِ وَالحَيُّ نائمٌ
وَلَمْ نَسْتَتِرْ بالرَّوضِ وَاللَّيلُ مُمْتَدُّ

ولا هَزّنا شَدوُ الحَمائمِ في الضُّحى
ولا ضَمَّنا بَيتٌ وَلم يحوِنا بُردُ

• •

أإنْ لاحَ في فَودي القَتيرُ (١) نَكَرتِني
أَيَزْهَدُ في الصَّمْصَامِ إنْ خَلِقَ الغِمْدُ

لئِن كانَ لَونُ الشَّعرِ ما تَعشقينَهُ
فَدُمْ أبيَضاً مادُمْتَ يا شَعْريَ الجَعْدُ

فَلا تَشمَتي مِنّي فَلَسْتُ بآمِنٍ
ولا تَزهَدي فيه ، فليسَ بِهِ زُهدُ

---

(١) القتير : الشيب أو أوائله .

هُوَ الفَاتِحُ الغَازي الذي لا تَرُدُّهُ

عَن الفَاتِحِ الغازي قِلَاعٌ وَلا جُنْـدُ

فلو كانَ غيرَ الشَّيبِ عَني صَرَفْتُـهُ

ولٰكنْ حكمَ اللهِ لَيسَ لهُ رَدُّ

وإنْ تُعرِضي عَن مَفرقي وهُوَ أبيَضٌ

فيَا طَالما قَبَّلتِـهِ وَهْوَ مُسْوَدُّ

شَفَى اللهُ نَفسي لا شَفَى اللهُ نَفسَهَا

وَلا غَابَ عَنْ أجفَانِهَا الدَّمعُ وَالسُّهْدُ

فَلَا ثَغرُهَا دُرٌّ ولا أقحُوانَـةٌ

وَلا دَمعُهَا طَلٌّ ولا رِيقُهَا شُهْدُ

وَلا قَدُّهَا غُصنٌ وَلا خَيزُرانَـةٌ

وَلا خَصْرُهَا غَورٌ ولا رِدفُهَا نَجدُ

وَلا وَجهُها شَمسٌ ولا شَعرُهَا دُجىً

وَلا صُدُّهَا حَرٌّ وَلا وَصلُها بَرْدُ

أَحبُّ إلى نَفسي الرَّدى مِنْ لقَائِها

وَأجْمَـلُ في عَينَيَّ مِنْ وَجهِها القِرْدُ

فإنْ تلمَسِ الثّوبَ الّذي أنا لابسٌ

قددْتُ بكَفّي الثّوبَ مِنْ قبل يَنقدْ

وَإن تَقْرُبِ الدّارَ التي أنا ساكِنٌ

هَجرْتُ مَغانيها وَلو أنّها الخُلدُ

فإن كانَ غيري لَمْ يَزَلْ دينُهُ الهوى

فإني، وَلا أخشى المَلامَةَ ، مُرْتَدُّ !!



لمن الديار ؟

لِمن الدِّيارُ تنوحُ فيها الشَّمألُ

مَا مَاتَ أَهلوهَا ولَم يَترَحلوا

مَاذا عَراهَا ، مَا دَهَا سُكّانَها

يا ليتَ شِعري كُبِلوا أم قُتِلوا ؟

مَثَلتُها فتَمَثَّلَتْ في خَاطِري

دِمَنًا لِغيرِ الفِكرِ لا تَتَمثَّلُ

تَمشِي الصَّبَا مِنها بِرَسْمٍ دارسٍ

لا رِكزَ فيهِ كأنَّما هي مَوجَلُ

وإذا تأمّلَ زائرٌ آثارَهَا

شَخَصَتْ إليهِ كأنَّها تتأمّلُ

أَصبَحتْ أَندبُ أُسدَهَا وظِباءَهَا

ولَطَالما أبصَرتني أتَغزَّلُ

أيَّامَ أخطُرُ في الحِمَى مُتَهلِّلًا
وأرى الدِّيارَ كأنَّها تتَهلَّلُ

وأَروحُ في ظِلِّ الشَّبابِ وأَغتَدي
جذلانَ لا أشكُو ولا أتَعَلَّلُ

إذْ كُلُّ طَيْرٍ صَادِحٌ مُترَنِّمٌ
إذ كُلُّ غُصنٍ يانِعٌ مُتَهدِّلُ

وَالأرضُ كاسِيَةٌ رداءً أخضَراً
فكَأنَّها ديباجَةٌ أو مَخمَلُ

يجري بها ، فوقَ الجمانِ مِنَ الحَصَى
بَينَ الزَّبَرجدِ وَالعَقيقِ ، الجدوَلُ

والزَّهرُ في الجنَّاتِ فيَّاحُ الشَّذا
بنَدى الصَّباحِ مُتَوَّجٌ وَمُكَلَّلُ

وَالشَّمسُ مُشرِقَةٌ يَلوحُ شُعَاعُها
خَلَلَ الغُصونِ ، كما تَلوحُ الأنصُل

وَالظِّلُّ ممدودٌ على جَنَباتِها
وَالمَاءُ مَغمورٌ بهِ المُخضَوضِل

لله كَـيفَ تَبدّلتْ آياتُهَـا
مَنْ كانَ يحسَبُ أنّها تتَبَدّلُ ؟ . .

زَحفَ الجرادُ بقَضِّهِ وَقضيضِهِ
سَيرَ الغَمامِ إذا زَفتهُ الشَّمأَلُ (١)
حَجبَ السّماءَ عَن النّواظِرِ وَالثّرى
فَكَأنّـهُ اللّيلُ البَهيمُ الأليَلُ
مِن كلّ طَيّارٍ أرَقّ جنَاحـهُ
لفحُ الحرورِ وطولُ ما يتَنقّلُ
عَجِـلٍ إلى غاياتِهِ مُستَوفِزٍ
أبداً يَشُدُّ العَجْزَ مِنهُ الكلكَلُ
خَشِنِ الإهابِ كأنّهُ في جَوشَنٍ
وَكأنّما في كلّ عضوٍ مِنجَلُ (٢)
وَكـأنّمـا حَلَقُ الدُّروعِ عيُونُـهُ
وَكأنّهنّ شَواخِصاً تتَخَيّـلُ

---

١) بقضهم وقضيضهم : بجميعهم .
٢) الجوشن : الدرع .

مَصْقُولةٌ صَقلَ الزُّجاجِ بِخالُهـا
في مَعزِلٍ عَنْ جِسْمِهِ ، المُسْتَقبِلُ

وَمِنَ العَجائِبِ مع صَفَاءِ أديمِهَـا
مَا إِنْ تَرِفُ كأنّما هِي جَنْدَلُ (١)

ضَيفٌ أَخفُّ عَلَى الهَواءِ مِنَ الهَوا
لَـكِنَّهُ في الأَرضِ مِنهَا أَثقَلُ

مَلأَ المَسَارِحَ والمَطَارِحَ والرُّبَى
فإذا خَطَتْ فَعَلَيهِ تَخطُو الأَرْجلُ

حَصَدَ الَّذي زَرَعَ الشُّيُوخُ لِنَسلِهِم
وَقضَى عَلَى القُطَّانِ أَن يَتحَوَّلوا

مَا ثمَّ مِن فَنَنٍ إِلى أَوراقِهِ
يَأوي، إذا اشتَدَّ الهَجِيرُ ، البُلبُلُ

وَإذا القَضَاءُ رَمَى البِلَادَ ببؤسِهِ
جَفَّ السَّحَابُ بِها وَجَفَّ المَنهَلُ

• •

(١) الجندل : الصخر العظيم .

وَقعَ الّذي كُنّا نخافُ وقوعَــهُ
فَعلى المَنَازِلِ وَحْشَةٌ لا تَرْحَلُ

أشتاقُ لو أدري بحالةِ أهلِهَــا
فإذا عَرَفْتُ وَدِدتُ أني أجهَلُ

لم تُبقِ أرجالُ الدَّبى في أرضهم
مَا يُستَظلُّ بهِ ولا ما يُؤكَــلُ(١)

أمسَتْ سَماؤُهُمُ بغيرِ كواكِبٍ
وَلقَد تَكونُ كأنّها لا تأفَلُ

يَمشُونَ في نورِ الضُّحَى وَكأنَّهُمْ
في جُنحِ لَيلٍ حَالِكٍ لا يَنصُلُ

فإذا اضْمَحَلَّ النُّورُ واعتَكَرَ الدُّجى
فالخوفُ يَعلو بالصُّدورِ وَيَسفُلُ

يَتَوَسَّلونَ إلى الظَّلُومِ وَطالمــا
كانَ الظَّلُومُ إليهمُ يَتَوَسَّلُ

أمسَى الدَّخيلُ كأنّهُ ربُّ الحِمَى
وَابنُ البِلَادِ كأنّهُ مُتَطَفِّلُ

الدبى : صغار الجراد .

يَقضِي ، فهذا في السُّجُونِ مُغَيَّبٌ
رَهْنٌ ، وَهذا بالحديد مُكَبَّلُ

وَيَرى الجَمالَ كأنَّمـا هُو لا يُرى
وَيَرى العُيُوبَ كأنَّما هوَ أحوَلُ

حالٌ أشدُّ على النُّفوسِ مِنَ الرَّدى
الصَّابُ شُهْدٌ عِندَها وَالحَنظَلُ

● ●

مالي أنوحُ عَلى البِلادِ كأنَّما
في كُلِّ أرضٍ لي أخٌ أو مَنزِلُ

يا لَيتَ كَفّاً أضرَمَتْ هذي الوَغى
يَبسَتْ أنامِلُهـا وَشُلَّ المفصِلُ

تَتَحوَّلُ الأفلاكُ عَن دَوَرانِهـا
وَالشَّرُّ في الإنسـانِ لا يَتَحوَّلُ

ما زالَ حتّى هاجَها مَنْ هاجَهـا
حرباً يَشيبُ لها الرَّضيعُ المحوِلُ

فالشَّرقُ مُرتَعِدُ الفَرائصِ جازِعٌ
وَالغَربُ مِنْ وَقَعاتِهـا مُتَزَلزِلُ

وَالأَرضُ بالجُردِ الصَّواهِلِ وَالقَنا

مَلأى تجيشُ كَما تجيشُ المِرْجلُ

والطَّودُ آفاتٌ تلُوحُ وتختفي

وَالسَّهلُ أرصَادٌ تجيءُ وَتقفُلُ

وَالجوُّ بالنَّقعِ المُثارِ مُلَثَّمٌ

والبَحرُ بالسُّفُنِ الدَّوارعِ مُثقَلُ

في كل مُنفَرجِ الجَوانِبِ جَحفَلٌ

لجِبٌ يُنازِعُهُ عَلَيهِ جَحفَلُ

مَاتَ الحَنانُ فَكُلُّ شيءٍ قاتِلٌ

وَقَسا القَضاءُ فكُلُّ عضوٍ مَقتَلُ

فَمُعَفَّرٌ بثيابِهِ مُتَكَفِّنٌ

وَمُجرَّحٌ بدَمائِه مُتَسَربِلُ

كَم ناكِصٍ مِنْ مأزقٍ خوفَ الرَّدى

طَلَعَ الرَّدى مِنْ خَلفِهِ يَتَصَلصَلُ

شَقِيَ الجميعُ بها وَعَزَّ ثَلاثَةٌ

ذِئبُ الفَلاةِ وَنَسرُها وَالأجدَلُ

حامت على الأشلاء في ساحاتها
فرقاً تعل من الدماء وتنهل

لهفي على الآباء كيف تطوحوا
لهفي على الشبان كيف تجندلوا

حرب جناها كل عات غاشم
وجنى مرارتها الضعيف الأعزل

ما للضعيف مع القوي مكانة
إن القوي هو الأحب الأفضل

تتنصل الشوس من تبعاتها
إن البريء الذيل لا يتنصل

قد كان قتل النفس شر جريمة
واليوم يقتل كل من لا يقتل

والمالكون على الخلائق عدلهم
جور ، فكيف إذا هم لم يعدلوا

كتبوا بسفوك النجيع نعوتهم
وبنوا على الجثث العروش وأثلوا

صَرَفَ الجنودَ عَنِ المُلوكِ وظُلمِهِمْ
قولُ المُلوكِ لهم : جُنودٌ بُسَّلُ

يا شَرَّ آفاتِ الزَّمانِ المُنقضي
لا جاءَنا فيكِ الزَّمانُ المُقبِلُ

● ●

إنْ أبكِ سوريّا فقَبْلي كَم بكى
«أعشى» منازلَ قومِهِ «والأخطَلُ»

مَا بي الدِّيارُ وإنَّما قُطّانُها
إنَّ النُّفوسَ لها المَقامُ الأوَّلُ

يا قومُ إنْ تَنسُوا فلا تَنسُوهُمُ
أو تبخَلوا فعَلَيهِمُ لا تَبخَلوا

لَبُّوا نداءَ ذوي المروءَةِ والنَّدى
ليُقالَ أمُّ الشّأمِ أمٌّ مُشبِلُ

لا تَبتَغوا شُكرَ الأنامِ وأجرَهُم
عَفْوُ الإلهِ هو الثَّناءُ الأجزَلُ

في كُلِّ يومٍ بينَكُمْ مُستَرفِدٌ
أو طالِبٌ أو راهِبٌ مُتجوِّلُ

يأتيكمُ بادي الوفاضِ فيلتقي

وكأنّما في بُردهِ المتوكلُ

يَبني بمالِكُمُ القُصورَ لأهلِهِ

وقُصورُكم أثوابُكمْ «والمعمَلُ»

قدْ حانَ أن تَستيقِظوا فاستيقِظوا

كم تخجلونَ وكُلُّهم لا يخجلُ

يا ليتَ من بَذلوا نُضارَهمُ لمنْ

خبأوهُ في أكياسِهم لمْ يَبذُلوا

بل ليتَهُمْ جادوا على ذي ناقةٍ

فحَرى بعطافِ المُحسِنينَ المُرمِلُ (١)

• •

يامَن نزيدُ صلاحَهُ وصلاحَنا

إنّ العُدولَ عن الهوى بكَ أجملُ

أيَبيتُ قومُكَ فوقَ أشواكِ الغَضَى

وتَبيتُ تخطُرُ بالحريرِ وتَرفُلُ ؟

---

(١) الحرا : الخليق، يقال : بالحرا أن يكون ذلك ، وترسم بالمقصورة، بمعنى الأخلق والأجدر .

أينَ الهُدى ، يامَن يُبَشِّرُ بالهدى

أينَ التُّقى ، يا أيها المُزَمِّلُ

ظنَّتْ بكَ النّاسُ الظُّنُونَ وإنَّني

لا أَخافُ بعد الظَّنِ أنْ يَتَقوَّلوا

لكَ مُقلَةٌ فانظُرْ بها مُتأمِّلًا

قَدْ يَستَفيدُ النّاظِرُ المُتأمِّلُ

لا قَدْرَ للجُهلاء حَتَّى يَعمَلُوا

لا فَضلَ للعُلَمَاء حَتَّى يَعمَلُوا

سُكّانَ لُبنانَ العَزيزَ وَجِلّق

حَيّاكُمُ عَنّا النَّسيمُ المُرسَلُ

لا نابَ غيرَ عَدوِّكم مانابَكُمْ

وَبَلَغتمْ ما تأملونَ وَنأمَلُ

كَم تتَّقُونَ الطّارئاتِ وَنَتَّقي

كم تَحمِلُونَ الكَارِثاتِ وَنَحمِلُ

لو يَعقِلُ القَدَرُ الخَؤونُ عَذَلْتُهُ

وَعَذَلْتُهُ ، لكنَّهُ لا يَعقِلُ

أَبكي وأَسْتَبكى العُيُونَ عَلَيكُمُ

أَيُّ الدُّموعِ عَلَيكُمُ لا تَهطِلُ

إنْ تَغفَلِ الدُّنيا وَيَغفَلْ أَهلُها

عَنكُمْ، فخَالِقُ أَهلِهَا لا يَغفَلُ



يا بلادي

مثلما يكمُنُ اللظى في الرَّمادِ ... هكذا الحبُّ كامنٌ في فؤادي
لستُ مُغرىً بشادنٍ أو شادِ ... أنا صبٌّ مُتيَّمٌ ببلادي

يا بلادي عليكِ ألفُ تحيَّهْ

●

هو حبٌّ لا ينتهي والمنيَّهْ ... لا ولا يضمحلُّ والأمنيَّهْ
كانَ قبلي وقبلَ نفسي الشجيَّهْ ... كانَ مِن قبلُ في حشا الازليَّه

وسيبقى مادامتِ الأبديَّه!

●

خلِّياني مِن ذكرِ ليلى وهندِ ... واصرفاني عن كلِّ قدٍّ وخدِّ
كلُّ حسناءَ غيرُ حسناءَ عِندي ... أو أرى وجدَها بقومي كوجدي

لا حياءَ في الحبِّ والوطنيَّه

●

كلُّ شيءٍ في هذهِ الكائناتِ مِنْ جمادٍ وعالَمٍ ونباتِ
وقديمٍ وحاضرٍ أو آتِ صائرٌ للزوالِ أو لِلممَاتِ
غيرَ شوقي إليكِ يا سوريّه

●

أنتِ مادُمتِ في الحياةِ حياتي فإذا ما رَجعتُ للظُلُماتِ
واستحالَتْ جوارحي ذرّاتِ فلتقُلْ كلُّ ذرّةٍ مِنْ رُفاتي
عاشَ لُبنانُ ولتعِشْ سوريّه

●

ولتقُلْ كلُّ نفحةٍ من نَدِ ولتقُلْ كُلُّ دمعةٍ في خدِ
ولتقُلْ كُلُّ غرسةٍ فوقَ لحدي وليقُلْ كُلُّ شاعِرٍ مِن بَعدي
عاشَ لُبنانُ ولتعِشْ سوريّه

● ● ●

رُبَّ ليلٍ سهرتُهُ للصّباحِ حائراً بينَ عسكرِ الأشباحِ
ليسَ لي مؤنسٌ سِوى مِصباحي ونداء الملّاحِ للملّاحِ
وصُراخِ الزوارقِ اللّيليّهْ

●

تتهـادى في السّير كالمَلِكاتِ أوكسِرب النّعام في الفَلَواتْ
مُقبلاتٍ في النّهرِ أو رائحاتٍ تحتَ ضوء الكواكبِ الزاهِراتِ
فوق ماء كالبُرْدَةِ اليَمَنِيّـه

•

تتمشّى في صَفحَتيــه النّسائمْ فترى المَوجَ فيهِ مِثلَ الأراقِمْ
يَتلوّى ، وتارةً كالمَعـاصِمْ كلِفَ الماءُ بالنّسيمِ الهائمْ
ليتني كُـنتُ نسمَةً شرقيّهْ

•

هَجعَ النّاسُ كـلُّهمْ في المَدينَهْ وَتولّتْ عَلى «نويُورك» السّكينَه
وَجُفوني ، بغَمضِها ، مُستهينَـه لا ترى غيرَ طيفِ تِلكَ الحزينَه
لَستُ أعني بها سِوى سوريّهْ

•

ذاكَ لَيلٌ قَطعتُـهُ أتـأمّلْ رَسْمَها الصّامتَ الذي لَيسَ يَعقِلْ
وَبَناني مَـعْ خاطِري تتنقلْ بَينَ هذا الحِمَى وَذاكَ المَنزِلْ
والرُّبى وَالخمائِـلِ السُّندُسيّهْ

•

هَهُنَا رَسْمُ مَنزِلٍ أَشْتَهِيهِ   هَهُنَا مَرْبَعٌ أُحِبُّ ذَوِيهِ
هَهُنَا رَسْمُ مَعْهَدٍ كُنتُ فِيهِ   مَعْ رِفَاقِي أَجُرُّ ذَيْلَ التِّيهِ
في الضُّحَى ، في الأَصِيل ، بَعدَ العَشِيَّهْ

•

كَمْ تَطَلَّعْتُ في الخُطُوطِ الدَّقِيقَهْ   وَتَشَمَّمْتُ الطَّرائِقَ المَنسُوقَهْ
قَنِعَتْ بالخَيالِ نفسي المَشُوقَهْ   لَيْتَ هَذا الخَيالَ كانَ حَقِيقَهْ
فَعَذابي في لَذَّتي الوَهْمِيَّهْ

•

يا رُسُومًا قَدْ هَيَّجَتْ أَشواقي   طَالَ ، لو تَعلَمِينَ ، عَهْدُ الفِراقِ
أَينَ تِلكَ الكُؤوسُ ، أَينَ السَّاقي؟   أَينَ تِلكَ الأَيَّام ، أَينَ رِفاقي ؟
أَينَ أَحلامِيَ الحِسَانُ البَهِيَّهْ ؟

•

يا رُسُومَ الرُّبُوعِ والأَصحَابِ   بِحَيَاتي عَلَيْكِ بالأَحبَابِ
أَخبِرِيني فَقَدْ عَرَفْتِ مُصَابي   أَتُرَى عَائِدٌ زَمَانُ التَّصَابي
أَم طَوَتْهُ عَنَّا يَدُ الأَبَدِيَّه ؟

•

سَبَقَتني دُنيا أرادَتْ لَحاقي فَأنا الآنَ آخِرٌ في السِّباقِ

نِصفُ عُمري يَرثيهِ نِصفي الباقي كَرِثاء الأَوراقِ للأوراقِ

يَبِسَ الأَصلُ والفُروعُ نَديَّهْ

• • •

ما تَراني إذا تَغنَّى الشَّادي وَمَضى في الغِناء والإنشادِ

فأَطارَ الأَسى عَن الأَكبادِ أَحسَبُ العُودَ في يَديهِ يُنادي

أيُّهـا القَوم أنقِذوا سوريَّه ؟

•

وإذا ما جَلَسْتُ تَحتَ الظَّلامِ أرقُبُ البَدرَ مِن وراء الغَمامِ

رَنَّ في مَسمَعي فَهزَّ عِظامي شِبهُ صَوتٍ يَقولُ للنُّوَّامِ

أَيُّها القَومُ أَنقِذوا سوريَّـه !

•

وإذا ما ذَهَبتُ في البُستانِ بَينَ زَهرِ الخُزامِ والأُقحوانِ

أَسمَعُ الهاتِفاتِ في الأَفنانِ قائلاتٍ وللكَلامِ مَعانِ

أيُّهـا القومُ أنقذوا سوريَّـه !

•

وَإذا مَا وَقَفتُ عِنـدَ الغَديرِ حَيثُ تمشي الطُّيُورُ خَلفَ الطُّيورِ
خِلتُ أَنَّ الأَمواهَ ذاتَ الخَريرِ قائِـلاتٌ مَعي لأهلِ الشُّعُورِ
أَيُّهَا القَومُ أَنقِذوا سوريَّـهْ

●

مَا لِقَومي وَقَـد دَهَتها الدَّواهِي بالَّذي يُطفِيءُ النُّجُـومَ الزَّواهِي
وَيُثيرُ (الحَـجَرَ) في الأَمواهِ قَعَـدوا بَينَ ذاهِلٍ أَو لاهِ
أَينَ أَينَ الحَفيظَةُ العَرَبيَّـه ؟

●

هِي أُمٌّ لَكمْ وَأَنتُمْ بَنُوهَـا حَفِظَتْ عَهدَكمْ فلَا تُنكِروهَا
أَنتُمُ أَهلُهَـا وأنتُمْ ذَووهَـا لا تُعينوا بالصَّمْتِ مَن ظَلَمُوهَـا
ذاكَ عارٌ عَلَى النُّفُوسِ الأَبيَّةْ

●

كنْ نَبيًّا يَستَنزِلُ الإلهَامَا كنْ مَلِيكاً يُصَدِّرُ الأَحكامَا
كنْ غَنيَّاً، كنْ قائِداً، كنْ إمامَا كنْ حَياةً، كنْ غِبطَةً، كنْ سَلامَا
لَستَ مِني أَو تعشَقَ الحُرِّيه !!!

الفردوس الضائع *

مازالَ يمشي في الأُمورِ بفكرِه

حتّى تمشّى النومُ في الأجفانِ

وكما يرى الوسنانُ راءَ كأنّهُ

في النعشِ ميتٌ هامدُ الجثمانِ

وعلى جوانبِ نعشِه صفّانِ

من جندِ «ألبرتِ» الرفيعِ الشانِ

يبكونَهُ لا شامتينَ بموتِه

ليسَ الشماتةُ عادةَ الشجعانِ

ورأى حواليهِ جماهيرَ الورى

تستعرضُ الملحودَ في الأكفانِ

وكأنّما كرهَ اختلاطَ رفاتِه

في الأرضِ بالضعفاءِ والعبدانِ

(*) او رؤيا القيصر الالماني .

أو أنَّ مرأى الحشدِ أقلقَ روحَهُ

في جسمِه فهفَا إلى الطيرانِ

ومنَ العجائبِ في الكرى أنَّ الفتى

يغدو بهِ وكأنَّهُ شخصانِ

● ●

أمَّ السَّماء وقد توهَّمَ أنَّهُ

لا شكَّ والجُها بِلا استئذانِ

ما زالَ يرقى صاعداً حتى انتهى

حيثُ الفناء مثالثٌ ومثاني

فرمى بناظرِهِ فأبصرَ بابَها

فمشى إليهِ مِشيةَ العجلانِ

وأقامَ يقرعُهُ فأقبلَ «بطرسُ»

ذو الأمرِ في الفردوسِ والسُّلطانِ

وأدارَ فيهِ لحظَهُ فإذا بهِ

ضيفٌ، ولكنْ ليسَ كالضِّيفانِ

ما جاء تا بكَ؟ صاح «بطرسُ» غاضباً

يا شرَّ إنسانٍ على الإنسانِ

إذهبْ فمالَكَ في السَّما مِن مَوضعِ

يا أيُّها الرَّجُلُ الأثيمُ الجاني

ثمَّ انثنى للبابِ يُحكِمُ سَدَّهُ

وَالضَّيفُ لم يَنبِسْ ببنتِ لِسَانِ

مَاذي الفَظَاظَةُ ؟ قالَ «وِليمُ» وانثَنى

لليَـأسِ كالمصفود في الأقرانِ

وَبِمِثلِ لَمحِ الطَّرْفِ أسرَعَ هَابطاً

نحوَ الجحيمِ يَقولُ ذاكَ مَكاني

هَيهاتَ يُحْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ عَائِدٌ

مِنْ جَانِبِ الفِردَوسِ بالحِرمانِ

حَتَّى إذا ماصارَ دونَ رِتاجِها

سَمِعَ « الزَّعيمَ » يَصيحُ بالأعوانِ

أبَني جَهَنَّمَ أوصِدوا أبوابَكُمْ

واستَعصِموا كالطَّيرِ بالأوكانِ

كونوا عَلَى حَذَرٍ فَفي هَذا الضُّحى

يَأتي إلَينا قيصَرُ الألمانِ

إنْ كُنتُمُ لم تعرفوهُ فإنَّهُ
رَجُلٌ بلَا قَلبٍ ولا وِجدانِ

أخشَى عَلَى أخلَاقِكُمْ إن زارَكُمْ
وهِيَ الحِسَانُ تصيرُ غيرَ حِسَانِ

إيَّاكُمُ أن تَسمَحُوا بدُخولِهِ
فدُخولُهُ خَطَرٌ عَلَى السُّكانِ

أمري لكم أصدَرتُهُ فَخُذوا بهِ
وَحَذارِ ثُمَّ حَذارِ من عِصياني

مَاذا تراني؟ صَاحَ «وليَمُ» باكياً
حتَّى الأبالِسُ لا تحبُّ تراني

إبليسُ، يا شَيخَ الزَّبانيةِ الأُلى
كانوا لأَخداني مِنَ الأَخدانِ

رُحماكَ بي، فاللَّيلُ قاسٍ بَردُهُ
وَالهَولُ يملأُ ناظِري وَجَناني

بجهنَّمٍ، بالسَّاكني حُجراتِها
بمَواقِدِ النِّيرانِ، بالنِّيرانِ

وَبكلِّ شيطانٍ مَريدٍ ماكرٍ

وبكلِّ تابعِ ماردٍ شيطانِ

مُذْ يَنفتِحْ بابُ الجحيمِ فإنَّني

قد كادَ يَجمدُ للصَّقيعِ لِسَاني

يا لَيتَ شِعري أينَ أذهَبُ بعدما

سُدَّ السَّبيلُ وَأُوصِدَ البابانِ

مُرْ لي بزاويَةٍ أزجَّ بمُهجَتي

فيهَا ، وإنْ تَكُ مِن حَميمٍ آنِ

هَلّا قبِلتَ تضَرُّعي ؟ فأجابَهُ

إبليسُ ، وهو يَروغُ كالسِّرحانِ

لو كُنتُ أعلَمُ ما سَكَتُّ فلَا تَزدْ

لا رَأيَ للحَيرانِ في الحَيرانِ

عَبَثاً تحاولُ أن تُصادفَ عِندَنا

نُزلاً ، فهذا لَيسَ بالإمكانِ

لا تَذكُرَنَّ ليَ الجَنانَ وَما جَرى

مَجراهُ ، إني قد قَتلتُ جَناني

لا يَدخُلَنَّ جهنَّماً ذو مَطمَعٍ

بالمجدِ أو بالأصفرِ الرنّانِ

إنْ كُنتَ تَشتاقُ الإقامةَ في اللَظَى

فالنارُ والكبريتُ كلَّ مكانِ

فاجمعْهما واصنعْ لِنفسِكَ مِنهُما

ولِمن تُحبُّهمُ جحيماً ثاني

وهُنا تَقهقرَ «وليَم» ثمَّ اختفى

مابينَ ليلٍ حالكٍ ودُخانِ

فأفاقَ مَذعوراً يُقلِّبُ طرفَهُ

للرُعبِ في الأبوابِ والحيطانِ

ويَقولُ لا أنسَاكَ يا حُلمِي ولو

نَسجَتْ عليَّ عناكبُ النِّسيانِ

ما راعَني أنّي طُردتُ مِنَ السَما

أنا قانِطٌ مِنْ رحمةِ الديّانِ

لكنْ طَردي مِن جَهنّمَ ، إنَّهُ

مادارَ في خُلدي ولا حِسباني

مسرح العشاق

مِن سِحرِ طَرفِكِ مَن مُجيري يا ضَرَّةَ الرَّشَـإِ الغَريرِ

جِسمٌ كَخَصرِكِ في النُحو لِ ، ومثلُ جفنِـكِ في الفُتُورِ

أصبَحتُ أضأَلَ مِن هِـلا لِ الشَكِّ في عَينِ البَصيرِ

مَحَقَ الضَنَى جَسَدي فَبِـ ـتُّ مِنَ الهَـلاكِ عَلَى شَفيرِ

وَمَشَى الرَّدى في مُهجَتي أللهَ في النَفسِ الأَخـيرِ

جَهِـلَ النَطاسي عِلَّتي للهِ مِن جَهـلِ الخَبـيرِ

كم سامَني جَرعَ الدَوا ء وَكَمْ جَرَعتُ مِنَ المَريرِ

دَع ، أيُّها الآسي ، يَدي أَلحُبُّ يُـدرَكُ بالشُعُورِ

يَدري الصَبابَةَ و الهَوى مَنْ كانَ في البلوى نَظيري . . !

• •

لو تَنظُرينَ إليَّ كالمَيـ ـتِ المُسَجَّى في سَريري

يَتَهَامَسُ العُوَّادُ حَو ... لي كُلَّمَا سمِعوا زَفيري
وأظُنُّهُمْ قَدْ أدرَكوا ... لا أدرَكوا مافي ضَميري
فأبَيتُ مِن قلَقي عَلَيْـ ... ـكِ كأنَّني فَوقَ السَّعيرِ
وَأدَرْتُ طَرفي في الحُضو ... رِ لَعلَّ شَخصَكِ في الحُضورِ
فارتَدَّ يَعثُرُ بالدُّمو ... عِ تَعَثُّرَ الشَّيخِ الضَّريرِ
قَدْ زارني مَن لا أُحبُّ (م) ... وأنتِ أولى أن تَزوري
صَدَقَتِ ماقالَ الحَوا ... سِدُ فيَّ مِنْ هُجرٍ وَزُورِ
وَأطَعتِ بي حَتَّى العِدى ... وَضَنِنتِ حَتَّى باليَسيرِ
أمّا خَيالُكِ ، يا بَخيلَـ ... ـةُ ، فهو مِثلُكِ في النُّفورِ
روحي فداؤكِ وَهيَ لو ... تَدرينَ تُفدى بالكَثيرِ
تيهي عَلى العاني كما ... تاهَ الغَنيُّ عَلى الفَقيرِ
أنا لا أبالي بالمصـ ... ـيرِ وأنتِ أدرى بالمَصيرِ
أهواكِ رَغمَ مُعَنِّفي ... وَيَلذُّ نفسي أن تَجوري
لَيسَ المُحِبُّ بصادقٍ ... حَتَّى يَكونَ بِلا عَذيرِ

• •

كم لَيلَةٍ سَاهَرتُ فيهَـ ... ـا النَّجمَ أحسَبُهُ سَميري

وَالشُّهبُ أقعَدَهــا الوَنى   وَاللّيــلُ يَمشي كالأسير
أرعى البُـدورَ وَلَيسَ لي   مِن حاجةٍ عِنـدَ البُدور
مُتَذكراً زمنَ الصِبى   زَمَنَ الغِوايَـةِ وَالغُرورِ
أيّامَ أخطُرُ في المَجـا   مِـعِ والمَعاهِدِ كالأميرِ
أيّامَ أمري في يَـدي   أيّامَ نجمي في ظُهـور
لَمـعَ القَتيرُ بلِمَّـتي   ويـلُ الشَّبابِ مِنَ القَتيرِ

• •

لا بالغَويرِ وَلا النَّقــا   كَلَفي وَلا أهــلِ الغَويرِ
أرضَ (الجزيرَة) كيفَ حا   لُـكِ بَعـدَ وَقعِ الزَّمهريرِ
نَزَلَ الشِتاءُ فـأنتِ ملـــــعَبُ كلِّ سَافِيَـةٍ دَبورِ
وَتَبَدَّلَتْ تِلـكَ العِرا   صُ مِنَ النَّضارةِ بالدُّثورِ
أمسَيتِ كالطَّلَـلِ المُحيــــلِ وَكنتِ كالرَّوضِ النَّضيرِ
آهاً عَليـكِ وآهِ كيـــــفَ نأتكِ رَبّـاتُ الخُدورِ
المـائساتُ عَنِ الغُصو   نِ السّافراتُ عَنِ البُـدورِ
الذّاهِبــاتُ مَـعَ النُّهو   دِ الذّاهبات مَعَ الصُّدورِ
الحاسِراتُ عَـنِ السَوا   عِـدِ والتَّرائبِ والنُّحورِ

القاسياتُ على القلو ... بِ الجانياتُ على الخصورِ
المالكاتُ على اللآ ... لىء في القلائدِ والثغورِ
الضاحكاتُ من الدلا ... لِ اللاعباتُ من الحبورِ
الآخذاتُ قلوبنا ... في زيّ طاقاتِ الزهورِ
بيضٌ نواعمُ كالدُّمى ... يرفلنَ في حُلَلِ الحريرِ
مثلُ الحمائمِ في الودا ... عةِ، والكواكبِ في السفورِ
من كلِّ ضاحكةٍ كأنّ ... بوجهها وجهَ البشيرِ
أنّى أدرتُ الطرفَ فيـ ... ـها جالَ في قمرٍ منيرِ

• •

يا مسرحَ العشاقِ، كم ... لي فيك من يومٍ مطيرِ
تنسى البريّةُ عندهُ ... يومَ الخورنقِ والسديرِ
ولكم هبطتُك والحبيـ ... ـبةَ فازعَيْنِ من الهجيرِ
في زورقٍ بين الزوا ... رقِ كالحمامةِ في الطيورِ
متمهلٍ في سيرهِ ... والماءُ يُسرعُ في المسيرِ
والشمسُ أبانَ الضحى ... والجوُّ صافٍ كالغديرِ
ولكم وثبنا في التلا ... لِ وكم ركضنا في الوعورِ

وَلَكَمْ أَصخْنَا لِلْعَفيـــف وَكَم شَجينا بِالْخَرير
وَلَكَمْ جلَسْنا في الرّيا ض وَكَمْ نَشَقنا مِن عَبير
وَلَكم تَبَرَّدنا بما ء (م) نُهَيرِكِ الصَّافي النَّمير
طَوراً نَنامُ عَلى النَّبا تِ وَتارَةً فَوقَ الحَصير
لا نَتَّقي عَيْنَ الرَّقيـ ب ولا نُبالي بالغَيور
فَكأَنَّها وكأنَّني الـ أبوانِ في ماضي العُصُور
حُسِدَتْ عَلَيَّ مِنَ الإنا ثِ كَما حُسِدتُ مِنَ الذُّكور
ظَنَّ الأنامُ بِنا الظُّنو نَ وَما اجترَحنا مِن نَكير
قَد صانَ بُردَتَها الحَيا ء، وَصانَني شَرَفي وَخِيري

• •

وَمَطِيَّةٍ رجراجةٍ لا كالمطِيَّة والبَعير
مَا تأتلي في سيرِها صَخَّابَةً لا مِن ثُبور
تجري عَلَى أَسلاكِها جَريَ الأَراقِمِ في الحدور
طَوراً تُرى فَوقَ الجُسو ر وتارةً تحتَ الجُسُور
آناً عَلى قِمَمٍ وَآ ناً في كُهوفٍ كالقُبُور
تَرقى كَما تَرقى (المَصا عِدُ) ثمَّ تَهبطُ كالصُّخُور

فإذا عَلَتْ حَسِبَ الوَرى أنّا نُصَعِّدُ في الأثير

وإذا هوَتْ مِن حالقٍ هوَتِ القُلوبُ مِنَ الصُدور

والرَّكبُ بَينَ مُصَفِّقٍ ومُهَلِّلٍ جَذِلٍ قَرير

أو خائفٍ مُتَطَيِّرٍ أو صارخٍ أو مُستَجير

هي في التَّقَلُّبِ كالزَّما نِ وإنَّما هي للسُّرور

• •

ومُدارةٍ في الجوِّ يحسَبُها الجَهولُ بِلا مُدير

لو شِئتَ نَيلَ النَّجمِ منها ما صَبَوتَ إلى عَسير

مَشدودةٍ لكِنَّها أجرى مِنَ الفَرَسِ المُغير

زَفّافةٍ زَفَّ الرِّئا لِ تَسُفُّ إسفافَ النُّسور

ولها حَفيفٌ كالرِّيا حِ وهَدرةٌ لا كالهَدير

كالأرضِ في دَورانِها والكالمِظَلَّةِ في النُّشور

القَومُ فيها جالِسو نَ على مَقاعِدَ مِن وَثير

والرِّيحُ تخفُقُ حَولَهُم وكأنَّما هُم في قُصور

والجَمعُ يهتِفُ كُلَّما مَرَّتْ على الحَشدِ الغَفير

• •

ولكَم تأمَّلنا الجُمو عَ تَمُوجُ كالبَحرِ الزَّخور

يَمشي الحَطيرُ مَـعَ الحَقـ ـير كأنَّما هو معْ خَطير

وتَرى المَهاةَ كأنّها ليثٌ معَ اللّيثِ الهَصُور

مُتوافِقُونَ على التّبا ين كالقبيـل أو العشير

لا يَرهَبُونَ يَـدَ الخُطو بِ كأنّما هُم خَلفَ سور

يمضي النّهارُ ونحنُ نحسبُ ما برحنا في البُكور

أبقيتَ يا زَمَنَ الغرو ر بِمُهجتي مِثلَ الحَرور

وَلّت شُهُور كُنتُ أر جو أنْ تَخلّدَ كالدُّهور

وأتتْ شُهُورٌ بَعدَها ساعاتُها مِثلُ الشُّهور

ليست حَياةُ المرء في الدُّ نيا سوى حُلمٍ قَصير

وأرى الشّبابَ مِنَ الحَيا ةِ كَاللُّبابِ مِنَ القُشُور

ذَهبَ الرَّبيعُ ذَهابَهُ وأتى الشّتاءُ بلا نَذير

وتَبدّدَ العُشّاقُ مِثـ لَ تبدُّدِ الوَرَقِ النّثير

رضيَ المُهيمِنُ عنهمُ والله يعفو عن كثير

حكاية حال

هَجرتُ القَوافي ما بنَفسي مَلَالة
سِواي، إذا اشتَدَّ الزَّمانُ، مَلولُ

ولكنْ عدَتني أن أقولَ حوادثٌ
إذا نزَلَتْ بالطَّودِ كادَ يَزولُ

وبَغَّضني الأشعارَ أنَّ دُعاتها
كثيرٌ، وأنَّ الصَّادقينَ قَليلُ

وأنَّ الفتى في ذي الرُّبوعِ عَقارُهُ
وأموالُه والباقياتُ فضُولُ

سكَتُّ سكُوتَ الطَّيرِ في الرَّوضِ بعدَما
ذوى الرَّوضُ واجتاحَ النَّباتَ ذُبولُ

فما هزَّني إلاّ حديثٌ سَمِعتُهُ
مَن الغيدِ كالغيدِ الحِسانِ جَميلُ

فما أنا في هذي الحكايةِ شاعرٌ
وَلكنْ كما قالَ الرُّواةُ أقولُ

• •

فتىً مِن سَراةِ النّاسِ، كلُّ جدودِهِ
سَريٌّ، كريمُ النَّبعتَينِ، نَبيلُ

قضى في ابتِناءِ المَكرُماتِ زَمانَهُ
يَنالُ وَيَرجُوهُ النَّوى فيُنيلُ

فَدكَّ مَباني عِزِّهِ الدَّهرُ بَغتَةً
وَقَلَّمَ مِنهُ الظُّفرَ فهو كليلُ

هَوى مِثلَما يَهوي إلى الأرضِ كوكبٌ
كذاكَ اللَّيالي بالأنامِ تَدولُ

وَكانَ لهُ في الدَّهرِ بَطشٌ وَصَولةٌ
فأمسَتْ عَلَيهِ الحادِثاتُ تَصُولُ

وَكانَ لَه ألفا خَليلٍ وَصاحِبٍ
فأعوَزَهُ، عِندَ البَلاءِ، خَليلُ

تَفَرَّقَ عَنهُ صَحبُهُ فكأنَّما
بهِ مَرَضٌ، أعيا الأُساةَ، وَبيلُ

وأنكرَهُ مَن كانَ يَحلِفُ باسمِهِ
كما يُنكِرُ الدِّينَ القَديمَ عَميلُ
فأصبحَ مِثلَ الفُلكِ في البَحرِ ضائعاً
يَميلُ مَعَ الأمواجِ حَيثُ تَميلُ
يَكادُ يَمدُّ الكفَّ لولا بَقيَّةٌ
مِن الصَّبرِ في ذاكَ الرِّداءِ تَجولُ

● ●

زَوَى نَفسَهُ كي لا يرى النَّاسُ ضُرَّهُ
فيشمَتَ قالٍ أو يُنَمِّرَ عَذولُ
بدارٍ.. أناخَ البُؤسُ فيها رِكابَهُ
وَجرَّتْ عَليها للخرابِ ذُيولُ
مُهدَّمَةِ الجُدرانِ مِثلَ ضُلوعِهِ
بها اليأسُ صَمتٌ وَالسَّقامُ مُجولُ
تَمرُّ عَليها الرِّيحُ وَهيَ حزينةٌ
وَيرنو إليها النَّجمُ وَهوَ ضَئيلُ
إذ ما تَجلَّى البَدرُ في الأفقِ طالِعاً
نَعاهُ، إلى أن يَعتريهِ أُفولُ

حِبالُ الأمانِي عِندَ قومٍ شُعاعــه
وَلَكنَّه في مُقلَتَيــهِ نُصُولُ
فيــا عَجبا حتَّى النُّجُومُ تُضِلُّهُ
وَفي نورِهــا لِلمُدْلجينَ دليــلُ
وَهلْ تَهتَدي بالبَدرِ عينٌ قريحَةٌ
عَلَيها مِن الدَّمعِ السَّخينِ سُدولُ ؟

● ●

غفا النَّاسُ ، وَاستَولَت عَليهِم سَكينَةٌ ،
فَما بالُه استَولى عَلَيــهِ ذُهولُ ؟
تَأمَّــلَ في أحزانِهِ وَشَقَائــهِ
فَهانَ عَليهِ العَيشُ وهو جَميــلُ
تَمُدُّ إلى السِّكِّينِ كفاً نَقيَّةً
أبَتْ أن يَراها تَستغيثُ بَخيــلُ
وَقَرَّبها مِن صَدرِهِ ثمَّ هَزَّهــا
وكاد بهــا نحو الفُؤاد يَميــلُ
وَإذ شَبحٌ يَستَعجِــلُ الخطوَ نَحوَه
وَصوتٌ لَطيفٌ في الظَّلامِ يَقولُ :

رُويدَكَ ، فالضّنكُ الذي أنتَ حامل

مَتى زالَ هذا اللّيلُ سَوفَ يَزولُ

نَعم ؛ هي إحـدى محسِنات نِسائنا

ألا إنَّ أجرَ المُحسِناتِ جَزيـلُ

أبَتْ نفسُها أن يَكحَلَ النَّومُ جفنَها

وَجَفنُ المُعنّى بالسُّهاد كحيلُ

وأن تَتَولّى الابتِسامات ثَغرَهـا

وفي الحَيِّ مكلومُ الفُؤادِ عَليلُ

فألقَتْ إليـهِ صُرّةً وتَراجَعَتْ

وفي وجهِهَا نورُ السُّرور يَجولُ

فلَم تَتَناقلْ صُنعَهـا ألسُنُ الوَرى

ولا قُرِعَتْ في الخافِقَينَ طُبولُ

ولا أحسنَتْ كي تُعلِنَ الصُّحفُ إسمَهَا

فَتَعلَمَ جاراتٌ لهـا وقبيلُ

كذا فليُواسِ البائسِينَ ذوو الغِنى

وإني لهم بالصّالِحاتِ كفيلُ

فَإنَّ القُصُورَ الشّامِقاتِ إذا خَلَت

مِن العِزّ والإحسانِ فهي طُلُولُ

وخيرُ دموعِ الباكياتِ هي التي

مَتى سالَ دَمْعُ البائسينَ تَسيلُ !

• •

ألا إنّ شعباً لا تَعِزُّ نساؤهُ

وإن طارَ فوقَ الفَرقدينِ ، ذَليلُ

وَكلُّ نهارٍ لا يكُنّ شُمُوسَهُ

فذلكَ لَيلٌ حالِكٌ وطَويلُ

وَكلُّ سُرورٍ غيرَهُنّ كآبَةٌ

وَكلُّ نَشاطٍ غيرَهُنّ خُمولُ



يا جارتي

قالتْ لجارتِها يوماً تُسائلُها
عنّي ، وفي طرفِها الوَسْنانِ أشجانُ
ما بالُ هذا الفتى في الدّارِ مُعتزِلاً
كما توَحّدَ نُسّاكٌ ورُهبانُ
يأتي المساءُ عليهِ وهو مُكتئبٌ
ويَرجِعُ اللّيلُ عنهُ وهو حيرانُ
عزٌّ بالقُربِ منّا لا يُكلِّمُنا
وللحديثِ مجالٌ ، وهو مِلسانُ
وإن نُكلِّمْهُ لا يفقهْ مقالتَنا
إلاّ كما يَفقَهُ التّسبيحَ سكرانُ
إذا تبَسّمَ ، لا تبدو نواجذُهُ
وإنْ بكى ، فلهُ نزْعٌ وإرنانُ

كأنَّما نيطَتِ الدُّنيا بعاتِقِهِ

كأنَّما كلُّ عضوٍ فيه بركانُ

فلا ابتسامُ ذواتِ الغَنجِ يطربهُ

ولا ابنَةُ الحانِ تصبيهِ ولا ألحانُ

أ مالَهُ أملٌ حلوٌ يلذُّ بهِ

كما تلَذُّ برأى النُّور أجفانُ

أ مالَهُ جيرَةٌ في الأرضِ يألفهُم

يا جارَتي ، كانَ لي أهلٌ وجيرانُ

فبَتَّتِ الحربُ ما بيني وبينهُمُ

كما تُقَطَّعُ أمراسٌ وخيطانُ

فاليومَ كلُّ الذي في مُهجَتي أَلَمٌ

وكلُّ ما حولَهم بؤسٌ وأحزانُ

وكانَ لي أملٌ إذا كانَ لي وَطنٌ

فيهِ لِنفسي لُباناتٌ وخلّانُ

فجرَّدتهُ اللَّيالي من محاسِنِهِ

كما يُعَرَّى منَ الأشجارِ بستانُ

فلا المغاني التي أشتاقُ رؤيتَها
تلكَ المغاني ، ولا السُّكانُ سكانُ

لو المروءةُ تدري أيَّ فاجعةٍ
بالشام ، ناحَ عليها الإنسُ والجانُّ

ولو يَبيتُ بنو لبنانَ لو عَتَبُهم
لاهتزَّتِ الأرضُ لمَّا اهتزَّ لبنانُ

قالت : شكوتَ الذي بالخلقِ كُلِّهِمِ
وما كذبتُكَ إنَّ الحربَ طوفانُ

تساوتِ الناسُ في البلوى ، فقلتُ لها
هيهاتَ ، ما هانَ قومٌ مثلما هانوا

أمن يموتُ ولا سترٌ يظلِّلُهُ
كمن عليهِ أكاليلٌ وتيجانُ ؟

قالت ، ويا ويحَ نفسي من مقالتِها
كفكِفْ دموعَكَ ، بعضُ الحزنِ أهوانُ

لو كانَ قومُكَ أهلاً للحياةِ لما
ماتوا وفي أرضِهم تُركٌ وألمانُ

وَكلُّ مَن لا يَرى في الذُّلِّ مَنقَصَةً
لا يَستَحِقُّ بأنْ يَبكيهِ إنسانُ

كُفِّي مَلاَمكِ يا حسناء واتَّئِدي
فإنَّ مدحَ ذوي العُدوانِ عُدوانُ

وَأنتِ مِنْ أُمةٍ تَأبى خَلاَئِقُها
أنْ يَقتُلَ الطَّيرَ في الأقفاصِ سَجَّانُ

وَإنَّ قومي طُيُورٌ غيرُ كاسِرةٍ
سَطَتْ عَليها شَواهينٌ وَعُقبانُ

لا تَحسَبي أنَّني أبكي لِمصرَعِهمْ
فَكُلُّنا لِلرَّدى شِيبٌ وَشُبَّانُ

لكنْ بكَيتُ مِنَ الباغي يُعذِّبُهُم
وَهُمْ شُيُوخٌ وَأطفَالٌ وَنِسوانُ

وَرُحتُ أشكو إليها وَهيَ سَاهِيَةٌ
لكنَّما قَلبُها الخَفَّاقُ يَقظانُ

حَتَّى انتَهَيتُ فَصَاحتْ وهيَ مُجهِشَةٌ
يا لَيتَ ما قُلتَهُ زورٌ وَبُهتَانُ

بَلْ لَيتني لم أُسائل عَنكَ جارَتَنا
بَلْ لَيتَ قلبيَ إذْ سَاءَلتَ صوَّانُ

يالَيتَ شِعري وهَذي الحَربُ قائمةٌ
هَلْ تَنجَلي ولَنَا في الشّامِ إخوانُ ؟

وَهل تَعودُ إلى لُبنَانَ بَهجَتُهُ
وَهل أَعودُ وفي لُبنانَ نيسَانُ ؟

فأسمَعَ الطيرَ تَشدو في خمائِلهِ
وَأُبصِرَ الحَقلَ فيهِ الشِّيحُ وَالبانُ ؟

بَني بِلَادي، وَلا أَدعو بَخيلَكُمُ
غيرُ البَخيلِ لهُ قَلبٌ وَوِجدانُ

بَني بِلادي، ولا أَدعو جَبانَكُمُ
مَا للجَبانِ وَلالي فيهِ إيمانُ

بَني بِلَادي، وَكَمْ أَدعو.. ! أَلَيسَ لَكُمْ
كسائِرِ الخَلقِ أَكبادٌ وآذانُ ؟

لا تَضحكُوا وَبأَرضِ الشّامِ نائِحَةٌ
وَلا تَنامُوا وفي لُبنانَ سَهرانُ !

هملت

يَا نَبأً سُرَّ بِـهِ مَسمَعِي | حَتى تَمَنّى أنَّـهُ النَّاقِلُ
أنعَشَ فِي نَفسي المُنى مِثلَمَا | يُحيي الجَديبَ الواكِفُ الهاطِلُ
عَرَفتُ مِنهُ أنَّ ذاكَ الحِمى | بالصّيدِ مِن فِتيانِنا آهِـلُ
عِصَابَةٌ كالعِقدِ فِي « أكرنٍ » | يَعتَزُّ فيها الفَضلُ والفَاضِـلُ
مِن كلِّ مِقدامٍ رَجيحِ النُّهَى | كالسَّيفِ إذ يَصقُلُهُ الصَّاقِـلُ
البَدرُ مِن أزرارِهِ طالِـعٌ | وَالغَيثُ مِن راحتِهِ هَامِـلُ
وَكلُّ طَلقِ الوَجهِ مَوفورِهِ | فِي بُردَتَيهِ سَيِّدٌ مَاثِـلُ

• •

شَبيهَةَ الشَّرقِ ، انعمِي واسلَمِي | كي تَسلَمَ الآمالُ والآمِلُ
بِكُم وَبالرّاقِينَ أمثالِكُم | يَفتَخِرُ العَـالِمُ والعَامِـلُ
بَعَثتُمُ « هَملِت » مِن رَمسِهِ | « فَهَملِتٌ » بَينَكُمُ مَاثِلُ
عِشي وَيَعشي الطَّيفُ فِي إثرِهِ | كلاهُما مِمَّـا بِـهِ ذاهِلُ

لا يَضحَكُ السَّامِعُ مِن هَزلِهِ كم عِظَةٍ جاءَ بِهَا الهَازِلُ
روايَةٌ يَظهرُ فيها لكم كيفَ يُداجِي الصَّادِقَ الخاتِلُ
وتَنكُثُ المرأةُ ميثاقَها وكيفَ يُجزى المجرمُ القاتِلُ
وإنَّما الإنسانُ أخلاقُه لا يَستوي النَّاقِصُ والكامِلُ
والنَّفسُ كالمرآةِ إنْ أُهمِلَتْ يَعلو عَلَيها الصَّدأُ الآكِلُ
والنَّاسُ أدوارٌ، فذا صَاعِدٌ يُرَاوِدُ الشُّهبَ وَذا نازِلُ
والدَّهرُ حالاتٌ، فيومٌ بِهِ نحسٌ، ويومٌ سَعدُهُ كامِلُ
فمَثِّلوا الجهلَ وأضرارَهُ حتَّى يُعادي جهلَهُ الجاهِلُ
ومَثِّلوا الفضلَ وآياتِهِ كي يَستزيدَ الرَّجلُ الفاضِلُ
وصَوِّروا المجدَ بِلألائِهِ عَسى يُفيقُ الهاجِعُ الغافِلُ
ويَرجِعُ الشَّرقُ إلى أوجِهِ كما يَعودُ القَمَرُ الآفِلُ
وابنوا إلى الآتينَ مِن بَعدِكم يَبنِ لِمن يَخلفُهُ القابِلُ
مادُمتُمُ للحقِّ أنصارَهُ هيهاتَ أن يَنتَصِرَ الباطِلُ

العيون السود

لَيتَ الّذي خَـلَقَ العُيُونَ السُّودَا

خَلَـقَ القُلُوبَ الخَافِقَاتِ حَديدا

لولا نَواعِسُها ولولا سِحرُهَـا

مَا وَدَّ مَالِـكُ قَلبِهِ لو صِيـدا

عَوِّذْ فُؤادَكَ مِن نِبالِ لِحاظِهـا

أو مُتْ كـا شَاءَ الغَرامُ شَهِيدا

إِنْ أَنتَ أَبصَرتَ الجَمالَ وَلَم تَهِـمْ

كُنتَ امرءاً خَشِنَ الطِّباعِ ، بَليدا

وَإذا طَلَبتَ مَعَ الصَّبابَةِ لَذَّةً

فَلَقَد طَلَبتَ الضَّائِـعَ الموجودا

يا ويـحَ قَلبي إِنَّهُ في جَانِبي

وَأَظُنُّـهُ نائي المَزارِ بَعيـدا

مُستوفِزٌ شوقاً إلى أحبابِهِ
المرء يكرَهُ أن يَعيشَ وَحيدا (١)

بَرأَ الإلَهُ لَهُ الضُّلوعَ وقايَةً
وَأَرَتهُ شِقوَتُـهُ الضُّلوعَ قُيودا

فإذ هَفا بَرقُ المُنى وَهفا لَهُ
هاجَتْ دَفائنُـهُ عَليهِ رُعودا

جَشَّمتُهُ صَبراً فلمّا لم يَطِقْ
جَشَّمتُهُ التَّصويبَ والتَّصعيـدا

لو أستَطيعُ وَقَيتُهُ بَطشَ الهَوى
وَلَوِ استَطاعَ سَلا الهَوى مَحمُودا

هي نَظرَةٌ عَرَضَت فَصارَتْ في الحَشا
ناراً وصارَ لَهـا الفُؤادُ وَقودا

والحبُّ صوتٌ ، فهو أَنَّةُ نائِـحٍ
طوراً وَآونَةً يَكونُ نَشيدا

يَهَبُ البواغِمَ أَلسُناً صَدّاحَـةً
فـإذا تَجَنّى أَسكَتَ الغِرّيدا

(١) مستوفز : يتوثب غير مطمئن .

مَالي أُكلِّفُ مُهجَتي كتمَ الأَسى

إنْ طَالَ عَهدُ الجُرحِ صَارَ صَديدا

وَيلذُّ نَفسي أَن تَكونَ شَقيَّةً

وَيَلذُّ قَلبي أَن يَكونَ عَميدا

إنْ كُنتَ تَدري مَاالغَرامُ فَداوِني

أَو، لا فَخَلِّ العَذلَ والتَّفنيدا

● ●

يا هندُ قَدْ أَفنى المَطَالُ تَصَبُّري

وَفَنيتُ حَتَّى مَا أَخافُ مَزيدا

مَاهذه البِيضُ التي أَبصَرتُها

في لِمَّتي إلاَّ اللَّيالي السُّودا

ماشِبتُ مِنْ كِبَرٍ ولَكنَّ الَّذي

حَمَّلتِ نَفسي حَمَّلَتهُ الفُودا

هَذا الَّذي أَبلى الشَّبابَ وَرِدَّهُ

خَلقاً وَجَعَّدَ جَبهتي تَجعيدا

عَلَّمتِ عَيني أَن تَسُحَّ دُمُوعَها

بِالبُخلِ عَلَّمتِ البَخيلَ الجُودا

وَمَنعتِ قلـبي أنْ يقرَّ قرارُهُ

وَلَقَد يكونُ عَلَى الخُطوبِ جَليدا

دَلَّهتِني وَحَمَيْتِ جَفني غمضَهُ

لا يُستطاعُ مَعَ الهُمومِ هُجُودا

لا تَعجَبي أنَّ الكواكبَ سُهَّدٌ

فأنا الَّذي عَلَّمتُهَا التَّسهيدا

أَسمَعتُها وَصفَ الصَّبابةِ فانثَنتْ

وَكأَنَّما وَطِىءَ الحُفاةُ صُرودا (١)

مُتعثِّراتٍ بالظَّلامِ كأَنَّما

حالَ الظَّلامُ أساوداً وأُسودا

وأَنَّها عَرفتْ مكانَكِ في الثَّرى

صارَتْ زواهِرُها عَليكِ عُقودا

أنتِ التي تُنسي الحَوائِجَ أَهلَهَا

وأَخا البَيانِ بَيانَهُ المَعهودا

مَا شِمتُ حُسنَكِ قَطُّ إلاَّ راعَني

فَوَددتُ لو رُزِقَ الجَمالُ خُلودا

(١) الصرود : جمع صرد (محركة بالفتح) وهي مسمار في السنان يشك فيه الرمح .

وإذا ذكرتُكِ هزَّ ذِكرُكِ أضلُعي
شوقاً كما هزَّ النسيمُ بُنودا

فحسبتُ سِقطَ الطلِّ ذوبَ محاجري
لو كانَ دمعُ العاشقينَ نضيدا

وظننتُ خافقةَ الغُصونِ أضالعاً
وثمارَهنَّ القانياتِ كبودا

وأرى خيالَكِ كلَّ طرفةِ ناظرٍ
ومِنَ العجائبِ أن أراهُ جديدا

وإذا سمعتُ حكايةً عن عاشقٍ
عرضاً حسبتُني الفتى المقصودا

مُستيقظٌ ويظُنُّ أني نائمٌ
ياهندُ ، قد صارَ الذهولُ جمودا

ولقد يكونُ ليَ السُّلوُّ عنِ الهوى
لكنَّها خُلقُ المحبِّ وُدودا

* * *

هاتها

هَاتِهَا في القَدَحِ ... نسمةً في شَبَحِ
هَاتِهَا فالنَّفسُ في ... حَاجَةٍ للفَرَحِ
وَاسقِنِيها كوثراً ... وَعَليَّ اقترِحِ
إنْ تكنْ قدْ حُرِمَتْ ... نَعَلى المستقبحْ
هِيَ في صُفرَتِها ... طَلعَةُ المفتَضحِ
وَهِيَ في حُمرَتِها ... كَخَدِيدِ المستَحي
وَهِيَ في شِدَّتِها ... ثورةُ المجترحِ
وهي في رقّتِها ... خاطرٌ لم يَلُحِ
أَتراهَا شَفَقاً ... كُلِّلَتْ بالصُّبحِ
أم هِيَ الوَجَناتُ قدْ ... ذُوِّبَتْ في قدَحِ ؟

إلى صديق

مَا عزَّ مَن لم يصحَبِ الخذِمَا
فاحطِمْ دَواتَكَ، واكسرِ القَلَما(١)

وارحمْ صِباكَ الغَضَّ، إنَّهُمُ
لا يَحمِلُونَ وتَحمِلُ الألَما

كم ذا تُناديهمْ وقد هَجَعُوا
أحَسِبتَ أنَّكَ تُسمِعُ الرِّمَما

ما قامَ في آذانِهمْ صَمَمٌ
وكأنَّ في آذانِهمْ صَمَما

القومُ حاجَتُهمْ إلى هِمَمٍ
أوَ أنتَ مِمَّنْ يَخلقُ الهِمَما؟

تاللهِ لو كُنتَ «ابنَ ساعِدَة»
أدَباً «وحاتِمَ طيِّءٍ» كرَما

(١) الخذم: السيف القاطع.

وَبَذَذَتَ « جَالينوسَ » حِكمَتَهُ
وَالعِلمَ « رِسْطَطَاليسَ » وَالشِّيَما

وَسَبَقتَ « كولَمبوسَ » مكتَشِفاً
وَشَأَوتَ « آديسونَ » مُعتَزِما

فَسَلَبتَ هــذا البَحرَ لُؤلؤَه
وَحَبَوتَهُــمْ إِيَّاهُ مُنتَظِما

وَكَشَفتَ أَسرارَ الوُجودِ لَهُمْ
وَجَعَلتَ كلَّ مُبَعَّدٍ أَمَما

مَا كُنتَ فيهمْ غيرَ مُتَّهَمٍ
إِني وَجَدتُ الحُرَّ مُتَّهَما

هَانوا عَلى الدُّنيا فَلَا نِعَماً
عَرَفَتهُمُ الدُّنيا وَلا نِقَمَا

فَكَأَنَّمَا في غيرِهَا خُلِقُوا
وَكأنَّمَا قَد آثَروا العَدَمَا

أَوَ ما تَراهُمْ ، كُلَّمَا انتَسَبوا
نَصَلوا فَلا عُرُبَاً ولا عَجَما

لَيسوا ذوي خَطَرٍ وقَــد زَعَمُوا
وَالقَربُ ذو خَطَرٍ وَما زَعَمـا

مُتخاذلــينَ عَــلى جَهالَتِهمْ
إنَّ القويَّ يَهونُ مُنقَسِما

فَالبَحرُ يَعظُمُ وهو مُجتَمِــعٌ
وَتَراهُ أَهوَنَ ما يُرى دِيَمـا

وَالسُّورُ مَـا يَنفَكُّ مُمتَنِعـاً
فإذا يُناكَرُ بَعضُهُ انهدَمـا

وَالشَّعبُ لَيسَ بناهِضٍ أبَـداً
مادامَ فيــهِ الخُلفُ مُحتَكِما

يالَـلأديبِ ومَا يُكابِدُهُ
في أُمــةٍ لا تُشبِهُ الأُمَمـا

إنْ باحَ لَم تَسلَمْ كرامَتُهُ
والإثمُ كلُّ الإثمِ إن كتَما

يَبـكي فَتَضحَـكُ مِنهُ لاهِيَةٌ
وَالجَهلُ إن يَبـكِ الحِجى ابتَسَما

جاءت وما شعر الوجودُ بها
ولسوف تمضي وهو ما علما

سار الشعوبُ إلى العُلى عنقاً
وونت فلم تنقل لها قدما (١)

ما أحدثت في الدهرِ طارفةً
تبقى ، وليس تليدُها علما

ضعفت فلا عجبٌ إذا اهتضمت
الليثُ ، لولا بأسهُ ، اهتضما

فلقد رأيتُ الكونَ ، سُنّتهُ
كالبحرِ يأكلُ حوتُهُ البلما (٢)

لا يرحمُ المقدامُ ذا خورٍ
أو يرحمُ الضرغامةُ الغنما ؟

● ●

يا صاحبي ، وهواكَ يجذبني
حتى لأحسبُ بيننا رحما

---

(١) العنق : السير السريع . (٢) البلم : السمك الصغير .

مَاضَرَّنا ، والودُّ مُلتَئِمٌ
أنْ لا يَكونَ الشملُ مُلتئِمَا

النَّاسُ تقرأُ مَا تُسَطِّرُهُ
حِبراً ، وَيَقرَأُهُ أخوكَ دَمَا

فاستَبقِ نَفساً ، غيرُ مُرجِعِهَا
عَضُّ الأنامِلِ بَعدَهَا نَدَمَا

مَا أنتَ مُبدِلُهم خَلائِقَهُمْ
حَتّى تَكونَ الأرضُ وهي سَمَا

زارَتكَ لم تَهتِكْ مَعانِيَها
غَرَّاءَ يَهتِكُ نورُهَا الظُّلَمَا

سَبقَتْ يَدي فِيهَا هَواجِسَهُم
وَنَطقتُ لَمّا استَصحَبوا البُكمَا

فَإذا تُقَاسُ إلى رَوائِعِهِمْ
كانَتْ رَوائِعُهُمْ لَها خَدَمَا

كالرَّاحِ لَمْ أرَ قَبلَ سَامِعِها
سَكرانَ ، جِدَّ السُّكرِ ، مُحتَشِمَا

يَخِدُ القِفارَ بها أخو لَجَبٍ

ينسي القِفارَ الأَينُق الرسما

أقبَسْتُهُ شَوقي فأَضلُعُهُ

كأضالعي مملوءَةٌ ضَرَما

إنَّ الكواكبَ في مَنازِلِها

لو شئتُ لاستنزَلتُها كَلِما



باخرة القناصة

سيري تُراعيكِ النجومُ الساهرهْ
ليلًا ، وعينُ الشمسِ عندَ الهاجرَهْ
فَلأنتِ عندَ الشرقِ أجملُ باخرهْ
تجري إليهِ بها المياهُ الزاخرَهْ

يَاليتَ أني فيكِ أو إيّاكِ

سيري تداعبُ فوقكِ الريحُ العَلَمْ
وتُلاطفُ البحرَ الخضمّ إذا احتدَمْ
بُورِكتِ باخرةً وبوركَ مَنْ عَلِمْ
فيكِ الخلاصُ لساكني تلكَ الأكَمْ

يَاليت أني فيكِ أو إيّاكِ

فِي الشَّرقِ أَحبابٌ عَلَى جَمرِ الغَضَا

نَقَمَ الزَّمانُ عَليهمُ بَعدَ الرِضَى

هَجَروا الكرى وَتَطَلَّعوا نَحوَ الفَضَا

يَتَوَقَّعونَكِ كُلَّمَا بَرقٌ أَضَا

سيري فَإِنَّ الحَربَ فِي مَسراكِ

بَيروتُ ... يَا بِنتَ البُخارِ الجَارِيَه

فَإِذا سُئِلتِ مِنَ البَقَايا البَاقِيَه

قُولِي لَهمْ إِنَّ الحَيَاةَ الهَانِيه

لَمْ تُنسِنا سُكَّانَ تِلكَ النَّاحِيَه

أَمَّا الدَّليلُ ، فَحَسْبُنا إِيَّاكِ ..!



مصرع القمر

لَوعَةٌ في الضُّلوعِ مِثلُ جَهَنَّمْ
تَرَكَتْ هَذِهِ الضُّلوعَ رَمادا

بِتُّ مَرمىً لِلدَّهرِ بي يَتَعَلَّمْ
كيفَ يُصمي القُلوبَ والأكبادا

كَيفَ يَنجُو فُؤادُهُ أو يَسلَمْ
مَن تَمادى بِهِ الأسى فَتَمادى

أنا لَولا الشُّعورُ لَمْ أتَألَّمْ
لَيتَ هَذا الفُؤادَ كانَ جَمادا

•

كيفَ لا أبكي وفي العَينِ دُموعْ   كيفَ لا أشكُو وَفي القَلبِ صُدوعْ

قَلَّ في النّاسِ مَنْ صَبَرْ   مُختارا

• •

لحظةً ، ثمَّ صارَ ضِحكي وجيبا
وَنشيجاً ، والنومُ صارَ سُهـادا

ربِّ لَمّـا خلقتَ هذي الخطوبا
لِمَ لَمْ تخلُـقِ الحشا فُولادا

كُلّما قلتُ قدْ وَجدتُ حبيبًا
طَلَـعَ الموتُ بَينَنـا يتهادى

صِرتُ في هذهِ الحياةِ غريبـا
لَيتَ سُهدي الطويلَ كانَ رُقادا

•

فَتجلّدْ أيُّهـا القلبُ الجزوعْ أو تَدفّقْ كُلّما شاءَ الوَلوعْ
عَندمًا أو دمـاً هُـدِرْ أو نارا

• •

كانَ بَينَ الكرى وَبيني صُلحُ
فأرادَ القضاءُ أنْ نتعـادى

لَم أكدْ أخلَعُ السَّوادَ وأصحو
مِن ذُهولي حتّى لَبستُ السَّوادا

في فُؤادي ، لو يَعلَمُ النَّاسُ ، جُرحٌ

لا يُلاشى حتَّى يُلاشي الفُؤادا

يا خليلي ، هيهاتَ يَنفعُ نُصحٌ

بَعدَما ضَيَّعَ الحزينُ الرَّشادا

●

أنتَ لا تستَطيعُ إحياءَ الصَّريعْ وأنا ، حَملَ الأَسى لا أستطيعْ

ذا الَّذي صيَّرَ الكَدَرْ إكدارا

● ●

يا ضَريحاً على ضِفافِ الوادي

جادَ مِن أجلِكَ الغَمامُ البِلادا

فيكَ أَودَعتُ ، منذُ سِتٍ ، فؤادي

وبِرَغمي أطلتُ عنكَ البِعادا

غيرَ أنّي ، وإن عَدَتني العَوادي

ما عَدتني بالرّوحِ أن أرتادا

أنبَتَتْ حولَكَ الزُهورُ الغَوادي

واللَّيالي أنبَتْنَ حولي القَتادا

●

وذُبولُ الغُصنِ في فَصلِ الرَّبيعْ لو رآهُ شَجرُ الرَّوضِ المَريعْ

جَمَدَ المــاءُ في الشَّجرْ مُحتارا

● ●

كيفَ لا يَتَّقي الكرى أجفاني

وجُفُوني قــد استَحلنَ صِعادا

وَدُموعي بلونِهـا الأرجواني

مَنهَــلٌ لَيسَ يُعجِبُ الوُرّادا

والَّذي في الضُّلوعِ مِنْ نيرانِ

صارَ ثوبـاً وَمَقعداً وَوِسادا

كيفَ يَقوى عَلى الشَّدائدِ عانِ

أكَلَ السُّقمُ جِسمَهُ أو كادا

فإذا ماغَشِيَ الطَّرفَ النَّجيــعْ فَتَذَكَّرْ أنَهُ القَلبُ الصَّديعْ

كَــظَّهُ الحُزنُ فانفَجَرْ انفِجارا

● ●

طَــائِرٌ كانَ في الرُّبى يَتَغَنّى

أصبَحَ اليومَ يَحمِلُ الأصفادا

غُصُنٌ كانَ والصِبا يَتَثنّى

هَصَرَتْهُ يَدُ الرَدى فانآدا

نالَ مِني الزَمانُ ما يَتَمنّى

وأبى أنْ أنالَ مِنهُ مُرادا

وتجنّى ما شاءَ أن يَتَجنّى

واستَبَدَّتْ صُروفُهُ استِبدادا

●

حطَّمَ السَيفَ وما أبقى الدُروع وتَداعى دونَهُ السُورُ المَنيعْ

وأراني مِنَ العِبَرِ أطوارا

● ●

ما لِهذي النُجوم تأبى الشُروقا

أتخافُ الكواكِبُ الأرصادا

فَرَطَ البَينُ عِقدَها المَنسُوقا

أم لِما بي أرى البَياضَ سَوادا

أم فقِدنَ كما فقَدتُ شَقيقاً

فلَبِسنَ الدُجى عليهِ حِدادا

ما لِعيني لا تُبصِرُ العيُّوقا

وَلَقَدْ كانَ ساطِعاً وَقّادا

●

ساهِراً يختالُ في هذا الرّقيعْ هل أتاهُ نبأُ الخطبِ الفَظيع

أم رأى مصرعَ القمَرْ فتوارَى

● ●

سدَّدَ الدَّهرُ قوسَهُ ورَماني

لمْ تحدْ مُهجتي ولا السَّهمُ حادا

هكذا أسكَتتْ صُروفُ الزّمانِ

بلبُلاً كانَ نوحُهُ إنشادا

فهوَ اليومَ في يَدِ السَّجّانِ

يشتهي كل ساعةٍ أنْ يُصادا

فاحسِبوني أُدرِجتُ في الأكفانِ

إنْ أنفتُمْ أنْ تحسِبوا القولَ بادا

●

ليسَ في هذي ولا تِلكَ الرُّبوعْ مايُسَلّي النّفسَ عن ذاكَ الضَّجيعْ

قبرَهُ ، جادَكَ المَطرْ مدرارا

● ●

في فراش المرض

مَرِضتُ فأرواحُ الصِّحابِ كئيبةٌ

بها ما بنفسي ، ليتَ نفسي لها فِدَى

تَرِفُّ حيالي كلّما أغمضَ الكرى

جُفوني جَماعاتٍ ومَثنى ومَوحِدا

تَراءى فآنـاً كالبُدورِ سوافِراً

وآونةً مِثلَ الجُمانِ مُنضَّـدا

وطَوراً أراها حائِراتٍ كأنّها

فراقِدُ قد ضَيَّعنَ في الأرضِ فرقَدا

وَطوراً أراها جازِعاتٍ كأنّما

تخافُ مَـعَ الظَّلماء أن تتَبَدَّدا

أحِنُّ إليهـا رائحـاتٍ وعُوَّدا

سَلامٌ عليهـا رائحـاتٍ وعوَّدا

تهشُّ إليهـا مُقبلاتٍ جوارحي

كما طرب السّاري رأى النّورَ فاهتدى

وألقي إليها السّمعَ ما طالَ همسُها

كذلكَ يسترعي الأذانُ الموحِّدا

ويغلبُ نفسي الحزنُ عندَ رحيلِها

كما تحزَنُ الأزهارُ زايَلَها النّدى

كرِهتُ زوالَ اللّيلِ خوفَ زوالها

وعوّدتُ طرفي النّومَ حتى تعوّدا

ولو أنّها في الصّحوِ تطرُقُ مضجعي

حميتُ الكرى جفني وعشتُ مسهّدا

ولو لم تكن تعتادُ منيَ مثلهـا

خيالاتها همّـتْ بـأنْ تتقيّدا

فياليتني طيفٌ أروحُ وأغتـدي

وياليتهـا تستطيعُ أن تتقيّـدا

نحلتُ إلى أنْ كدتُ أنكِرُ صورتي

وأخشى لفرطِ السُّقمِ أنْ أتنهّدا

مَبيتي عَلى مِثْلِ الوَثيرِ لِيانَةً

وَأَحسَبُني فَوقَ الأَسِنَّةِ وَالمُدى

كَأَنَّ خُيُوطَ المَهدِ صارَتْ عَقارِباً

كَأَنَّ وِسادي قَد تَحوَّلَ جلمُدا

لَقَد توشِكُ الحُمّى، إذ جَدَّ جِدُّها

تُقَوِّمُ مِن أَضلاعِيَ المُتَأَوِّدا

تُصَوِّرُ لي طَيفَ الخَيالِ حَقيقَةً

وَأَحسَبُ شَخصاً واحداً مُتَعَدِّدا

لَقَد ضَعضَعَتني، وَهي سِرٌّ، وَلَم يَكُنْ

يُضَعضِعُني صَرفُ الزَّمانِ إذا عَدا

إذا ما أنا أَسنَدتُ رأسي إلى يَدي

رَمَتنيَ مِنها بِالَّذي يوهِنُ اليَدا

تَغَلغَلَ في جِسمي النَّحيلِ أُوارُها

فَلَو لَم أَقُدَّ الثَّوبَ عَنهُ تَوَقَّدا

رَأَيتُ الَّذي لَم يُبصِرِ النَّاسُ نائِماً

وَطُفتُ الدُّنى شَرقاً وَغَرباً مُوَسَّدا

يَقولُ النُطاسِي او تَبَلَّدتَ ساعَةً
تَبَلَّدتُ لو أنِّي أطيقُ التَّبَلُّدا

تَهامَسَ حولي العَائدونَ ورَجَّمُوا
وَعَنَّفَ بعضُ الجَاهِلينَ وَفَنَّدا

فما ساءني إلاَّ شَماتَـةُ مَعشَرٍ
رَجَوتُ بهِمْ عِندَ الشَدائدِ مُسعِدا

أسَأتُ إليهِمْ، بل أساؤوا فإنَّني
ظَنَنتُهُم شَرْوايَ خُلقـاً وَمَحتِدا

أحبَّ الضَّنى قَومٌ لأنِّي ذُقتُـهُ
وأحبَبْتُهُ كيما يُحَبَّ ويُحسَدا

وَوَدَّ أُناسٌ لو يُعاجِلُني الرَّدى
كأنِّيَ أرجُو فيهمُ أن أُخَلَّدا

وما ضَمِنُوا أنْ لا يَموتوا وإنَّما
يَوَدُّ زَوالَ الشَّمسِ مَنْ كانَ أرمَدا

إذا اللَّيلُ أعياهُ مُساجلة الضُّحى
تَمَنَّى لَوَ انَّ الصُّبحَ أصبَحَ أسوَدا

عَلى أنّني وَالدّاء يأكُلُ مُهجَتي

أرى العَارَ، كلّ العارِ، أن أحسُدَ العِدَى

فإنّ الّذي بالجسمِ لا بُدَّ زائِلُ

ولكنّ مابالطّبعِ ينفكُّ سرمَدا

لئِنْ أجلَبَ الغوغاء حولي وأفحشُوا

فكم شتمُوا موسى وَعيسى وأحمدا

ولا عجَبٌ أن يُبغِضَ الحُرَّ جاهِلٌ

متى عشِقَ البومُ الهَزارَ المُغرّدا ؟

وإنّيَ في كَبتِ العُداةِ وَكَيدِهم

كمَنْ يَسلُكُ الدّربَ القصيرَ المُعبَّدا

وَلَكِنّني أعفو وَللغَيظِ سَورَةٌ

أُعلِمُ أعدائي المروءَةَ وَالنَّدى

ألا رَبَّ غِرٍّ خامَرَ الشَّكُّ نفسَهُ

فلمّا رآني أبصَرَ البَحرَ مُزبِدا

فَأصبَحَ يخشَاني وَقد بتُّ ساكِتاً

كما كانَ يَخشاني وَقد كُنتُ مُنشِدا

وَيَرْهَبُ إسمي أن يَطيفَ بِسَمعِهِ

كما تَتَّقي الدَّرداءُ حرفًا مُشَدَّدا

وَمَن نالَ مِنهُ السَّيفُ وهو مُجرَّدٌ

تَهَيَّبَ أن يَرنو إلى السَّيفِ مُغمَدا

أُحِبُّ الأَبيَّ الحُرَّ لا وِدَّ عِندَهُ

وَأَقلي الذَّليلَ النَّفسِ مهما تَوَدَّدا

وَبَينَ ضُلوعي قَلبٌ مَا تَمَرَّدَتْ

عَليهِ بَناتُ الدَّهرِ إلاَّ تَمَرَّدا

ولو أنَّ مَن أهوى أطالَ دَلالَهُ

مَنَعتُ هَواهُ أن يَجوزَ بِيَ المَدى

لِتَرمِ العَوادي بي العَوادي فإنَّني

تَرَكتُ لِمَن يَهواهُما اللَّهوَ والدَّدا

رثاء *

أودى فنُورُ الفرقَدينِ ضئيلُ

وَعلى المَنازلِ رَهبَةٌ وذُهولُ

خلَقَ الأسى في قلبِ من جهلَ الأسى

قولُ المُخبرِ : مَاتَ رافائيلُ

فمِنَ الجوى بَينَ الضُلوعِ صَواعِقُ

وَعَلى الخُدودِ مِنَ الدُموعِ سُيولُ

قالَ الَّذي وَجدَ الأسى فوقَ البُكا

وَبكى الَّذي لا يَستَطيعُ يَقولُ

يا مُؤنِسَ الأمواتِ في أرماسِها

في الأرضِ بَعدكَ وَحشَةٌ وخُمولُ

---

* المثلث الرحمة المغفور له المطران رفائيل هواويني

لا الشمسُ سافِرَةٌ ولا وَجهُ الثَّرى

حالٍ، ولا ظِلُّ الحَياةِ ظَليلُ

مازالَ هذا الكونُ بعدَكَ مِثلَهُ

لكنَّ نورَ الباصراتِ كليلُ

نِبراسُنا في ليلِ. كلِّ مُلِمَّةٍ

اللَّيلُ بَعدَكَ حالِكٌ وطويلُ

هَبني بَيانَكَ، إنَّ عقلي ذاهِلٌ

ساهٍ وَغَربُ يَراعَتي مَفلولُ

قد فتَّ في عضُدِ القَريضِ وَهَدَّهُ

هَولُ المُصابِ، فعِقدُهُ مَحلولُ

مالي أرى الدُّنيا كأنِّي لا أرى

أحداً كأنَّ العالَمِينَ فُضولُ

أبكي إذا مرَّ الغِناءُ بِمسمَعي

فكأنَّ شَدوَ الشَّادياتِ عَويلُ

نفسي التي عَلَّلتني بِلِقائهِ

اليومَ لا أملٌ ولا تعليلُ

ذوبي فإنَّ العِلمَ مادَ عِمَادُهُ

وَالدِّينَ أغمِدَ سيفُهُ المَسلولُ

هَذا مَقامٌ لا التَّفجُّع سُنَّةٌ

فيهِ ولا الصَّبرُ الجميلُ جَميلُ

ما كُنتُ أدري قبلَ طارَ نَعِيُّهُ

أنَّ النُّفوسَ مِنَ العُيُونِ تَسيلُ

مَا أحمقَ الإنسانَ يَسكُنُ للمُنى

وَالموتُ يَخطُرُ حولَهُ ويَجُولُ

يَهوى الحَياةَ كأنَّما هو خالدٌ

أبداً وَيعلَمُ أنَّهُ سَيزولُ

وَمِنَ العَجائبِ أن يَحِنَّ إلى غدٍ

وَغدٌ، وما يأتي بهِ، مَجهولُ

لا تَركَنَنَّ إلى الحَياةِ فإنَّها

دُنيا هَلُوكٌ الرِّجالِ قَتُولُ

سَكَتَ الَّذي راضَ الكَلامَ وَقادَهُ
حَتى كَأَنَّ لِسانَهُ مَكبولُ
ياقائِلَ الخُطَبِ الحِسانِ كَأَنَّها
لِجَمالِها ، الإِلهامُ وَالتَّنزيلُ
إِنْ كانَ ذاكَ الوَجهُ حَجَّبَهُ الثَّرى
لِلنَّجمِ في كَبِدِ السَّماءِ أُفولُ
لَيسَ العِظامُ بِناقِدٍ لَكِنَّما
قَدرُ العَظيمِ عَلى العَظيمِ دَليلُ
نَمْ تَحرُسِ الأَملاكُ قَبرَكَ إِنَّهُ
فيهِ الوَقارُ وَحَولَهُ التَّبجيلُ
فَلَكَم قَطَعتَ اللَّيلَ خافِ نَجمُهُ
مُتَهَجِّداً ، والسَّاهِرونَ قَليلُ
مُستَنزِلاً عَفوَ الإِلَهِ عَنِ الوَرى
حَتى كَأَنَّكَ وَحدَكَ المَسئولُ
تَبغي اللَّذاتِ النُّفوسُ وَتَشتَهي
واللهُ ماتَبغيهِ والإِنجيلُ

لولا مدارسُ شدتها وكنائسٌ

ما كانَ إلاَّ الجهلُ والتعطيلُ

أنفقتَ عمرَكَ في الإلهِ مجاهداً

أجرُ المجاهدِ في الإلهِ جزيلُ



فتح اورشليم

لله ما أحلى البَشيرَ وَقَولَهُ

سَقَطَ الهِلالُ إلى الحَضيضِ ودالا(١)

بُشرى نَسينا كلَّ شَيءٍ قَبلَها

النَّاسَ والدَّولاتِ والأجيالا

رَدّتْ عَلى الشَّيخِ المُسِنِّ شَبابَهُ

وَعَلى الحَزينِ اليائِسِ الآمالا

وَعَلى الصَّديقِ صَديقَهُ ، وعَليهِما

أبويهما ، وعَلى الأبِ الأطفالا

لو سَاوَمُ الخَلقُ الَّذى وافى بها

بذَلوا لهُ الأَرواحَ والأموالا

• •

---

(١) يريد بالهلال دائماً : الأتراك .

مَن مُبلغ الأبطـالِ عَني أنني
أهوى القُرومَ الصيدَ والأبطالا

بالأمسِ قطعَتِ الجزيرةُ قيدَها
ورَمَتْ بوجهِ الغاشمِ الأغلالا

واليومَ ودّعتِ المظالمَ أختُهـا
ومشت تجرُّ ذيولهـا إدلالا

أبنـاتِ أورشليمَ ضمخنَ الثرى
بالطّيبِ وامـلأنَ الدروبَ جمالا

حتّى يمرّ الفاتحونَ فـإنّهمْ
كشفوا الأذى عنكنّ والإذلالا

فاخلعنَ أثوابَ الكآبةِ والأسى
والبسنَ مِن نورِ الضحى سِربالا

وانفحنَ بالبسماتِ كلّ سَميـذَعٍ
خاضَ العجاجَ ووجهُـهُ يتلألا

هـذا مجالٌ للفتى أن يزدهي
فيـهِ، وللحسناء أن تختالا

يا قائدَ القِيدِ النُّطارِفَةِ الأُلَى

تحنى الرؤوسُ، لذكرهم، إجلالا

ظَنَّ المغولُ جنودَهم تحميهمْ

والقِردُ يحسَبُهُ أبوهُ غزالا

فتألّبوا وتهدّدوا وتوعّدوا

حتّى طلعتَ فأجفَلُوا إجفالا

ذُعْرَ الطُّيورِ سَطا عليهم باشِقٌ

وبناتِ آوى أبصَرَتْ رئبالا

كم جحفلٍ بعثوا إليكَ معَ الدُّجى

لاقاهُ جيشُكَ، والصَّباحَ، فزالا

طارَدتهمْ فوق الجبالِ وتحتَها

كالليثِ يطرُدُ دونَهُ الأوعالا

فملأتَ هاتيكَ الأباطحَ والرُّبى

بجسومِهمْ وملأتَهمْ أهوالا

وحميتَ إلاّ السُّهدَ عن أجفانهمْ

ومنعتَ إلاّ عنهمُ الأوجالا

سَاقوا إلَيكَ مِئينَهُمْ وأُلوفَهمْ
فِرَقَاً وسُقتَ إليهمُ الآجَالا

وَصنَعتَ مِن أسيافِهم ودروعِهمْ
لِرقابِهمْ وزنودِهِمْ أغلَالا

لَولم تَسَاقِطْهم إلَيكَ جِبالُهمْ
عِنـدَ الضحى زَلزلتها زِلزَالا

إن يَأمنوا وَجَـدوا المَنَايا يَمْنةً
أو يَأسروا وَجَدوا الجُيوشَ شَمالا

وَشَكَتْ خيولُكَ في المَيادينِ الوَجى
فَجعلتَ أرؤسَهم لهنَّ نِـعالا

ورَأوكَ قد عَرَضتَ صدرَكَ للظُبى
عِندَ الحُصُونِ فعَرَضوا الأكفالا

• •

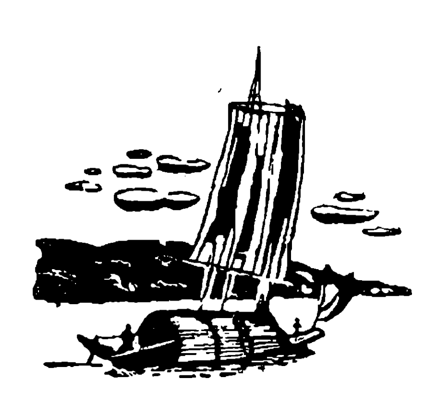
هُنِئتَ بالنَصرِ المُبينِ فإنــهُ
نَصرٌ يَعِزُ عَلى سواكَ مَنالا

هَذي القُلوبُ نَسجتُها لَكَ أَحرُفاً

أَو أَستَطيعُ صَنعتُها تمثالا

أَرضَيتَ موسى والمَسيحَ وَأَحَمداً

والنَّاسَ أَجمَعَ وَالإِلَهَ تَعالى



إلى الفاتح (١)

« ألانبي » ، لو طبعنا الشمس يوماً
وقلّدناكها سيفاً صفيحا
ورصّعناه بالشهب الدراري
لما زدناك فخراً أو مديحا
لأنّك أشجع الأبطال طرّاً
وأعظم قادة الدنيا فتوحا
إذا ما مرّ ذكرك بين قوم
رأيت أشدّهم عيّاً فصيحا
فكم داويت سوريّا مريضاً
وكم أسقمت تركيّاً صحيحا

---

(١) يبدو أن هذه القصيدة قد قالها الشاعر وهو في أوج غمرة الفرح للخلاص من نير الاتراك ، دون أن يحسب للمستقبل حساباً ! ....

وَكم قَـد صُنتَ في بَيروتَ عِرضاً

وَكم أَمّنتَ في الشّهبـاء روحا

غَضِبتَ على « الهِلالِ » فَخرَّ ذُعراً

وَلحتَ لَهُ فَحاذَرَ أن يَلوحـا

عَصفتَ بِهِمْ فَأَمسَى كلُّ حِصنٍ

لِخَيلِ النَّصرِ ميدانـاً فَسيحا

مَشَت بِـكَ هِمّةٌ فَوقَ الثُّرَيَّا

فَزَلزَلتِ المَعاقِـلَ والصُّروحـا

مِنَ الوادي إلى صَحراء سينـا

إلى أنْ زُرتَ ذَيّاكَ الضَّريحـا

إلى بَحرِ الجَليـلِ إلى دمَشقٍ

تُطارِدُ دونَكَ التُّركيَّ القَبيحا

فَـكانَ الجُندُ كُـلُّهم يَشوعاً

وكانَتْ كلُّ سوريَّا « أريحا »

فإنْ يَكُنِ المَسيحُ فِدى البَرايا

فإنّكَ أنتَ أنقَذتَ المَسيحا !

* * *

في القطار *

سَرى يَطوي بنا الأميالَ طَيّاً
كما تَطوي السِّجِلَّ أو الإزارا

فلَم نَدرِ وَجُنحُ اللَّيلِ داجٍ
أبَرقاً ما ركِبنا أم قِطارا

بنا وبِهِ حَنينٌ واشتياقٌ
وَلَولا ذانِ ماسِرنا وَسارا

ولَكنّا وَسعنا الشّوقَ ذرعاً
وَضاقَ بِهِ فَصَعَّدَهُ بخارا

وَسَمَّينا الّذي يُخفيهِ وَجداً
وَسَمَّينا الّذي يُخفيهِ نارا

(*) ألقاها في الحفلة الشائقة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية في مونتريال كندا لسيادة الارشمندريت أفثيميوس عفيش عندما انتخب لاسقفية بروكلن وكان مع الوفد النيويوركي .

غفـا صَحبي وبَعضُهم تغافى

ولَم أذُقِ الـكَرى إلاَّ غِرارا

جَلَستُ أُراقِبُ الجَوزاءَ وَحدي

كما قـد يَرقُبُ السّاري المَنارا

يَسيرُ بنا القِطَارُ ونَحنُ نَزجُو

لَو اختَصَرَ الطَّريقَ بنا اختِصَارا

وأُقسِمُ لَو أُحدِّثـهُ بِمـا بي

لَحلَّقَ في الفَضَاءِ بنـا وطَارا

إلى البَلَدِ الأَمينِ إلى كِرامٍ

يُراعونَ المَوَدَّةَ والجِوارا

إلى المُزدادِ ودّهم لَدينـا

إذا زِدنا صِفاتهمُ اختِبارا

إذا سَتَرتْ مَحَبَّتَهـا قُلوبٌ

فَحُبي لا أُطيقُ لَـهُ استِتارا

فيـا إخوانَنـا في كلّ أمرٍ

أَصيخوا كي أُخاطِبَكُم جِهـارا

طَويناهَا سباسِبَ شاسِعاتٍ
تَسيرُ الواخِداتُ بها حَيارى

وَلَولا أَنْ تسِيرَ بنا إليكُم
رَكائِبنا مَشيناهَا اختِيارا

لِننقُلَ مِن «نويوركَ» لَكُمْ تَحايا
تُحاكي في لَطافَتِها العقَارا

ونَنقُلَ عنكُمُ أخبارَ صِدقٍ
تُحاكي النَّدّ في الرَّوضِ انتِشارا

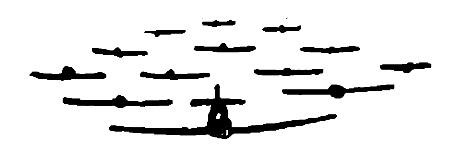
سَمِعنا بالهَزارِ وَنَحنُ قومٌ
كما نَهوى الغِنا نَهوى الهَزارا

لَديكُمْ كَوكَبٌ وَبنا ظَلامٌ
وَأَنتُمْ تَكرَهونَ لَنا العِثارا

جَعلنا رَسمَهُ في كلّ نادٍ
وَصيَّرنا القُلوبَ لَهُ إطارا

أَجلْ، هَذا الّذي نَبغيهِ مِنكُمْ
وَنَرجو لا اللُّجَينَ ولا النُّضارا

أتيناكُـمْ عَلى ظَمَـأٍ لأنّا
عَرَفنـا فيكُمُ السُّحبَ الغِزارا
وَأنتُمْ مَعشَرٌ طَـابوا نُفُوساً
وَأخلاقاً كما كَرُموا نِجـارا
بَقيتُمْ في سَلامٍ واغْتِبـاطٍ
تُضِيءُ وجوهُكُمْ هَذي الدِّيارا



السيد المجتبى (١)

سَلامٌ عَلى السَّيِّدِ المجتَبى ... كَقَطرِ الغَمامِ ونَشرِ الرُّبى

وَيا مَرحَباً بِأَميرِ السَّلام ... وَقلْ لَهُ قَولَنا مَرحَبا

قُدومُكَ بَدَّدَ عَنّا الأَسى ... كَما يَكشِفُ القَمَرُ الغَيهَبا

وَأَحيا المُنى في فُؤادِ الفَتى ... وَرَدَّ إِلى الشَّيخِ عَهدَ الصِّبى

كَأَنّي «بِأَيارَ» خَيرِ الشُّهورِ ... أَتاهُ البَشيرُ بِذاكَ النَّبا

فَوَشّى الرِّياضَ، وَحَلّى الحُقُولَ، ... وَزانَ الوِهادَ، وَزانَ الرُّبى

وَقالَ لِأَغصانِهِ صَفِّقي ... وَلِلطَّيرِ في الأَرضِ أَن تَخطُبا

ولِلنَّسَماتِ تَجوبُ البِلادَ ... وَتَملَأُها أَرَجاً طَيِّبا

وَرَنَّتْ بِأُذني أَغاريدُها ... فَقُلتُ لِكَفّي أَن تَكتُبا

فَهذا القَريضُ حَفيفُ الغُصونِ ... وَشَدوُ الطُّيورِ، وَنَفحُ الصَّبا

• •

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقيمت لسيادته بعد حفلة السيامة في نزل سانت جورج في بروكلن نيويورك.

طَلَعتَ فطَالَ خُفوقُ الفُؤادِ ... كأَنَّ بهِ هِزَّةَ الكهربا

وَلَيسَ بـهِ هِزّةُ الكهرباء ... ولكنْ رأى الثّائهُ الكوكبا

وألقَتْ إليكَ مقاليدَها ... نُفوسٌ تخيَّرَتِ الأَنسبا

فيا صَاحِبَ الشِّيَمِ الزاهِراتِ ... وَيا مَنْ تحَلَّ لديهِ الحُبا

تقَوَّلَ عنكَ صِغارُ النُّفوسِ ... لأمرٍ فما أدرَكوا مأربا

وَمَن يَسلُبُ الشَّمسَ أنوارَها ... وَمَن ذا الَّذي يمسِكُ الصَّبا ؟

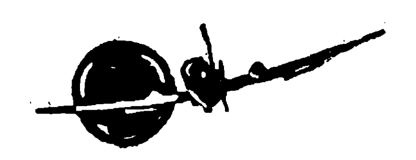
فَأَحسِنْ إليهمْ وإن أخطأوا ... وكن كالحيا يُمطِرُ السَّبسبا

إذالم تُسامِحْ وأنتَ الكَريمُ ... فمَن ذا الَّذي يَرحَمُ المُذنِبا ؟

● ●

لَقَد طَرِبَ التَّاجُ والصَّوْلَجانُ ... وَحُقَّ لهذينِ أنْ يَطرَبا

فإنْ هَنَأوكَ بما نِلتَهُ ... فَإني أهنِّي بكَ المَنصبا



مرآة الغرب

في سنتها التاسعة عشرة

سَلامٌ عَليها طِفلةً وَفَتيَّةً

كَزَهرِ الرُّبى البَسّام باكرَهُ القَطرُ

كَعابٌ تَلاقى الحُسنُ وَالفَضلُ عِندَها

كَما يَلتَقي في الصَّفحَةِ السَّطرُ وَالسَّطرُ

لَها صَولَةُ الأبطالِ إن حَمِسَ الوَغى

وَفيها حَياءُ البِكرِ عَمّا بِهِ وِزرُ

وفيها مِنَ الشَّيخِ الحَكيمِ وَقارُهُ

وَفيها مِنَ الخُودِ المَلاحَةُ وَالطُّهرُ

ألا إنَّ حُسناً لا يُرافِقُهُ النُّهى

وإنْ دامَ يَوماً لا يَدومُ لهُ قَدرُ

• •

هي الرَّوضُ فيهِ النَّبتُ والنَّدُّ والنَّدى

وفيهِ الشَّوادي المُطرباتُكَ والزَّهرُ

هي الشَّمسُ تبدو كلَّ يومٍ جديدةً

يَروحُ بها لَيلٌ ويَأتي بهـا فَجرُ

لِكُلِّ فَتاةٍ خِدرُها وسِوارُهـا

ولكنَّ هَذي كلُّ قَلبٍ لها خِدرُ

يُزيدُ سَناها الطَّيَّ والنَّشرَ رونَقاً

ويُخلِقُ حتَّى المُصحَفَ الطَّيُّ والنَّشرُ

أنيسُ الفَتى إنْ غابَ عَنهُ أنيسُهُ

وأَنجمُهُ إنْ غابَتِ الأنجمُ الزُّهرُ

وَسِفرٌ تَلذُّ المَرءَ مُحتَوَياتُـهُ

إذا لم يَكن في البَيتِ ناسٌ ولا سَفرُ

إذا رَضيتْ فالنُّورُ في كلماتِهـا

وإنْ غضِبَتْ فهيَ الأسِنَّةُ وَالجمرُ

وفي كلِّ حربٍ يَعقدُ الحقُّ فَوقَها

أكاليلَ نَصرٍ يشتَهي مِثلَها البَدرُ

وَلا غَروَ إن عُزَّتْ وهانَ خُصومُها

فَلِلحَقِّ، مَهما جَمجَمَ الباطِلُ، النَّصرُ

فَكَم مُرجِفٍ أغراهُ فيها سكوتُها

فَلَمّا أهابَتْ كادَ يَقتُلُهُ الذُّعرُ

وكَمْ كاشِحٍ غاوٍ أرادَ بها الأذى

ثَنى طَرفَهُ عَنها وفي نَفسِهِ الضُّرُّ

لها في رُبوعِ الشَّرقِ جَيشٌ عَرَمرَمٌ

وَأعوانُها في الغَربِ لَيسَ لَهُم حَصرُ

وَلو كانَ في المِرّيخِ أرضٌ وأمَّةٌ

لَكانَ لها في أرضِهِ عَسكَرٌ مَجْرُ

لِتَسحَبْ ذُيولَ الفَخرِ تيهاً فَوَحدَها

يَحِقُّ لها مِن بَينِ أترابِها الفَخرُ

ولا غَروَ إن أهدى لها الشِّعرُ وحيَهُ

فَياطَالما سارَتْ وسارَ بها الشِّعرُ

ولا غَروَ إن صُغنا لها النَّثرَ حِليَـةً

«فَفي عُنُقِ الحَسناءِ يُستَحسَنُ الدُّرُّ»

وإن يكن الأحرارُ من نُصرائها
فكم نصرَ الأحرارَ صاحبُها الحُرُّ

أديبٌ عفيفٌ قلبُهُ ويراعُهُ
بغيضٌ إليهِ الطَّيشُ والفحشُ والهُجرُ

ثمانٍ وعشرٍ وهو يخدمُ قومَهُ
ألا حبّذا تلكَ الثماني والعشرُ

ففي العُسرِ لم يجهرْ بشكوى لسانُهُ
وفي اليُسرِ لم يلعب بأعطافِهِ الكِبرُ

وشرُّ المزايا أن يُصيبَكَ حادثٌ
وتجهرَ بالشكوى وفي وُسعِكَ الصبرُ

أهذا كمن يُمسي ويُضحي مُعربداً
وقدّامُهُ طَبلٌ ومن خلفِهِ زَمرُ ؟

أهذا كمغتابٍ يروحُ ويغتدي
وفي نُطقِهِ شرٌّ وفي صمتِهِ شرُّ ؟

أهذا كمفطورٍ على الشرّ والأذى
أحاديثُهُ نُكرٌ وأعمالُهُ نُكرُ ؟

أَهذا كَأفعى هَمُّها نَفثُ سُمّها

وَنهشُ الَّذي تَلقى وَلو أَنَّهُ صَخرُ

أَهذا كَمَن يَمشي إلى الوِزرِ عَامِداً

وَيَضحَكُ مُختالاً إذا مَسَّهُ الوِزرُ ؟

أَهذا الَّذي قَد حَارَبَ المَكرَ جَهدَهُ

كَمَن شابَ فَودَاهُ وَدِيدَنُهُ المَكرُ ؟

إذا الَّدهرُ لم يَعرِفْ لِكُلٍّ مَكَانَهُ

إذنْ قُلْ لأَهلِ الدَّهرِ قَد فَسَدَ الدَّهرُ



مزح في جد

معربة

وَرأيتُ غُلَاماً مَليحَ الرُّواءْ ... تَلوحُ النَّباهَــةُ في مُقلَتِهْ
فقلتُ ، تجنَّى عَلينا الشِتاءْ ... وَقد نفِدَ الفَحمُ مَع كثرَتهْ
فَهلْ مِن دواءٍ لهذا البَلَاءْ ... لَديك؟ أَجابَ، اقفلوا المدرَسه!
فَقلتُ ، صَغيرٌ يُحِبُّ الفَضَاءْ ... وَيَكرَهُ مالَيسَ مِن فطْرَتهْ!

• •

وَأبصَرتُ لِصّاً عَلى الزّاوِيَه ... كثيرَ التَّلفُّت نحو القُصُورْ
فقُلتُ ، منَازِلُنا خاليَــهْ ... مِن الفَحم ، والفحمُ نارٌ ونورْ
فَقالَ ، ليالِيكُمُ الدّاجِيَهْ ... تَزولُ ولكنْ بهدمِ السُّجونْ!
فقلتُ ، شَقيٌّ مِنَ الأشقِياءْ ... يُجاهِدُ مِن أَجل حُرِّيَّتِه!

• •

وعدتُ إلى رجلٍ موسرٍ لهُ شهرةٌ ولهُ منزلهْ
فقلتُ، سريٌّ كلامُ السَّري إذا وقعَ النّاسُ في مُشكلهْ
فما هو رأيُكَ ؟ قالَ اقصِر مع البردِ لا تنفعُ الولولَهْ !
فأدركتُ أنَّ فتى الأغنياءْ ضنينٌ يخافُ على ثروتهْ !

● ●

وأبصرتُ شخصاً كثيرَ الحذرْ فرحتُ أبثُّ لهُ لوعتي
فحملقَ حتّى رأيتُ الشّررْ يطيرُ سراعاً إلى مهجتي
وصاحَ، هي الحربُ أصلُ الخطرْ فردُّوا الحسامَ إلى غمدهِ !
فقلتُ، عدوٌّ قليلُ الحياءْ يحاذرُ شرّاً على دولتهْ !

● ●

(هيوز) وقد كانَ قبلاه مرشّحْ شكوتُ إليهِ انقلابَ الأمورْ
ولمّا طلبتُ الجوابَ تنحنحْ وقالَ : الحلاقةُ أصلُ الشّرورْ
فقلتُ : المرشّحُ لاشكَّ يمزحْ وما زلتُ في حيرةٍ واضطرابْ
كطيّارةٍ في مهبِّ الهواءْ إلى أنْ نظرتُ إلى لحيتهْ !

ذكرى

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ بَعْدَ يَأْسٍ قَاتِلٍ

فِي صَحْوَةٍ كَثُرَتْ بِهَا الأَنْوَاءُ

فَوَدِدْتُ أَنِّي غَرْسَةٌ أَوْ زَهْرَةٌ

وَوَدِدْتُ أَنَّكِ عَاصِفٌ أَوْ مَاءُ



جرجي زيدان

ثكِلَ الشرقُ فتاهْ ليتني كُنتُ فِداهْ
ليتني كُنتُ أصمّاً عِندما النّاعي نعاهْ
قد نَعي النّاعونَ « زيداناً » إلى البَدرِ سَناهْ
وإلى التّاريخِ والعِلمِ أباهُ وأخاهْ !

● ●

سَرى نَعيُهُ فالدمعُ في كلِّ مِحجرِ
كأنَّ قُلوبَ النّاسِ خلفَ المَحاجِرِ
وَللطيرِ في الجَنّاتِ إرنانُ ثاكلٍ
وَلِلماءِ أنّاتُ الغريبِ المُسافِرِ
وَللنجمِ ،وهوَ النجمُ ، مِشيَةُ ظالِعٍ
وَلِلأرضِ ،وهيَ الأرضُ،وِقفَةُ حائرِ

وما كامِنٌ فيهِ الأَسى غيرُ كامنٍ
ولا ظاهِرٌ فيهِ الأَسى غيرُ ظاهرِ

فمَن لمْ يرَ الباكينَ في كلِّ منزلٍ
فما أبصرَتْ عيناهُ شقَّ المرائرِ

وَهِي « البرقُ » مِمّا حاوهُ فلَم يطِقْ
يحدِّثنا عنــهُ بغيرِ الأَشائرِ

فيــا خبراً ألقى الفجيعةَ بينَنــا
لأَنتَ علينا اليومَ أشأمُ طــائرِ

ويا ناقِلَ الأَنباء يجهَلُ كُنهَهــا
كرِهناكَ حتّى قادِمــاً بالبَشائرِ

أقامَ الأَسى بــينَ العَزاء ومُهجَتي
وباعَــدَ ما بينَ القَريض وخاطري

فأمسيتُ لا أدري أسترٌ مِنَ الدُجى
على الشَّمس أم ضيَّعتُ أسوَدَ ناظري

وباتَ فؤادي يتَّقي نزَواتِــهِ
كما يتَّقي العُصفورُ بأسَ الكواسرِ

كَأَنَّ بقلبي شَاعِراً يَنظِمُ الأَسى
كَـأَنِّي تَوَلَّى مَدمَعي كُلَّ نَاثِرِ

ألا لَيتَ شِعري بَعدَ ماطَارَ نَعيُهُ
أَفي أَرضِ مِصرٍ نائمٌ غَيرَ سَاهِرِ

وَهَل في سَماءِ النِّيلِ غَيرُ دياجِرٍ
وَهَل في مِياهِ النِّيلِ غيرُ مَحَاجِرِ

وَهَل في ضِفافِ النِّيلِ بَينَ نَخيلِهِ
مُغَرِّدَةٌ أَو آنِسٌ غَيرُ نافِرِ

بِمَ سَمَرُ الإِخوانِ في كُـلِّ لَيلَةٍ
وَصَاحِبُهُم في اللَّحدِ غِيرُ مُسَامِرِ

لِيَبـكِ عَليـهِ المسلِمُونَ فَإِنَّهمْ
أَضاعوا بِهِ مُحيي الصُّدورِ الدَّوائِرِ

وَتِلكِ النَّصاري فَخرَهَا وعَمِيدَهَا
فَما بَعدَهُ مِن حُجَّـةٍ لِمفاخِرِ

فَما جَادَتِ الدُّنيا عَليهِـم بِمِثلِهِ
وغَيرُ يَسيرٍ أن تَجودَ بـآخَرِ

أيا جبلَ العِلمِ الّذي مادَ هاوياً
عزيزٌ علينا أن تُرى في الحفائِرِ

عليكَ يَوَدُّ الغربُ لو كانَ مُشرِقاً
وفيكَ يُحِبُّ الحيُّ أهلَ المقابِرِ

ويَغبطُ تِبرُ الأرضِ فيكَ تُرابَها
ويَحسدُ ماءَ الجفنِ ماءُ المحابِرِ

وما عادةٌ خفضُ الرِّجالِ رؤوسَها
ولكنّها في الأرضِ كنزُ الجواهِرِ

لِتفخرْ على الشُّهبِ الجنادِلُ والحصى
ففيها هِلالُ العِلمِ شمسُ المحاضِرِ

شأوتَ الأوالي جامِعاً ومُؤلِّفاً
وزِدتَ بأنْ أحرزتَ فضلَ الأواخِرِ

تخيّرُ أحداثُ اللّيالي كِبارَنا
كأنَّ المنايا صَبّةٌ بالأكابِرِ

ونَضحكُ للآمالِ ضِحكةَ وامِقٍ
فيضحكُ مِنّا الدّهرُ ضحكةَ ساخِرِ

رَضينا بأَنْ تَغشَى الغُزاةُ بلَادنا
وغِمنا وَما نامَتْ عُيونُ المَعاثِر

لَها كُلَّ يوم بينَنا حُكمٌ جائِر
وإِقدامُ مَوتور وفتكَةُ ثائِر

عَلى أنَّها تقتَصُّ مِنْ غَيرِ مُذنبٍ
وتَأخُذُ بالأَوتارِ مِن غيرِ واتِرِ

فيا ويحَ هَذا الشَّرقِ كيفَ اغتِباطُه
وأمضَى مواضِيهِ كليلُ الأَظافِرِ ؟

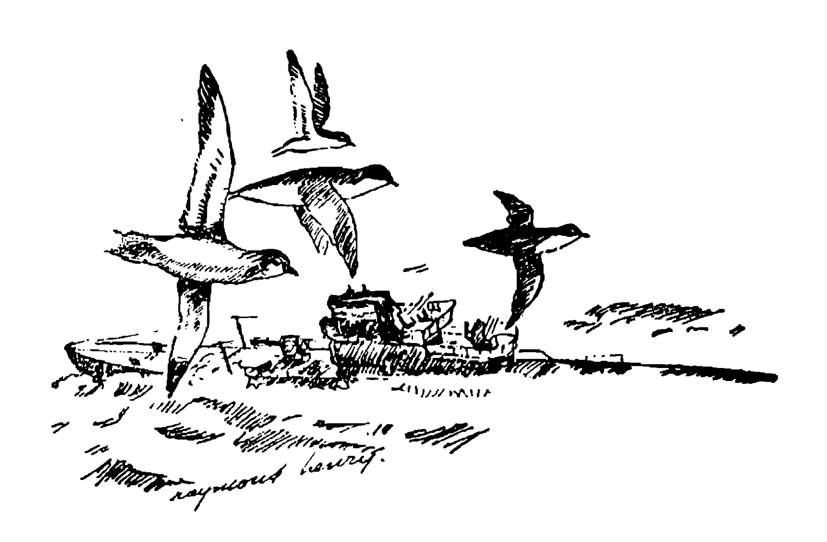
• •

جلَلٌ في مِصرَ لكنْ في العِراقَينِ صَداهْ
مادَ لُبنانُ ومادَ الشَّامُ لَمَّا سَمِعاه
كادَ أن يَخذلَ فيهِ كلُّ طَودٍ مَنكِباه
أيُّها الرَّاحِلُ عنَّا بلَغَ الحُزنُ مَداهْ
قد بكَاكَ الأُفقُ حتَّى فرقداهُ وسُهاه
يا خَليلَيَّ أعينا مَنْ عَصاهُ مُسعِداه
خانَتِ النَّفسَ قُواها خانَتِ البَينَ قُواه

قَد مَضَى مَن تَتَمَنَّى كُلُّ عَينٍ أَنْ تَراه

فَتَمَنَّى كُلُّ قَبرٍ حِينَ أَودى لَو حَواه

ماتَ « زيدانُ » أبو التّاريخِ فَلْيَحْيَ فَتاهْ !



أيها الراعي

شُهُورُ العامِ أجملُها «رَبيعٌ» وأبغضُها إلى الدُّنيا «جُمادى»

وَخيرُ المالِ ما أمسَى زَكاةً وَخيرُ النَّاسِ مَن نفعَ العِبادا

بِرَبِّكَ قُلْ لَنا وَخَلاكَ ذَمٌّ أعيسَى كانَ يَدَّخِرُ العَتادا ؟

تَنَبَّهْ أيُّها الرّاعي تَنَبَّهْ فَمَنْ حَفِظَ الورَى حَفِظَ العِبادا

خِرافُكَ بَينَ أشداقِ الضَّواري وَمِثلُكَ مَن حَمى وَوَقَى النِّقادا

تَبَدَّلَ أمنُهُمْ رُعباً وَخوفاً وَصارَتْ نارُ أكثَرِهِمْ رَمادا

لَقَدْ أكَلَ الجرادُ الأرضَ حتّى تَمَنَّوا أنَّهُمْ صاروا جَرادا

فَمالَكَ لا تَجودُ لهم بِشَيءٍ وَقَدْ رقَّ العَدُوُّ لهم وجادا ؟

وَمالَكَ لا تُجيبُ لهمْ نِداءً كأنَّ سِواكَ، لاأنتَ، المُنادى ؟

• •

وَرُبَّتَ ساهِرٍ في «بَعلَبَكٍّ» يُشاطِرُ جَفْنَهُ النَّجمَ السُّهادا

يَزيدُ الليلُ كُربَتَهُ اشتِداداً ... وَفَرطُ الهَمِّ لَيلَتَهُ سَوادا

إذا مالَ النُعاسُ بأخدَعيهِ ... ثَنى الذُعرُ الكرى عَنهُ وَذادا

بِهِ الداءانِ مِن سَغَبٍ وَخَوفٍ ... فَما ذاقَ الطَعامَ ولا الرُقادا

تَطوفُ بِهِ أُصيبِيَةٌ صِغارٌ ... كَأَنَّ وُجوهَهُم طُلِيَت جِسادا

جِياعٌ كُلَّما صاحوا وَناحوا ... تَوَهَّمَ أَنَّ بَعضَ الأَرضِ مادا

إذا ما استَصرَخوهُ وَضاقَ ذَرعاً ... نَبا عَنهُم وما جَهِلَ المُرادا

ولكِنْ لَم يَدَعْ بُؤسُ اللَّيالي ... طَريفاً في يَدَيهِ ولا تِلادا

وَلَو تَرَكَ الزَّمانُ لَهُ فُؤاداً ... لَما تَرَكَتْ لَهُ البَلوى فُؤادا

● ●

أَتَفتَرِشُ الحَريرَ وتَرتَديهِ ... ويَفتَرِشُ الجَنادِلَ والقَتادا

وَيَطلُبُ مِن نَباتِ الأَرضِ قوتاً ... وَتَأبى غَيرَ لَحمِ الطَيرِ زادا

وَتَهجَعُ هانِئاً جَذلاً قَريراً ... وَقَد هَجَرَ الكَرى وجَفا الوِسادا

عَجيبٌ أَن تَكونَ كَذا ضَنيناً ... وَلَم تُبصِر بِنا إِلاّ جَوادا

أَما تَخشى مَقالَةَ ذي لِسانٍ : ... أَماتَ النّاسَ كَي يُحيي الجَمادا

● ●

لِذاتِكَ هَمُّهُم نَفعُ البَرايا ... وَهَمُّكَ أَن تَكيدَ وأَنْ تُكادا

نَزَلتَ بنـا فأنزلناكَ سهلًا وَزِدناكَ النُّضارَ المستَفَادا

فكانَ جزاؤنا أن قمتَ فينـا تُعَلِّمُنـا القَطيعَـةَ وَالبُعادا

فلمّـا ثارَ ثائرُ كلِّ حُرٍّ رَجعتَ اليومَ تمتدِحُ الحِيادا

أتدفَـعُ بالقَويّ إلى التَّمادي وتَعجَبُ بعدَ ذلكَ إن تمادى؟

سَكَتَّ فقامَ في الأذهانِ شَكٌّ وَقلتَ فأصبحَ الشَّكُّ اعتقـادا

تجهَّمتَ القَريضَ ففاضَ عَتباً وَإنْ أحرَجتَهُ فاضَ انتقادا

وَلولا أن أثَرتَ الخُلفَ فينا وَدِدنا لو مَحَضنـاكَ الوِدادا



ابنة الفجر

إنْ أنا أغمَضَ الحِمامُ جُفوني
وَدوى صَوتٌ مُصرَعي في المَدينَهْ
وَتَمشّى في الأرضِ داراً فَداراً
فَسَمِعتِ دوِيَّهُ ورَنينَهْ
لا تَصيحي واحَسرَتاهُ لِئَلّا
يُدرِكَ السّامِعونَ ماتُضمِرينَه
وَإذا زُرتِني وأبصَرتِ وَجهي
قَد مَحا المَوتُ شَكَّهُ وَيَقينَه
وَرَأَيتِ الصِحابَ جاثينَ حَولي
يَندُبونَ الفَتى الَّذي تَعرِفينَه
وَتَعالى العَويلُ حَولَكِ مِمَّنْ
مارَسوهُ وَأصبَحوا يُحبِنونَ

لا تَشُقِّي عليَّ ثوبَكِ حُزناً

لا ولا تَذْرفي الدُّموعَ السَّخينَهْ

غالِبي اليأسَ واجلسي عندَ نعشي

بسُكونٍ إنّي أُحِبُّ السَّكينَهْ

أنَّ للصَّمتِ في المآتِمِ معنىً

تتعزَّى بهِ النُّفوسُ الحَزينَه

ولَقولُ العُذّالِ عنكِ « بخيلٌ »

هوَ خيرٌ مِن قولِهمْ « مِسكينَه »

وإذا خِفتِ أن يَثورَ بكِ الوَجـ

ـدُ فتَبدو أسرارُنا المَكنونَه

فارجِعي واسكُبي دُموعَكِ سِرّاً

وامسَحي باليَدَين ما تسكُبينَه !!!

● ●

يا ابنَةَ الفَجرِ مَن أحَبَّكِ مَيْتٌ

ولأنتِ بمثلِ هذا رَهينَه

زايَلَ النُّورُ مُقلَتَيهِ وغابَتْ

تحتَ أجفانِهِ المَعاني المُبينَه

فَأَصِيخي، هَل تسمَعينَ خُفُوقاً
كُنتِ قبلًا في صَدرِهِ تسمَعينَه؟
وانظُري ثمَّ فكّري كيفَ أمسَى
لَيسَ يَدري عَدُوَّهُ وخَدينَه
ساكِتاً لا يَقولُ شيئاً ولا يَسـ
ـمَعُ شيئاً ولَيسَ يُبصِرُ دونَه
لا يُبالي أأودعوهُ الثُّريّا
أم رموهُ في حَمأةٍ مَسنُونَه
وإذا الحارسانِ ناما عَيَاءً
ورأَيتِ أصحابَهُ يَترُكونَه
فتَعالَي وقبِّلي شَفتَيهِ
ويَديهِ وشَعرَهُ وجَبينَه
قَبلَ أن يُسدلَ السِّتارُ عَلَيهِ
ويُوارى عَنكِ فلا تُبصِرينَه
واحذَري أنْ تَراكِ عَينُ رقيبٍ
ولَئِن كانَ حَلَّ ما تحذَرينَه

فإذا ما أمِنت لا تَتْرُكيه

قبلَما يَفتحُ الصَّباحُ جُفُونَهْ !!!

• •

وإذا السّاعَةُ الرَّهيبَةُ حانَت

ورأيتِ حُرّاسَهُ يَحمِلُونَه

وَسَمِعتِ النّاقوسَ يَقرَعُ حُزناً

فَيَردُّ الوادي عَلَيهِ أنينَهْ

زَوِّدي الرّاحِلَ الذي ماتَ وَجداً

بالَّذي زَوَّدَ الغَريبُ السَّفينَه

نظرَةً تَعلَمُ السَّمواتُ مِنها

أنَّهُ ماتَ عن فَتاةٍ أمينَهْ !!!

• •

طَوَتِ الأرضُ مَن طَوى الأرضَ حَيّاً

وَعَلاهُ مَن كانَ بالأمسِ دونَه

واختَفى في التُّرابِ وَجهٌ صَبيحٌ

وفُؤادٌ حُرٌّ وَنَفسٌ مَصونَه

وإذا ما وقفتِ عنـد السواقي

وذكرتِ وقوفَهُ وسكونَه

حيثُ أقسمتِ أن تدومي على العهـ

ـدِ وآلى بأنَّهُ لن يخونـهُ

حيثُ علّمتِـهِ القريضَ فأمسى

يتغنّى كي تسمعي تلحينَـه

فاذكريهِ معَ البروق السّواري

واندُبيهِ مـعَ الغيوثِ الهتونَه

● ●

وإذا ما مشيتِ في الرّوضِ يومـاً

ووطئتِ سهولَهُ وحزونَـه

وذكرتِ مواقفَ الوجدِ فيـهِ

عنـدما كُنتِ بالهوى تغرينَه

حيثُ علّمتِـهِ الفُتونَ فأضحى

يحسَبُ الأرضَ كلَّها مفتونَه

حيثُ وسّدتِهِ يمينَـكِ حتّى

كادَ ينسى شمالَهُ ويمينَهْ

حيثُ كُنتِ وكانَ يَسقيكِ طوراً
مِنْ هَواهُ وتارَةً تَسقينَه
حيثُ حاكَ الرّبيعُ لِلرّوضِ ثَوباً
كانَ أحلى لَديهِ لَو ترتدينَه
فاشمي كلَّ زَهرةٍ فيهِ إنّي
كُنتُ أهوى أزهارَهُ وغُصونَه
ثمَّ قولي للطّيرِ ماتَ حَبيبي
فلماذا يا طيرُ لا تَبكينَه ؟

• •

وإذا ماجلستِ وحدَكِ في اللّيـ
ـلِ وهاجت بكِ الشّجونُ الدّفينَه
ورأيتِ الغُيومَ تَركُضُ نحوَ الغَر
بِ رَكضاً كأنّها مَجنونَه
ولَحظتِ مِنَ الكواكبِ صَدّاً
ونِفاراً ، وفي النّسيم خُشونَه
فغضبتِ على اللّيالي البَواقي
وحَننتِ إلى اللّيالي الثّمينَه

فاهجُري المَخدَعَ الجَميلَ وزُوري

ذلِكَ القَبرَ ثمَّ حيّي قُطينَه

وانثري الوَردَ حولَهُ وعَليهِ

واغرُسي عِندَ قَلبه ياسَمينَه !!!



الشاعر (*)

عِندَما أبدَعَ هَذا الكونَ ربُّ العالمينا

ورأى كل الذي فيهِ جَميلًا وثمينا

خلقَ الشّاعِرَ ...

كي يَخلُقَ للنّاسِ عُيونا

تُبصِرُ الحسنَ، وتَهواهُ حراكاً وسكونا

وَزَماناً، ومكاناً، وشُخُوصاً، وشُؤونا

فاستَمَرَّ الحسنُ في الدُّنيا، ودامَ الحبُّ فينا

* * *

مَنْ سواهُ عانَقَ اللهَ يَقيناً لا ظُنونا

لَو أبى اللهُ عَلينا وعليهِ أنْ يَكونا

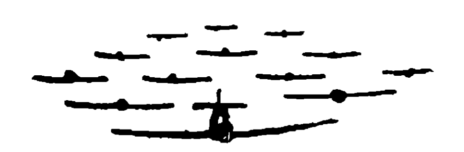
(*) من قصيدة مقدمة الى روح الشاعر الخالد خليل مطران

عادَتِ الأَرضُ وهادا   نَشاحِباتٍ وحُزونا

وسَواقيها سَراباً   هازئاً بالظّامئينـــا

واستَوى النَّهرُ عَلى وَجهِ الثرى جرحاً ثخينا

وَلأَمسى اللهُ ، مِثلَ النَّاسِ ، مغموماً حَزينا



فلنعش

قدمت مجلة « العصبة » هذه القصيدة الرائعة بهذه التقدمة :

« مني الشعر العربي بخسارة لؤلؤة وهاجة في تاج الأدب المهجري نعى به الشاعر ندرة حداد ، صاحب « أوراق الخريف » وشقيق الأديب الألمعي الاستاذ عبدالمسيح حداد ، صاحب « السائح » الأغر في الولايات المتحدة .

وقد تلقت العصبة الأندلسية نعيه مطوياً على رائعة أدبية خصت بها مجلتها وهي هذه القصيدة التي نعدها من أجود ما أنجبه خيال الشاعر الكبير ايليا أبو ماضي فألحقناها بهذا الجزء المتأخر عن موعده ، ليشارك الأدباء قائلها بأحاسيسه ويشاطروه أساه

أما القصيدة التالية فقد ألقاها الشاعر مودعاً بها صديقه وأخاه « الرابطي » وقد كان وفاته فجأة في عرس ».

ونشرت القصيدة في الجزء ٧ و ٨ – كانون الثاني وشباط ١٩٥٠ من مجلة « العصبة » السنة العاشرة .

لاتَسَلْ أينَ الهَوى والكوثَرُ ... سَكَتَ الشَّادي وبُحَّ الوَتَرُ

فَجأةً . . . وانقَلَبَ العُرسُ إلى ... مَأتمٍ . . ماذا جَرى ؟ . . ما الخَبَرُ ؟

مَاجَتِ الدَّارُ بمن فيها ، كما ... مَاجَ نَهرٌ ثائِرٌ مُنحَدِرُ

كلُّهمْ مُستَفسِرٌ صَاحِبَهُ ... كلُّهمْ يُؤذيهِ مَن يَستَفسِرُ

هَمَسَ المَوتُ بهمْ هَمسَتَهُ ... إنَّ هَمسَ المَوتِ ريحٌ صَرصَرُ

فإذا الحيرةُ في أحداقِهم ... كيفما مالوا وأنّى نظروا

علموا ... ياليتهم ما علموا ... أنَّ دُنيا من رؤى تحتضرُ ا

والذي أطربهم عن قدرةٍ ... باتَ لا يقوى ولا يقتدرُ

يَبسَ الضحكُ على أفواهِهم ... فهو كالسُّخرِ وإن لم يسخروا

وإذا الآسى .. يمدُّ مخذولة ... ومحيًا ، اليأسُ فيهِ أصفرُ

شاعَ في الدّار الأسى حتى شكَتْ ... أرضها وطأتهُ والجُدرُ

فعلى الأضواء منهُ فترةٌ ... وعلى الألوانِ منهُ أثرُ

والتهاني صورٌ باهتةٌ ... والأغاني عالمٌ مندثرُ

ألهفا أفلتَ من أيديهم ... والأماني ..؟.. إنّها تنتحرُ

ذبحتْ أفراحهم في لمحةٍ ... قوةٌ تجني ولا تعتذرُ

تقلعُ النبتَ الذي تغرسُهُ ... والشّذا فيهِ ، وفيهِ الثمرُ

اعبثي ماشئتِ يا دُنيا بنا ... وتحكّمْ ماتشا ياقدرُ

إن نكنْ زهراً فما أمجدنا ... أو نكنْ شوكاً فهذا الخطرُ

فلنعِشْ في الأرض زهراً وليطُلْ ... أجلُ الشوكِ الّذي لايزهرُ

• •

رحلَ الشاعرُ عن دارِ الأذى ... وانقضتْ معهُ الليالي الغررُ

كم حوَتـهُ وحَواها مَلِكاً ... دولةُ الرُّوح الـتي لاتُقهَرُ
عاشَ لا يُنكرُ إلاّ ذاتَـه ... إنَّ حُبَّ الذّاتِ شيءٌ مُنكَرُ
شاعِرٌ، أعجبُ مَعنىً صاغَـهُ ... لِلبرايا ... موتُـهُ المبتَكرُ
الجَمالُ الحقُّ مايَعبُـدُهُ ... والجَمالُ الزُّورُ مالا يُبصِرُ
والحديثُ الصفوُ ما يَنشُرُهُ ... والحَـديثُ السُّوء ما يَختَصِرُ
إنَّـهُ كانَ «مَلاكاً» بشراً ... فمَضَى عَنّـا المَلاكُ البَشَرُ
ونفوسُ الخَلقِ إما طينَـةٌ ... لا سَنا فيهـا وإمّـا جَوهَرُ

• •

يارفيقي ! مـا بَلَغتَ المُنتهى ... أيسَتِ الحَدُّ الأخيرُ الحُفَرُ
فاعبُرِ النَّهرَ إلى ذاكَ الحِمَى ... حيثُ «جبرانُ» العَميدُ الأكبرُ
«ورشيدٌ» نغمَةٌ شاديَـةٌ ... «ونسيبٌ» نَغَـمٌ مُستَبشِرُ
«وجَميلٌ» فِـكرَةٌ هائمَةٌ ... «وأمينٌ» أمَلٌ مُخضَوضِرُ (١)
قُل لهم إنّا غَـدَونا بَعدَهم ... لا حَـديثٌ طَيِّبٌ، لا سَمَرُ
كسَماءٍ لَيسَ فيهـا أنجُـمٌ ... أو كَرَوضٍ لَيسَ فيهِ زَهَرُ
كـلُّنا مُنتَظِرٌ سَاعَتَـهُ ... والمَصيرُ الحَـقُّ مـا نَنتَظِرُ

---

(١) هم رشيد أيوب ونسيب عريضة وجميل حلوة وأمين الريحاني .

أمنية المهاجر *

جعتُ والخبزُ وثيرٌ في وِطابي

والندى حولي وروحي في ضَبابِ

وشربتُ الماءَ عذباً سائغاً

وكأنّي لم أذُقْ غيرَ سَرابِ

محنةٌ ليسَ لها مِثلٌ سوى

مِحنةِ الزورقِ في طاغِي العُبابِ

ليسَ بي داءٌ ولكنّي امرؤٌ

لستُ في أرضي ولا بينَ صِحابي

مرّتِ الأعوامُ تتلو بعضها

لِلورى ضِحكي ولي وحدي اكتئابي

(*) ألقيت بمناسبة زيارة وزير خارجية سورية الولايات المتحدة في خريف ١٩٥٢ .

كلما استولدتُ نفسي أملًا

مدّتِ الدنيا له كفَّ اغتصابِ

أفلتَتْ مني حلاواتُ الرؤى

عندما أفلتَ من كفي شبابي

بتُّ لا الإلهامُ بابٌ مشرَعٌ

لي ولا الأحلامُ تمشي في ركابي

أشتهي الخمرَ وكأسي في يدي

وأحسُّ الروح تعرى في ثيابي

ربِّ هبني لبلادي عودةً

وليكُنْ للخيرِ في الأخرى ثوابي

•
• •

أيها الآتونَ من ذاكَ الحمى

يادُعاةَ الخيرِ ، يا رمزَ الشبابِ

كمْ هششتمْ وهششنا للمنى

وبكيتمْ وبكينا في مصابِ

واشتَرَكنا في جهادٍ أو عَـذابٍ

والتَقَينا في حَديثٍ أو كِـتاب

وعَرفتم وعَرَفنـا مِثلَكم

أنَّمـا الحَقُّ لذي ظُفرٍ وناب

كلُّ أرض نامَ عَنها أهلُهـا

فهي أرضٌ لاغتِصابٍ وانتِهـابِ

زَعَموا الإنسانَ بالعِلمِ ارتقى

وأراهُ لم يَزَل إنسَانَ غابِ

إنَّهُ الثَّعلَبُ مَكراً وهو كالنَّسر

طَانِ غَدراً وحَكيمٌ كالغُراب

يا رِفاقي حَطِّموا أقـداحَكم

لَيسَ في الدُّنيا رَحيقٌ لانسِكابِ

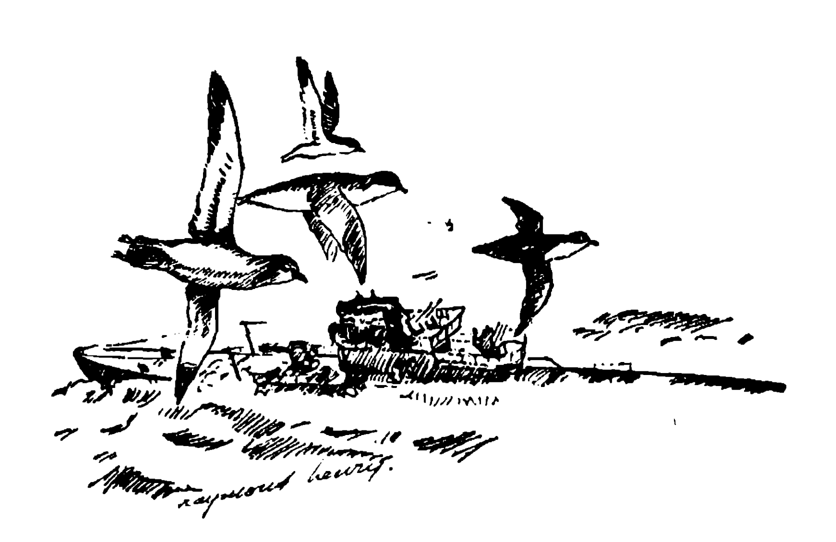
جَفَّ ضَرعُ الشِّعرِ عِندي وانطوى

ولَكم عاشَ لِمرعىً واحتِلَابِ

● ● ●

أيُّها السّائلُ عَني مَن أنا
أنا كالشّمسِ إلى الشّرق انتِسابي
لُغَةُ الفُولاذِ هَاضَتْ لُغَتي
لا يَعيشُ الشّدْوُ في جَوٍّ اضطِرابِ
لَستُ أشكو إن شكا غيري النّوى
غُربَةُ الأجسامِ لَيسَتْ باغتِراب
أنا في نيويوركَ بالجسمِ وبالرُّ
وحِ في الشّرقِ عَلى تِلكَ الهِضابِ
في ابتِسامِ الفَجرِ في صَمتِ الدُّجى
في أسى «تِشرينَ» في لَوعَةِ «آب»
أنا في الغُوطَـةِ زَهرٌ وَنَدى
أنا في لُبنانَ نَجوى وتَصابي
أنني أَلمحُ في أوجُهِكم
دَفقَةَ النّورِ عَلى تِلكَ الرَّوابي
وأرى أشباحَ أيّامٍ مَضَتْ
في كِفاحٍ ونِضالٍ وَوِثاب

وأرى أطيافَ عمرٍ باهرٍ
طالعٍ كالشمسِ من خلفِ السحاب
ليتهُ يُسرعُ كي أبصِرَهُ
قبلَ أن أغدو تُراباً في تُراب



الطواسين

الطلاسم

جئتُ لا أعلمُ من أينَ ولكنّي أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيفَ جئتُ؟ كيفَ أبصرتُ طريقي
لستُ أدري!

•

أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجودْ
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في القيودْ
هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مقودْ
أتمنّى أنّني أدري ولكنْ
لستُ أدري!

•

وطريقي، ما طريقي؟ أطويلٌ أم قصير
هل أنا أصعدُ أم أهبطُ فيه أم أغورْ
أأنا السائرُ في الدربِ أم الدربُ يسيرْ
أمْ كلانا واقفٌ والدهرُ يجري؟
لستُ أدري!

●

ليتَ شعري وأنا في عالَمِ الغيبِ الأمينْ
أتُراني كنتُ أدري أنني فيه دفينْ
وبأنّي سوفَ أبدو وبأنّي سأكونْ
أمْ تراني كنتُ لا أدركُ شيئاً؟ . .
لستُ أدري!

●

أتراني قبلَما أصبحتُ إنساناً سويّا
أتُراني كنتُ محواً أمْ تُراني كنتُ شيّاً
ألهذا اللغزِ حلٌّ أم سيبقى أبديّا
لستُ أدري . . ولماذا لستُ أدري؟ . .
لستُ أدري!

● ●

البحر

قد سألتُ البحرَ يوماً هل أنا يا بحرُ منكا

هل صحيحٌ مارواهُ بعضُهم عني وعنكا

أم ترى ما زعموا زوراً وبهتاناً وإفكا

ضحكت أمواجُهُ مني وقالت

لستُ أدري !

●

أيها البحرُ أتدري كمْ مضت ألفٌ عليكا

وهل الشاطئ يدري أنهُ جاثٍ لديكا

وهل الأنهارُ تدري أنها منكَ إليكا

ما الذي الأمواجُ قالت حينَ ثارت ؟ . .

لستُ أدري !

●

أنتَ يا بحرُ أسيرٌ آهِ ما أعظمَ أسركْ

أنتَ مثلي أيها الجبَّارُ لا تملكُ أمركْ

أشبهت حالكَ حالي وحكى عذريَ عذركْ

فمتى أنجو منَ الأسرِ وتنجو ؟ . .

لستُ أدري !

●

قَــد أكلناكَ وقلنــا قــد أكلنا الثَّمَرا
تُرسِلُ السُّحبَ فَتَسقي أرضَنــا والشَّجَرا
وشَربناكَ وقُلنــا قَــد شَربنا المَطَرا
أصوابٌ مازَعمنــا أم ضَلَالٌ ؟..

لَستُ أدري !

●

قَد سَألتُ السُّحبَ في الآفاقِ هَل تَذكرُ رَملَكْ
وسَألتُ الشَّجَرَ المورِقَ هَل يَعرِفُ فَضلَكْ
وسَألتُ الدُّرَّ في الأعناقِ هَل تَعرِفُ أصلَكْ
وكَأنّي خِلتُهــا قالَتْ جَميعاً ..

لَستُ أدري !

●

يَرقُصُ المَوجُ وفي قاعِكَ حَربٌ لَن تَزولا
تَخلُقُ الأسماكَ لكنْ تَخلُقُ الحوتَ الأكولا
قَد جَمعتَ المَوتَ في صَدرِكَ والعَيشَ الجَميلا
لَيتَ شِعري أنتَ مَهدٌ أمْ ضَريحٌ ؟..

لَستُ أدري !

●

كمْ فتاةٍ مثلِ ليلى وفتىً كابنِ الملوَّحْ
أنفقا الساعاتِ في الشاطئِ، تشكو وهوَ يشرَحْ
كلَّما حدَّثَ أصغَتْ وإذا قالتْ ترنَّحْ
أَحفيفُ الموجِ سِرٌّ ضيَّعاهُ ؟..
لستُ أدري !

●

كمْ ملوكٍ ضرَبوا حولكَ في الليلِ القبابا
طلعَ الصبحُ ولكن لم نجدْ إلاَّ الضبابا
ألهم يا بحرُ يوماً رَجعةٌ أم لا مآبا
أمْ همُ في الرملِ ؟ قالَ الرملُ إني..
لستُ أدري !

●

فيكَ مثلي أيُّها الجبَّارُ أصدافٌ ورَملُ
إنَّما أنتَ بلا ظِلٍّ ولي في الأرضِ ظِلُّ
إنَّما أنتَ بلا عقلٍ ولي، يا بحرُ، عقلُ
فلماذا يا ترى أمضي وتَبقى ؟..
لستُ أدري !

●

يا كِتابَ الدَّهرِ قلْ لي ألَهُ قَبلٌ وبَعدُ
أنا كالزَّورقِ فيهِ وهوَ بَحرٌ لا يُحَدُّ
لَيسَ لي قَصدٌ فَهلْ للبَحرِ في سَيري قَصدُ
حَبَّذا العِلمُ ، ولكنْ كيفَ أدرى ؟..
لَستُ أدري !

●

إنَّ في صَدريَ يا بَحرُ لأسراراً عجَابا
نَزَلَ السِّترُ عَليها وأنا كُنتُ الحجابا
ولذا أزدادُ بُعداً كلَّما ازددتُ اقترابا
وأراني كلَّما أوشَكتُ أدرى ..
لَستُ أدرى !

●

إنَّني يا بَحرُ بَحرٌ شاطِئاهُ شاطِئاكا
الغَدُ المَجهولُ والأمسُ اللَّذانِ اكتَنَفَاكا
وكلانا صَائِرٌ ، يا بَحرُ ، في هذا وذاكا
لا تَسَلني ما غَدٌ ما أمسُ ؟.. إني..
لَستُ أدرى !

●

●   ●

الدير

قيلَ لي في الدّيرِ قومٌ أدركوا سرَّ الحياةْ

غيرَ أنّي لمْ أجدْ غيرَ عقولٍ آسناتْ

وقلوبٍ بليَت فيها المنى فهيَ رفاتْ

ما أنا أعمى فهل غيري أعمى؟..

لستُ أدري!

●

قيلَ أدرى النّاس بالأسرارِ سكّانُ الصّوامعْ

قلتُ إنْ صحَّ الّذي قالوا فإنَّ السِرَّ شائعْ

عجباً كيف ترى الشّمسَ عيونٌ في البراقعْ

والّتي لمْ تتبرقعْ لا تراها ..

لستُ أدري!

●

إنْ تكُ العزلةُ نسكاً وتقىً فالذّئبُ راهبْ

وعرينُ اللّيثِ ديرٌ حبُّهُ فرضٌ وواجبْ

ليتَ شعري أيُميتُ النُّسكُ أم يحيي المواهبْ

كيفَ يمحو النّسكُ إثماً وهوَ إثمٌ؟..

لستُ أدري!

●

إنَّني أبصرتُ في الدَّيرِ وروداً في سياجِ
قنِعَتْ بعدَ النَّدى الطَّاهرِ بالماءِ الأُجاجِ
حولَها النُّورُ الَّذى يحيي، وترضى بالدَّياجي
أمِنَ الحكمةِ قتلُ القلبِ صبراً ؟..
لستُ أدرى !

•

قد دخلتُ الدَّيرَ عندَ الفجرِ كالفجرِ الطَّروبْ
وتركتُ الدَّيرَ عندَ اللَّيلِ كاللَّيلِ الغضوبْ
كانَ في نفسيَ كربٌ، صارَ في نفسي كروبْ
أمِنَ الدَّيرِ أمِ اللَّيلِ اكتئابي ؟
لستُ أدرى !

•

قد دخلتُ الدَّيرَ أستنطِقُ فيهِ النَّاسكينا
فإذا القومُ مِنَ الحيرةِ مِثلي باهِتونا
غلَبَ اليأسُ عليهم، فهمُ مستسلِمونا
وإذا بالبابِ مكتوبٌ عليهِ ...
لستُ أدرى !

•

عَجَباً للنَّاسكِ القـانتِ وهوَ اللَّوذعي
هَجرَ النَّـاسَ وفيهم كلُّ حُسنٍ مُبدعِ
وَغَـدا يبحثُ عَنهُ في المَكانِ البَلقَعِ
أأرى في القفرِ مـاءً أم سَراباً؟..
لستُ أدرى

●

كم تُمـارى أيها النَّاسِكُ في الحَقِّ الصَّريحْ
لَو أرادَ الله أن لاتَعشَقَ الشَّيءَ المَليحْ
كانَ إذ سَوَّاكَ سَوَّاكَ بلاَ عَقلٍ وروحْ
فالَّذى تَفعَلُ إثمٌ قالَ إني...
لستُ أدرى!

●

أيُّها الهـاربُ إنَّ العَارَ في هذا الفِرارِ
لا صَـلاحٌ في الَّذى تَفعَلُ حَتَّى للقِفارِ
أنتَ جانٍ أيُّ جانٍ، قاتِـلٌ في غيرِ ثارِ
أفيرضَى الله عـن هَذا وَيَعفو..؟
لستُ أدرى!

●

● ●

ولقدْ قُلتُ لِنفسي، وأنا بينَ المَقابرْ
هَلْ رأيتِ الأمنَ والرّاحةَ إلاّ في الحفائرْ
فأشارتْ : فإذا للدُّودِ عيثٌ في المَحاجرْ
ثمَّ قالتْ : أيُّها السّائلُ إني..
لستُ أدري!

●

أنظري كيفَ تَساوى الكلُّ في هذا المكانِ
وتلاشى في بَقايا العبدِ ربُّ الصَّولجانِ
والتقى العاشقُ والقالي فَما يفترقانِ
أفهذا مُنتهى العدلِ؟ فقالت..
لستُ أدرى!

●

إنْ يكُ الموتُ قِصاصاً أيُّ ذَنبٍ للطّهارهْ
وإذا كانَ ثواباً أيُّ فضلٍ للدّعارهْ
وإذا كانَ وما فيهِ جزاءٌ أو خَسارهْ
فَلِمَ الأسماءُ إثمٌ أو صَلاحٌ..؟
لستُ أدرى!

●

أيُّها القبرُ تكلَّمْ واخبِريني يا رِمامْ
هل طَوى أحلامَكِ الموتُ وهل ماتَ الغرامْ
مَن هوَ المائتُ مِن عامٍ ومِن مليونِ عام
أيصيرُ الوقتُ في الأرماسِ محواً؟..

لستُ أدري!

●

إن يكُ الموتُ رُقاداً بعدَهُ صحوٌ طويلْ
فلماذا ليسَ يبقى صحوُنا هذا الجميلْ
ولماذا المرءُ لا يدري متى وقتُ الرحيلْ
ومتى ينكشفُ السِّرُّ فيدري؟..

لستُ أدري!

●

إن يكُ الموتُ هجوعاً يملأُ النفسَ سلاما
وانعتاقاً لا اعتقالاً وابتداءً لا ختاما
فلماذا أعشقُ النومَ ولا أهوى الحِماما
ولماذا تجزعُ الأرواحُ منه؟..

لستُ أدري!

●

أوراءَ القبرِ بعدَ الموتِ بعثٌ ونُشورُ
فحياةٌ فخُلودٌ أم فناءٌ ودُثورُ
أكلامُ النّاسِ صدقٌ أم كلامُ النّاسِ زورُ
أصحيحٌ أنَّ بعضَ النّاسِ يدري؟..
لستُ أدري!

●

إن أكنْ أُبعثُ بعدَ الموتِ جُثماناً وعقلا
أترى أُبعثُ بعضاً أم ترى أُبعثُ كُلّا
أترى أُبعثُ طفلاً أم تُرى أُبعثُ كهلا
ثمَّ هل أعرفُ بعدَ الموتِ ذاتي؟ .
لستُ أدري!

●

يا صديقي لا تُعلِّلني بتمزيقِ السُّتورِ
بعدَما أقضي فعقلي لا يُبالي بالقشورِ
إن أكُن في حالةِ الإدراكِ لا أدرى مصيرى
كيفَ أدرى بعدَما أفقِدُ رُشدى..
لستُ أدرى!

* * *

القصر والكوخ

وَلَقَد أبصَرتُ قصراً شاهِقاً عالي القِبابْ

قُلتُ : ماشادَكَ مَن شادكَ إلاّ للخرابْ

أنتَ جزءٌ منهُ لكنْ لستَ تدري كيفَ غابْ

وهو لا يَعلمُ ماتحوي، أتدري؟ .

لَستُ أدري!

●

يا مِثالاً كانَ وهماً قبلَما شاءَ البُناة

أنتَ فِكرٌ مِن دماغٍ غيَّبتهُ الظُلُماتْ

أنتَ أمنيّةُ قلبٍ أكلتهُ الحشَرات

أنتَ بانيكَ الّذي شادَكَ لا . . لا . .

لَستُ أدري!

●

كَمْ قُصورٍ خالَها الباني سَتَبقى وتَدوم

ثابتاتٍ كالرَّواسي خالِداتٍ كالنُّجوم

سَحَبَ الدَّهرُ عليها ذَيلَهُ فهيَ رُسوم

مالَنا نَبني وَما نَبني لِهدمٍ؟..

لَستُ أدري!

●

لم أجد في القصرِ شيئاً ليسَ في الكوخِ المهيْن
أنا في هذا وهذا عبدُ شكٍّ ويقينِ
وسجينُ الخالدَينِ الليلِ والصُّبحِ المُبينِ
هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى..
لستُ أدري!

●

ليسَ في الكوخِ ولا في القصرِ من نفسي مهربَ
إنّني أرجو وأخشى، إنّني أرضى وأغضبْ
كانَ ثوبي من حريرٍ مُذهَبٍ أو كانَ قنَّبْ
فلماذا يتمنّى الثوبَ عاري؟..
لستُ أدري!

●

سائلِ الفجرَ: أعندَ الفجرِ طينٌ ورُخامْ
واسألِ الفجرَ ألا يُخفيهِ، كالكوخِ، الظّلامْ
واسألِ الأنجمَ والرّيحَ وسلْ صوبَ الغمامْ
أترى الشيءَ كما نحنُ نراهُ؟..
لستُ أدري!

●

● ●

الفكر

رُبَّ فِكرٍ لاحَ في لوحةِ نفسي وتجلّى
خِلتُهُ مِنّي ولكنْ لمْ يُقمْ حتّى تولّى
مثلَ طيفٍ لاحَ في بئرٍ قليلٍ واضمحلّا
كيفَ وافى ولماذا فرَّ منّي..؟
لستُ أدري!

●

أتُراهُ سابحًا في الأرضِ مِنْ نفسٍ لأخرى
رابَهُ منّي أمرٌ فأبى أنْ يستقرّا
أم تراهُ مرَّ في نفسي كما أعبرُ جِسرا
هل رأتهُ قبلَ نفسي غيرُ نفسي..؟
لستُ أدري!

●

أم تراهُ بارقًا أومضَ حينًا وتوارى
أم تُراهُ كانَ مثلَ الطيرِ في سجنٍ فطارا
أم تُراهُ الخِلُّ كالموجةِ في نفسي وغارا
فأنا أبحثُ عنهُ وهوَ فيها...
لستُ أدري!

● ●
●

صراع وعراك

إنني أشهدُ في نفسي صراعاً وعِراكا
وأرى ذاتيَ شيطاناً وأحياناً ملاكا
هل أنا شخصان يأبى هذا معْ ذاكَ اشتراكا
أم تُراني واهماً فيما أراهُ.. ؟
لستُ أدرى !

•

بينما قلبيَ يحكي في الضُحى إحدى الخمائلْ
فيهِ أزهارٌ وأطيارٌ تُغني وجداول
أقبلَ العصرُ فأمسى موحشاً كالقفرِ قاحلْ
كيفَ صارَ القلبُ روضاً ثمَّ قفراً.. ؟
لستُ أدرى !

•

أينَ ضحكي وبُكائي وأنا طفلٌ صغيرْ
أينَ جهلي ومُزاحي وأنا غضٌ غريرْ
أينَ أحلامي وكانت كلَّما سرتُ تسيرْ
كلُّها ضاعتْ ولكن كيفَ ضاعتْ؟..
لستُ أدرى !

•

لِيَ إيمانٌ ولكنْ لا كأيماني ونُسكي
إنني أبكي ولكن لا كما قد كُنتُ أبكي
وأنا أضحكُ أحيانًا ولكنْ أيّ ضِحكِ
ليتَ شِعري ما الّذي بدّلَ أمري .. ؟
لستُ أدري !

•

كلُّ يومٍ لِيَ شأنٌ ، كلُّ حينٍ لي شُعورْ
هل أنا اليومَ أنا منذُ ليالٍ وشهورْ
أم أنا عِندَ غُروب الشّمسِ غيري في البُكورْ
كلّما ساءلتُ نفسي جاوَبتني . .
لستُ أدري !

•

رُبَّ أمرٍ كُنتُ لمّا كانَ عِندي أتّقيهِ
بتُّ لمّا غابَ عنّي وتوارى أشتهيهِ
ما الّذي حبّبَهُ عِندي وما بغّضنيهِ
أأنا الشّخصُ الّذي أعرضَ عنهُ ؟ . .
لستُ أدري !

•

رُبَّ شخصٍ بتُّ معهُ زمناً ألهو وأمرحْ
أو مكانٍ مرَّ دهرٌ وهو لي مسرى ومسرح
لاحَ لي في البُعدِ أجلى منهُ في القُربِ وأوضحْ
كيفَ يبقى رسمُ شيءٍ قدْ توارى. . .
لستُ أدرى !

●

رُبَّ بستانٍ قضَيتُ العمرَ أحمي شجَرَهْ
ومَنعتُ النّاسَ أن تقطِفَ منهُ زهرَهْ
جاءتِ الأطيارُ في الفجرِ فناشتْ ثمرَهْ
ألِلأطيارِ السّما البُستانُ أم لي . . ؟
لستُ أدري !

●

رُبَّ قبحٍ عندَ زيدٍ هو حُسنٌ عِندَ بَكرِ
فهُما ضِدّانِ فيهِ وهوَ وَهمٌ عِندَ عَمرو
فمَنِ الصّادِقُ فيما يدَّعيهِ ، ليتَ شِعرى
ولماذا ليسَ للحُسنِ قِياسٌ . . ؟
لَستُ أدري !

●

قدْ رأيتُ الحُسنَ يُنسَى مِثلَما تُنسَى العيوبْ
وطُلوعُ الشَّمسِ يُرجى مِثلَما يُرجى الغُروبْ
ورَأيتُ الشرَّ مِثلَ الخيرِ يَمضي ويَؤوبْ
فَلِماذا أحسبُ الشرَّ دَخيلاً..
لَستُ أدرى!

●

إنَّ هذا الغَيثَ يَهمي حينَ يَهمي مُكرَهَا
وَزُهورُ الأرضِ تُفشي مُجبَراتٍ عِطرَها
لا تطيقُ الأرضُ تخفي شوكَها أو زَهرَها
لا تَسَلْ: أيُّهما أشهى وأبهى...
لَستُ أدري!

●

قَدْ يَصيرُ الزَّهرُ إكليلاً لِملكٍ أو نَبيّ
وَيَصيرُ الوَردُ في عُروَةِ لِصٍّ أو بَغيّ
أيَغارُ الشَّوكُ في الحَقلِ مِنَ الزَّهرِ الجَنيّ
أم تُرى يَحسَبُهُ أحقرَ مِنهُ..
لَستُ أدري!

●

قد يُقيني الخطرَ الشوكُ الذي يجرحُ يدي
ويكونُ السمُّ في العطرِ الذي يملأُ أنفي
إنما الوردُ هوَ الأفضلُ في شرعي وعُرفي
وهوَ شرعٌ كلُّهُ ظلمٌ ولكنْ...

لستُ أدري

•

قدْ رأيتُ الشهبَ لا تدري لماذا تشرقْ
ورأيتُ السحبَ لا تدري لماذا تُغدقُ
ورأيتُ الغابَ لا تدري لماذا تورقُ
فلماذا كلُّها في الجهلِ مثلي...

لستُ أدري!

•

كلَّما أيقنتُ أني قد أمطتُ السترَ عني
وبلغتُ السرَّ سرِّي ضحكت نفسيَ مني
قد وجدتُ اليأسَ والحيرةَ لكنْ لم أجدني
فهلِ الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ...؟

لستُ أدري!

•

لَذَّةٌ عِندِيَ أنْ أسمَعَ تَغريدَ البَلابـلْ
وَحفيفَ الوَرَقِ الأَخضَرِ أو هَمسَ الجداوِلْ
وأرى الأَنجمَ في الظَّلماءِ تَبدو كالمَشاعِـلْ
أَترى اللَّذَّةُ منها أم اللَّذَّةُ مِنّي . . .
لَستُ أدري !

●

أَتُراني كُنتُ يَومـاً نَغَماً في وَتَرِ
أم تُراني كُنتُ قَبلاً مَوجَةً في نَهرِ
أم تُراني كُنتُ في إحدى النُّجومِ الزُّهرِ
أَم أريجاً أم حَفيفاً أم نَسيماً . . .
لَستُ أَدري !

●

فيَّ مِثلُ البَحرِ أصدافٌ وَرَملٌ وَلآلْ
فيَّ كالأَرضِ مُروجٌ وَسُفوحٌ وَجِبالْ
فيَّ كالجَوِّ نُجومٌ وَغُيومٌ وَظِلالْ
هَل أنا بَحرٌ وَأَرضٌ وَسَماءْ
لَستُ أدري !

●

مِن شرابي الشُّهدُ وَالخمرَة وَالمَـاء الزُّلالْ
مِنْ طَعامي البَقلُ وَالأثمارُ واللّحمُ الحَـلَالْ
كَمْ كِيانٍ قدْ تَلَاشَى في كِياني واستَحالْ
كَمْ كِيانٍ فيهِ شيءٌ من كِياني ..؟
لستُ أدري!

●

أأنا أفصَحُ مِنْ عُصفورةٍ للوادى وأعذَبْ
وَمِن الزَّهرَةِ أشهى وَشَذى الزَّهرةِ أطيبْ
وَمِنَ الحَيَّـة أدهى ومِنَ النَّمْـلَةِ أغربْ
أمْ أنا أوضَعُ مِنْ هذي وأدنى...؟
لستُ أدري

●

كلُّهـا مثلي تحيـا كلُّهـا مِثلي تموتْ
وَلهـا مِثلي شرابٌ وَلهـا مِثليَ قوتْ
وانتِبـاهٌ ورُقادٌ وَحديثٌ وَسُكوتْ
فَبما أمتازُ عنها ليتَ شِعرى؟...
لستُ أدري!

●

قَدْ رَأيتُ النَّملَ يَسعى مِثلما أسعى لِرزقي
وَلهُ في العَيشِ أوطـارٌ وَحقٌّ مِثلُ حَقِّي
قد تَساوى صَمتُهُ في نظَرِ الدَّهرِ وَنُطقي
فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما....

لستُ أدري!

●

أنا كالصَّهباء لكنْ أنا صَهباني وَدَنِّي
أصلُها خافٍ كأصلي، سِجنُها طينٌ كَسِجني
وَيُزاحُ الخَتمُ عنهـا مِثلَمَا يَنشَقُّ عَنِّي
وَهيَ لا تفقهُ مَعناها وإني..

لستُ أدري

●

غلِطَ القائِـلُ إنَّ الخمرَ بنتُ الخابِيهْ
فهيَ قبلَ الرِّزقِ كانت في عُروقِ الدَّالِيهْ
وَحواها قَبلَ رَحمِ الكَرمِ رَحمُ الغَادِيهْ
إنَّما مِن قبلِ هذا أينَ كانتْ..؟

لستُ أدري!

●

هيَ في رأسيَ فِكرٌ وهيَ في عيني نور
وهي في صدرىَ آمالٌ وفي قلبي شُعُورُ
وهيَ في جسمي دَمٌ يَسرَحُ فيهِ ويَمور
إنما مِنْ قبلِ هذا كيفَ كانتْ ..؟
لَستُ أدرى!

●

أنا لا أذكُرُ شَيئاً منْ حياتي المَاضِيهْ
أنا لا أعرفُ شَيئاً مِنْ حَياتي الآتِيهْ
ليَ ذاتٌ غيرَ أني لَستُ أدرى ماهيهْ
فمتى تعرفُ ذاتي كُنهَ ذاتي ..؟
لستُ أدري

●

إنني جئتُ وأمضي وأنا لا أعلَمُ
أنا لُغزٌ وَذَهابي كمجيئي طلسَمُ
وَالذي أوجَدَ هذا اللُّغزَ لُغزٌ مُبهَمُ
لا تُجادِلْ ذا الحجا مَن قالَ إني ...
لستُ أدري!



الأسطورة الأزلية

الأسطورة الأزلية

كانَ زَمانٌ ، لم يَزَل كائِناً
وَحالةٌ ، ما بَرِحَتْ باقِيَهْ

مَلَّ بنو الإنسانِ أطوارَهُم
وَبَرِمُوا بالسُّقمِ والعافِيَهْ

فاستَصرَخوا خالِقَهُمْ واشتَهَوا
لَو أنَّهُ كَوَّنَهُمْ ثانِيَهْ

وَبَلَغَتْ أصواتُهُمْ عَرشَهُ
في لَيلَةٍ مُقمِرَةٍ صافِيَه

فَقالَ : إنّي فاعِلٌ ما اشتَهَوا
لَعَلَّ فيهِ حِكمَةً خافِيَهْ

وشاهَدوهُ هابِطاً مِن عَلٍ
فاحتَشَدوا في السَّهلِ والرّابِيَهْ

مِنَ القُرى الكَئيبَةِ العاريَهْ
والمُدُنِ الضَّاحِكَةِ الزَّاهِيَهْ

تألّبوا مِنْ كلِّ صَوبٍ كما
تجتَمِعُ الأمطارُ في السَّاقِيَهْ

يُسابِقُ الصُّعلوكُ ربَّ الغِنى
والأبلَهُ الباقِعَةَ الدَّاهِيَهْ

ويَدفَعُ الشيخُ التوى عودُهُ
وصارَ مِثلَ الرِّمَّةِ البالِيَهْ

فتىً مَضَى الفجرُ ولمَّا تزَلْ
رَوعتُهُ في وَجهِهِ باقِيَهْ

وتزحَمُ الحسناءُ ممكورةً
خلّابةً كالرَّوضةِ الحالِيَهْ

دَميمَةٌ تُشبِهُ في قُبحِها
مَدينَةً مَهجورَةً عافِيَهْ

فقالَ ربُّ العَرشِ : ما خطبُكُمْ ،
مابالُكُم صَرخاتُكُمْ عالِيَهْ ؟

هَلْ أَصبحت أَرضُكُمْ عاقِراً

أَمْ غارَتِ الأَنجمُ في هاوِيَهْ ؟

أم أقلَعَ الماء فلا جَدوَلُ

وماتت الطَّيرُ فلا شادِيَهْ ؟

أم فَقَدَت أعينُكم نورَها

أم غَشِيَتْ أرواحكم غاشِيَه ؟

أينَ الهوى ، إنْ لم يَكُنْ قد قضى

فكُلُّ جرحٍ واجِدٌ آسِيَهْ

الفتى

قالَ الفتى : يارَبِّ إنَّ الصِّبا

مَصدَرُ أحزاني وَآلامي

ألبَستَنيهِ مونِقاً بعدَما

أبلاهُ أخوالي وَأعمامي

وَصارَ في مَذهَبِهِمْ عصرُهُ

فترةَ زَلاّتٍ وَآثامِ

فاختلفتْ حالِي وَحالاتُهمْ
كأنّني في غيرِ أقوامي

وَصرتُ كالجدوَلِ في فدفدٍ
أو شاعرٍ ما بينَ أصنامِ

والأخضرِ المورِقِ في يابسٍ
أو مِثلِ صاحٍ بينَ نُوّامِ

دُنياهُمُ دُنيايَ ، لكنّما
أعلامُهمْ ليستْ كأعلامي

عِندَهمُ الرّوضةُ أشجارُها
وَالرّوضُ عِندي الزّهرُ النّامي

وَالطّيرُ لحمٌ وَدمٌ عِندَهمْ
وَليسَ عِندي غيرَ أنغامِ

سُكري بها أو بالنّدى وَالشّذى
وسُكرُهمْ بالخمرِ في الجامِ

يَسخَرُ قلبي بلياليهمْ
وَيَسخَرُ الدّهرُ بأيّامي

كأنني جئتُ لِتبكيتِهِمْ
كأنَّما جاؤوا لإيلامي

عِبءٌ على نفسيَ هذا الصِّبا
الجائِضُ المستوفِزُ الطّامي

يَزرَعُ حولي زهراتِ المُنى
وَشوكُها في قلبيَ الدّامي

فانٍ ؛ لهُ في كلِّ فانٍ هوى
فانٍ ؛ ولا يَنجو مِنَ الذّامِ

خُذهُ ، وخذْ قلبي وأحلامَهُ
فإنَّني أشقى بأحلامي

وَمُرْ يمرُّ الدّهرُ في لحظةٍ
كالطَّيفِ ؛ أو كالبرقِ قُدّامي

وازرعْ نُجومَ الشّيبِ في لِمَّتي
فَينجلي حِندِسُ أوهامي

وأُبصِرَ الحِكمَةَ في ضَوئِها
إنّي إليها جائعٌ ظامي

الشيخ

وَجاءَ شيخٌ حائرٌ واجفٌ
مُشتَعِلُ اللِمّةِ بالي الإهابْ
كأنّما زلزلةٌ تحتَهُ
لِما بهِ مِنْ رَعْشةٍ واضطِرابْ
فَصاحَ : يا رَبّاهُ خُذ حِكمَتي
وارْدُدْ عَلى عَبدِكَ عَصرَ الشّبابْ
إنّ أماني الرُّوحِ أزهارُها
وَإنَّ روحي اليومَ قَفرٌ يَبابْ
لا جَدولٌ ، لا بُلبُلٌ مُنشِدٌ
بَلى ، بها الوَحشَةُ والإكتِئابْ
تلكَ الأماني ، على كِذبِها
لمْ تَكنِ اللذّةُ فيها كِذابْ
زالَتْ وَمازِلتُ ؛ وَإنّ الشّقا
أن تُطمَسَ الآيُ وَيَبقى الكِتابْ

وَتُسلَبَ السَّرحةُ أوراقَها
وَلَمْ تزَلْ أعراقُها في التُّرابْ

قيلَ لها : في البَحرِ كلُّ المُنى
فَلَم تجدْ في البَحرِ إلاّ الضَّبابْ

كُنتُ غَنيّاً في زَمانِ الصِّبا
وَكُنتُ صِفرَ الكَفِّ ، صِفرَ الوِطابْ

صَحَوتُ مِنْ جَهلي فَأبصَرتُني
كأنَّني سَفينَةٌ في العُبابْ

نَأتْ عَنِ الشَّطِّ وَلَمْ تَقتَرِبْ
شِبراً مِن البَرِّ الَّذي في الحِجابْ

وَلو تَرَجّى أوبَةً لاشتَفَتْ
لكِنَّما عَزَّ عَليها الإيابْ

مُرْ تَقِفِ الأيّامُ عَنْ سَيرِها
فإنَّها تَركُضُ مِثلَ السَّحابْ

وَضَعْ أَمامي ، لا وَرائي ، المُنى
وَطَوِّلِ الدَّربَ وَزِدْ في الصِّعابْ

مـا لذَّتي بالمـاء أروى بـه

بـل لذَّتي بالعَدوِ خلف السَّرابْ

الحسناء

وَقالَتِ الحسنَـاء : يا خالِقي

وَهبتَـني الحسنَ فَأشقَيتَـني

وَجهي سَنيٌّ مُشرِقٌ ، إنَّمـا

مَرعى عُيُونِ الخلقِ وَجهي السَّني

حَظِّيَ مِنـهُ حَظُّهُ وَردِ الرُّبى

مِنْ عِطرِهِ الفَوّاحِ وَالسَّوسَنِ

وَمِثـلُ حَظِّ السَّروِ مِنْ فَيئِهِ

والطَّيرِ مِنْ تَغريـدِها المُتقَنِ

وَمثـلُ حَظِّ النَّجمِ مِنْ نورِهِ

في الحِندِسِ المُعتَكِرِ الأدجَنِ

لِلقائِـلِ الفَيءُ ، وَللسّامِـعِ

التَّغريـدُ ؛ وَالزَّهرَةُ لِلمُجتَني

وَالنُّورُ للمُدلجِ وَالُمجتَلي
والدُّرُّ لِلغَائِصِ وَالُمجتَني

كَمْ ريبَةٍ دَبَّتْ إلى مَضجَعي
مَعَ الجمالِ الرَّائِعِ الُمسكِنِ

إنْ عَشِقَتْ نَفسي فَويلٌ لَها
وَالوَيلُ لي إنْ رَجُلٌ حَبَّني

اَلسُّمُّ وَالشَّوكُ وَجَمرُ الغَضا
أهوَنُ مِن كاشِحَةِ الألسُنِ

كمْ تَقتَفيني نَظَراتُ الخَنا
وَيلِيَ مِنْ خَائِنَةِ الأعيُنِ

لمْ يَبقَ في روحيَ مِنْ مَوضِعٍ
يا رَبُّ لمْ يُخدَشْ وَلَمْ يُطعَنِ

إنَّ الغِنى في الوَجهِ لي آفَةٌ
فَلَيتَ أنِّي دُميَةٌ لَيتَني..

● ●

الجارية

وسكتت ، فصاحت الجاريه

باكية من بؤسها شاكيه :

ذنبي إلى هذا الورى خلقتي

فهل أنا المجرمة الجانيه ؟

إن أخطأ الخزاف في جبله الـ

طين فأي ذنب للآنيه (؟)

أليس من يسخر بي يزدري

بالقوة الموجدة البارية ؟

لو كنت حسناء بلغت العلى

فللجمال الرتبة العاليه

فبات من أسجد قدامه

صاغرة يسجد قدامية

فإنني في ملأ ظالم

أحكامه جائرة قاسيه

لَيسَ لذاتِ القُبحِ مِنْ غافِرٍ

وَفيهِ مَنْ يَغفِرُ لِلزّانِيه ،

نَفسيَ جُزءٌ منكَ يا خالِقي

وَإِنَّها عاقِلَةٌ راقِيه

أَلَيسَ ظُلماً ، وَهيَ بنتُ العُلى

إِنْ تَكُ بالقُبحِ إِذَنْ كاسيه ؟

فَليكُنِ الحُسْنُ رداءٌ لها

تَرفُلْ بِهِ أَو فَلتَكُنْ عارِيَه

الصعلوك

وَأَقبَلَ الصُعلوكُ مُستَرحِماً

في مُقلَتَيهِ شَبَحُ اليَأسِ

يَصرخُ يا رَبّاهُ حَتّى مَتى

تُحكِّمُ الموسِرَ في نَفسي

وَتَضَعُ التاجَ على رَأسِهِ

وَتَضَعُ الشَوكَ عَلى رَأسي

وَيشرَبُ اللّذاتِ مِن كأسِه

وأشرَبُ الغصّاتِ مِنْ كأسي

وتَنجَلي الأنجمُ في ليلِهِ

ضاحِكَةً كالغيدِ في عُرسِ

ويَتَوارى في نهاري السَّنا

أو يَتَبَدّى حانِقَ الشمسِ

يا ربِّ لا تنقلهُ عَنْ أنسِهِ

وإنّما انقُلني إلى الأنسِ

فإنْ تشأْ أنْ لا يذوقَ الهنا

قلبي فجرّدني مِنَ الحِسِّ

لو لم يَكنْ غيري في غِبطةٍ

ما شَعَرَتْ روحيَ في البُؤسِ



وقالَ ذو الثروةِ : ما أشتَهي

لا أشتَهي أنيَ ذو ثروةٍ

أنفقتُ أيّامي عَلى جَمعِها
وَخِلتُني أدركتُ أُمنِيتي

فاستَعبَدتني في زَمانِ الصِّبا
وَأوقَرَتْ بالهَمِّ شَيخُوخَتي

قد مَلَكَتني قبلَما حِزتُها
وَمَلَكتني وَهيَ في حَوزَتي

كَنَحلَةٍ أمسَكَها شُهدُها
مِنَ الجَناحَينِ فَلَمْ تَفلَتِ

حَسِبتُها تُكسِبُني قُوَّةً
فافتَرَسَتْ قُوَّتُها قُوَّتي

جَنَتْ عَلى نَفسي وَأَحلامِها
جِنايَةَ الشَّوكِ عَلى الوَردَةِ

يَنمُو فَتَذوي فَهيَ عِليقَةٌ
يَحذَرُها الطّائفُ بالرَّوضَةِ

مَنْ قائِلٌ عَنّي لِمَنْ خالَني
أمرَحُ مِن دُنيايَ في جَنَّةٍ :

لا تنظرِ الأضواء في حجرتي
وانظرْ إلى الظلماء في مهجتي

ولا يغرّنكَ قصري فما
قصري سوى سِجنٍ لحريّتي

أني في الصرحِ الرفيع الذُّرى
كطائرٍ، في قفصٍ، ميّتِ

كم في عُبابِ البحرِ مِنْ سابحٍ
قد ماتَ ظمآنًا إلى قطرةِ

موتُ الطوى شرٌّ ولكنّما
أفظعُ مِنهُ الموتُ بالتخمةِ

إنْ سهرَ العاشقُ مِنْ لوعةٍ
أو سهرَ المحزونُ مِنْ كُربةِ

فالشوقُ كالحُزنِ لهُ آخرٌ
وينقضي في آخرِ المدّةِ

أمّا أنا فقلقي دائمٌ
مادُمتُ في مالي وفي فضّتي

وَالخوفُ مِنْ كارثةٍ لم تَقَعْ
أمضُّ مِنْ كارثةٍ حلَّتِ

كَمْ مِنْ فقيرٍ مرَّ بي ضاحِكاً
كأنَّما يسخرُ مِنْ غُصَّتي

رَأيتُهُ بالأمسِ مِنْ كوَّتي
فخِلتُني أنظرُ مِنْ هُوَّةِ

وَكُنتُ كالحوتِ رأى مَوجَةً
ضَاحِكةً تَرقُصُ كالطِفلةِ

أو حَيَّةٍ تدبُّ في مَنجَمٍ
تَرنُو إلى فراشةٍ حُرَّةِ

قَدِ اختَفَتْ ذاتِيَ في بُردَتي
فما يَرى الخلقُ سِوى بُردَتي

فهمْ إذا ما سَلَّموا سلَّموا
عَلى خُيوطِ البُردِ وَالحُلَّةِ

رَبَّاهُ أطلِقْ مِنْ عِقالِ الغِنى
رُوحي ، فإنِّي مِنهُ في مِحنَةِ

وانزَعْ مَعَ الدينارِ مِنْ قبضَتي
صَلاَبَـةَ الدينارِ مِن سِحنَتي
وَحوِّلِ المَـالَ الى راحَـةٍ
وَحوِّلِ القَصرَ إلى خيمَـة

الأبله

وَصَرَخَ الأَبلَـهُ مُستَفسِراً
ما القَصدُ مِنْ خَلقي كَذا وَالمُرادْ؟
أَلَمْ يكنْ يَكمُلُ هذا الوَرى
إلاَّ إذا أوجَدَني في فَسادْ ؟
لي صُورَةُ النَّاسِ وَحاجاتهمْ
مِنْ مَطعَمٍ أو مَشرَبٍ أورُقادْ
لكنَّ لُبِّي غَـيرُ ألبابهمْ
فإنَّـهُ مُكتَنِفٌ بالسَّوادْ
يُعجِزُني إدراكُ ما أدرَكوا
كأنَّ عقلي فَحمَةٌ أو رَمادْ

إنْ كُنتُ إنساناً فلِمْ يا تُرى
لستُ بادراكي كباقي العِبادْ ؟
أَو لم أكنْ مِنهُمْ فَمُرني أكنْ
جَرادَةً أو أرنَباً أو جَوادْ ،
فالنِدُّ لا يَعدَمُ مَعْ نِدِّهِ
ذَريعَةً للسِلمِ أو للجِهاد
لا تَسخَرُ النَملَةُ مِنْ غَلَّةٍ
وَلَيس يُزري بالقَرادِ القراد
أم أنتَ كالعَقلِ على رَغمِهِ
يَنمو مَعَ الحِنطَةِ فيهِ القَتاد

الأديب

وَجاءَ بَعدَ الأبلَهِ المُستريبْ
الألمعيُّ العَبقَريُّ اللَبيبْ
فَقالَ : إني تائِهٌ حائِرٌ
أنا غَريبٌ في مَكانٍ غَريبْ

أبحثُ عَنْ نفسي فَـلا أهتَدي
وَليسَ يَهديني إليهـا أريبْ
آهِ عَلـيمٌ حيثُ لا عَالِمٌ
أنا لبيبٌ عِنـدَ غيرِ اللَّبيبْ
لو أنني كنتُ بـلَا فِطنةٍ
سِرتُ وَلمْ تَكثرْ أمامي الدُّروبْ
وَكانَ عَقلى كعُقولِ الوَرى
وَكانَ قلبي مِثلَ باقي القُلوبْ

وَصارَ عِندي كالنُّجومِ الوَرى
فلا عَدُوٌّ فيهمُ أو حَبيبْ
وَلم أرَ في ضِحكِهِمْ وَالبُكا
شيئاً سِوى الضِحكِ وَغيرَ النَّحيبْ
وَلمْ أسائِلْ كوكباً طَالِعاً
مالكَ تَبدو ، وَلِماذا تَغيبْ
ولمْ أقِف في الرّوضِ عِندَ الضُّحى
يُذهِلُني لونٌ وَشكلٌ وَطيبْ

وَلَمْ أَقُلْ مَا كُنْتُ قَبْلَهَا

كُنْتُ ، وَلَا مَا فِي سِجِلِّ الغُيُوبْ ،

مَا العَقْلُ يَا رَبِّ سِوَى مِحْنَةٍ

لَوْلاهُ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيَّ الذُّنُوبْ

الخاتمة

لَمَّا وَعَى اللهُ شَكَايَا الوَرَى

قَالَ لَهُمْ : كُونُوا كَمَا تَشْتَهُونْ

فَاسْتَبْشَرَ الشَّيْخُ وَسُرَّ الفَتَى

وَالكَاعِبُ الحَسْنَاءُ وَالحَيْزَبُونْ

•

لَكِنَّهُمْ لَمَّا اضْمَحَلَّ الدُّجَى

لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الَّذِي كَانَا

•

هُمْ حَذِرُوا القُبْحَ فَكَانَ الجَمَالْ

وَعَرَفُوا الخَيْرَ فَكَانَ الطَّلَاحْ

وَلَيْسَ مِنْ نَقصٍ وَلا مِنْ كَمالْ

فالشَّوكُ في التَّحقيقِ مِثْلُ الأَقاحْ

●

وَذَرَّةُ الرَّملِ كَكُلِّ الجِبالْ

وَكالَّذي عَزَّ الَّذي هانا



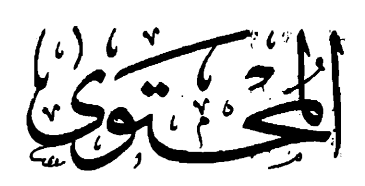
دار اليقظة العربية

للتأليف والترجمة والنشر بسورية

مؤسسة علمية ثقافية أسست عام ١٩٣٩ بدمشق

يعضدها

نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين



آ ـ الدراسة

ب ـ الشعر

* * *

اصلاح بعض التطبيعات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٦	١٠	النجومَ
٣٣	١٢	مُعصِرٌ
٤٨	٧	خالدٌ
٦٢	١	هم عاهدوني
٦٩	٨	تكنْ
١١٨	١٢	العِداء
١٢٣	٢	أفترضى
١٢٨	١٤	خوافقٌ
١٣٥	١	حكومةَ
١٤٠	٧	خدُّها
١٥١	٩	مراحلها
١٥٦	١٣	الكاتبُ
١٦٠	١	لزال
٢١٦	١١	الأبَ البرَّ
٢٢٤	٩	السُّلافُ
٢٣٢	٩	لوْ لم تقاتلْهم
٢٥٠	١٣	كأسُكم
٢٥٢	٩	خارجةٌ
٢٥٨	١٠	أ يُزهَدُ
٢٥٩	١٢	خصرُها
٢٥٩	١٤	صَدُّها
٢٦٤	٩	الشيوخُ
٢٨٨	١٥	إبّان
٣٢٠	١٣	أصحو
٣٣٦	٩	ساومَ الخلقَ
٣٣٧	١٦	وللحسناءِ
٣٥٣	٦	وديدنهِ
٤٢٩	١	كنت معه